آفاق المعرفة
AFAQ ALMAAREFA

الطبعة الرابعة
منقحة ومزيدة

معيار المربي

مختار

فايز بن سعيد الزهراني

معيار المربي

معيار المربي

فايز بن سعيد الزهراني

حقوق الطبع محفوظة

ح **شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤٤هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني، فايز بن سعيد

معيار المربي./ فايز بن سعيد الزهراني- الرياض، ١٤٤٤هـ.

٢٥١ص؛ ١٧× ٢٤ سم

ردمك: ٦-٠-٩١٩٠٨-٦٠٣-٩٧٨

١- التربية الإسلامية

أ. العنوان

ديوي ١ ,٣٧٧ ١١٤٣/ ١٤٤٤

رقم الإيداع: ١١٤٣/ ١٤٤٤

ردمك: ٦-٠-٩١٩٠٨-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الرابعة

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

منقحة ومزيدة

إهداء

إلىٰ أبي عبد الرحمن السلمي..

مقرئ الكوفة، التابعي الجليل والإمام العلَم، رحمه الله.

قال أبو إسحاق: كان أبو عبد الرحمن السلمي يقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة. وعن عطاء بن السائب، أن أبا عبد الرحمن قال: أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلىٰ العشر الأُخر حتىٰ يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به.

سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة الطبعة الرابعة	١٣
مقدمة	١٥
القسم الأول: مدخل إلى التربية الإسلامية	١٩
مفهوم التربية الإسلامية	٢١
أهمية التربية الإسلامية	٢٨
أهداف التربية الإسلامية	٣٥
مستويات الأهداف التربوية	٣٦
سمات التربية الإسلامية	٤٧
تجديد التربية الإسلامية	٥٩
التربية بين المحاضن والمبادرات	٦٣
اختبر استيعابك	٦٨
خلاصات مهمة	٧٠

القسم الثاني: المربي.. البناء والتكوين ٧٣
شخصية المربي ٧٥
سلامة الاعتقاد وصحة التصوّرات والمفاهيم ٧٥
التفقه في الدين والاستمرار في التعلم ٧٨
الاستقامة على أمر الله ٨٢
الأخلاق الكريمة ٨٧
الاستقرار النفسي ٩٠
الإيجابية والهمّ التربوي ٩٥
الاعتدال ١٠٠
المتطلبات المعرفية ١٠٣
المعارف الشرعية ١٠٥
المعارف التربوية ١١١
المعارف الثقافية ١١٤
المهارات التربوية ١١٨
مهارات التدريس ١٢١
مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي ١٢٩
مهارات التفكير والبناء العقلي ١٣٥
البيئة التربوية المؤثرة ١٤٠
بيئة أخوية ١٤٠

بيئة إيمانية ١٤٥
بيئة محفّزة ١٤٧
اختبر استيعابك **١٥٠**
خلاصات مهمة **١٥٢**
القسم الثالث: التربية وصناعة الإنسان الراشد ١٥٧
الدائرة الأولى: معالم الرشاد الروحية والنفسية ١٦٢
تربية الإخبات ١٦٢
تقوية الإرادة ١٦٦
رعاية الحاجات ١٧١
تربية الجمال ١٨١
الدائرة الثانية: معالم الرشاد العلمية والعقلية ١٨٧
بناء العقل المفكر ١٨٧
بناء وتصحيح التصورات والمفاهيم ١٩٢
غرس الاستهداء بالقرآن ٢٠٠
الدائرة الثالثة: معالم الرشاد الأخلاقية والاجتماعية ٢٠٧
تهذيب اللسان ٢٠٧
تربية الأخلاق والمروءات ٢١٢
تقوية الانتماء للإسلام ٢١٦
تنمية الصِّلات الاجتماعية ٢٢١

الدائرة الرابعة: معالم الرشاد العطائية والإيجابية ٢٢٧
تعزيز الفاعلية ٢٢٧
تحسين إدارة الحياة اليومية ٢٣٣
اختبر استيعابك ٢٣٨
خلاصات مهمة ٢٤٠
المصادر والمراجع ٢٤٣

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وأزواجه وصحبه، وبعد..

فبفضل من الله تعالىٰ، وهو دائم الفضل والإحسان، وله عظيم الشكر والامتنان؛ أقدم للقراء كتاب «معيار المربي» في طبعته الرابعة، وقد أضفتُ إليه فيها مبحثًا قصيراً عن «المبادرات التربوية» لما وجدت من أهمية تناولها.

وكان قد أشار علي أحد أساتذتي الكرام بإضافة مقياس للاستيعاب ومستلةً من العبارات المفتاحية والمركزية تكون في ختام كل قسم، فوجدت اقتراحه مفيداً وفيه تطوير للكتاب وتسهيل للاستفادة منه، فبادرتُ إلىٰ عمل ذلك في ختام كل قسم، فجزاه الله عني خيراً.

ذلك، وأشكر جميع الذين أكرموني بالاطلاع علىٰ الكتاب وقراءته ومناقشته ومدارسته. وأرجو من الله تعالىٰ، وهو الغفور الودود، أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم مقبولاً عنده في عليين، وأن ينفع به كل عامل وعاملة في محاضن التربية ومؤسسات التعليم وفي كل بيت ومكان له عناية بالتربية، وكل مسلم ومسلمة، آمين. والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه ومولاه

فَايِز بْن سَعِيْد الزَّهْرَانِي

غرة محرم ١٤٤٧هـ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله وصحابته الغرّ الميامين.

فإنَّ من سوابغ نعمة الله علىٰ أهل الإسلام أنْ بعث فيهم طائفة من أهل الخير والتُّقىٰ، يعلّمون ناشئتهم وشبابهم كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه ﷺ، ويربّونهم علىٰ الدين القويم، ويصبرون علىٰ أخطائهم ونفورهم، وعلىٰ الانشغال بتربيتهم عن ملاذِّ الحياة وشهواتها، فلا يكاد يخلو عصر من العصور ولا إقليم من الأقاليم إلا وفيه ناس من هؤلاء الأخيار، قد نذروا نفوسهم وأوقاتهم وأعمارهم في سبيل نشر العلم وتربية الناس علىٰ الدين. فلله درّهم وما أعظم جهادهم، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (من رأىٰ الغدو والرواح إلىٰ العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله ورأيه)[1]. وهؤلاء معنيون بقول النبي ﷺ: «إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتىٰ النملة في جحرها وحتىٰ الحوت ليصلون علىٰ معلم الناس الخير»[2].

وتنتشر اليوم في شتىٰ بقاع العالم محاضن تربوية، تستقبل الناشئة والشباب، تعلّمهم الإيمان وتربّيهم عليه، وتصقل أخلاقهم وتنمّي مواهبهم، وتقوّي عزائمهم وتبعث في جوانحهم الإيجابية.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٥٣.

(٢) أخرجه الترمذي ح ٢٦٨٥.

وقد كتب عدد من الأساتذة والمهتمين في التربية من خلال المحاضن التربوية، تأصيلًا وتنظيمًا وتطويرًا ومعالجة، فجزاهم الله خيرًا. ولا تزال المكتبة التربوية تنمو يومًا بعد يوم بعدد من الأطروحات والأدلة والدراسات والأبحاث المفيدة.

وقد أشار عليَّ بعض الفضلاء أنْ أكتب دليلًا موجَزًا للمربي الذي يعمل في تلك المحاضن، ألخص فيه بعض المفاهيم التي سبق الحديث عنها في مواطن متفرقة، وألمُّ شعثها، وأبيّن فيه متطلبات التربية وما يلزم المربي من المعارف والمهارات والواجبات، بحيث يكون دليلًا مفاهيميًا ومهاريًا مختصرًا ربما يستفيد منه المربي علىٰ رأس العمل أو مريد خوض غمار العمل التربوي، فاستخرت الله تعالىٰ، ورقمت هذا الكتاب، وسعيت لأنْ يكون موجَزًا بلا إخلال، ومختصَرًا بلا اختزال؛ قدر جهدي، ومن الله وحده التوفيق والصواب.

وتكمن أهمية كتب الأدلة والمعايير التربوية في كونها تسهم في تنظيم العمل التربوي وتلخّص أدوار المربي ووظائفه وواجباته ومسؤولياته، وترسم إطارًا لمفهوم التربية الإسلامية وسماتها وأهدافها؛ فهي تبصّر المربي بحقيقة عمله ومقوماته ولوازمه، وتكون مدخلًا جيدًا لعمليات التدريب والتطوير، وبها نبني بطاقة التقويم؛ فالتربية الإسلامية لها تعريف وحدود، وللمربي سمات وقدرات، وعليه واجبات علمية وتعلمية، ولجهده في المحاضن التربوية معالم وصفات، فإذا نجحنا في توصيف أعمالنا كنا إلىٰ تحقيق الأهداف أقرب، وكما في القاعدة الإدارية: ما يمكن تحديده يمكن قياسه، وما يمكن قياسه يمكن إدارته، وعلىٰ العكس: ما لا يمكن تحديده لا يمكن قياسه، وما لا يمكن قياسه لا يمكن إدارته.. فنحن بحاجة للوصول إلىٰ تحديد عمل المربي في المحاضن التربوية.

لكني لا أزعم أنَّ هذا الكتاب كافٍ في بابه فضلًا عن بلوغ حد الجودة فيه؛ إذ الأدلة والمعايير تتطلب جهودًا احترافية ونقاشات جماعية، تتلاقح فيها الأفكار وتتواءم فيها العقول، لتخرِج الأفضل والأحسن والأصوب، وليس هذا من ذاك، وإنما هو علىٰ الحقيقة جهد المقلّ، أردت به مشاركة إخواني المربين بشيء من التبصرة والتذكرة، وباب الحوار والنقاش مفتوح في هذا العمل، وأهم منه باب النقد والمراجعة؛ لأنَّ الهدف الأساس هو تطوير المحاضن والأعمال التربوية والإسهام في خدمتها. والمأمول أنْ تزداد المكتبة التربوية غير المدرسية بالمشاركات الكتابية، وتقول الدراسات إنَّ (الاتجاه العالمي المستقبلي ينحو إلىٰ تلبية احتياجات الإنماء الشامل عن طريق الاستفادة من التربية القائمة في المدارس و«التربية الجارية خارج المدارس» بأنواعها المختلفة، المنظمة وغير المنظمة، فالتربية خارج المدارس بأنواعها المختلفة يمكن أنْ تصبح شريكًا أصيلًا في عمليات التربية والتعليم)[1].

وقد قسَّمت الكتاب إلىٰ ثلاثة أقسام رئيسية؛ فالقسم الأول جعلته مدخلًا نظريًا إلىٰ التربية الإسلامية لفهم كنهها ومعرفة أهميتها وأهدافها وسماتها، وبعض مفاهيم التجديد المتعلقة بها.

وجعلت القسم الثاني خاصًا بتكوين المربي وبنائه والمعايير اللازمة لعمله.

وجعلت القسم الثالث في المضامين الكبرىٰ التي ينبغي أنْ تدور عليها جهود المربين وأهدافهم التربوية، والتي تكون في مجموعها مضامين التربية الإسلامية في المحاضن التربوية كما ينبغي من وجهة نظر المؤلف.

وبعد؛ فهذا جهد المقلّ، وما أدىٰ إليه اجتهادي، فإنْ أصبت فالفضل لله ثم لمن أشار وحثَّ علىٰ هذا العمل، وإنْ أخطأت أو قصّرت فمن نفسي والشيطان. وإنَّ مثل

---

(١) وثيقة استشراف مستقبل العمل التربوي ص ٨٣.

هذه الموضوعات تحتاج إلىٰ جهد أكبر، وأحسن تنظيمًا وأدق تصنيفًا، وحسبي أنْ يكون الكتاب خدمةً للمحاضن التربوية والعاملين فيها، ولَبنةً في الوعي التربوي..

ثم أشكر فضيلة أستاذنا الدكتور محمد بن عبد الله الدويش علىٰ تفضّله بقراءة مسودة الكتاب وإبدائه الملحوظات القيّمة والعميقة، وتصويبه الأخطاء العلمية، ولفته نظري إلىٰ مسائل مهمة، وقد مزجها بأسلوب أبَوَي وخُلُق كريم، فأجزل الله له المثوبة والأجر.

رب تقبل قليلنا وتجاوز عن كثيرنا، يا غفور يا ودود.

رب اغفر لي ولوالديّ وارحمهما كما ربياني صغيرًا.

وكتبه

فَايِز بْن سَعِيْد الزَّهْرَانِي

غرة صفر ١٤٤٤هـ

القسم الأول

مدخل إلى التربية الإسلامية

مفهوم التربية الإسلامية

دائمًا ما تحتل التعريفات محلَّ الصدارة في التصنيف والتقعيد، وذلك لأهميتها؛ فهي التي تصنع صورة المفهوم، وهي التي تجعل له إطارًا شاملًا لكل مفرداته وعناصره، وبهذا الإطار نستطيع أنْ نعرف ما يمكن دخوله في مربع المفهوم أو خروجه منه.

والتربية في اللغة: مشتقة من ربىٰ، قال ابن فارس: (الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل علىٰ أصل واحد، وهو الزيادة والنماء والعلو. تقول من ذلك: ربا الشيء يربو، إذا زاد. وربا الرابية يربوها، إذا علاها. والرَّبْوة والرُّبْوة: المكان المرتفع. ويقال أَرْبَت الحنطة: زكت، وهي تُرْبي)[1].

وحكىٰ ابن منظور عن الأصمعي قال: رَبُوتُ في بني فلان أَرْبو نشأتُ فيهم، ورَبَّيْتُ فلانًا أُرَبِّيه تَرْبيةً وتَرَبَّيْتُهُ ورَبَبْتُهُ ورَبَّبْتُه بمعنىٰ واحد. وعن الجوهري قال: رَبَّبْتُه تَرْبِية وتَرَبَّيْتُه أي غذوته، هذا لكل ما يَنْمِي كالولد والزرع ونحوه[2].

وقد جاءت هذ اللفظة في كتاب الله تعالىٰ، قال سبحانه في حق الوالدين: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء:٢٤]. وقال تعالىٰ حكاية عن قول فرعون لموسىٰ: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:١٨]. وتداولها المتقدمون من أهل العلم والمتأخرون. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية تعقيبًا علىٰ

(١) مقاييس اللغة ٢/ ٤٨٣.
(٢) لسان العرب ١٤/ ٣٠٧.

حديث «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1]: (وذكر ﷺ الأبوين لأنهما الأصل العام الغالب في تربية الأطفال، فإنَّ كل طفل فلا بد له من أبوين، وهما اللذان يربيانه مع بقائهما وقدرتهما، بخلاف ما إذا ماتا أو عجزا لسبي الولد عنهما أو غير ذلك)[2].

وأفرد ابن القيم في كتابه تحفة المودود في أحكام المولود بابًا بعنوان: (الباب السادس عشر في فصول نافعة في تربية الأطفال تحمد عواقبها عند الكبر). وفي استنباطه للفوائد من قول النبي ﷺ: «وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء»[3] قال: (وفيه أيضًا تنبيه لأهل العلم علىٰ تربية الأمة كما يربي الوالد ولده؛ فيربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلىٰ كباره، وتحميلهم منه ما يطيقون، كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه؛ فإنَّ أرواح البشر بالنسبة إلىٰ الأنبياء والرسل كالأطفال بالنسبة إلىٰ آبائهم، بل دون هذه النسبة بكثير، ولهذا كل روحٍ لم يربها الرسول لم تفلح ولم تصلح لصالحة، كما قيل:

ومن لا يربِّيه الرسولُ وَيَسْقِهِ ... لبانَ هُدىً قد دَرَّ من ثدي قُدْسِهِ

فذاك لقيطٌ ما له نِسبةُ الوَلا ... ولا يتعدىٰ طَوْرَ أبناءِ جنسِهِ)[4].

وما ذكرته لك فهو لإزالة اللبس في مسألة استعمال لفظة التربية. وربما يقال إنها أظهر في حق الأطفال منها في غيرهم، فلما كثرت الحاجة إلىٰ تحقيق جزئيات التربية في غير الأطفال استعملت، والله أعلم.

وفي واقع الأمر لقد بذل أهل العلم والإصلاح جهودًا تربوية كبيرة؛ وإنْ لم يكن هذا الاسم شائعًا عندهم، لكنه موجود، كما في قول ابن القيم آنف الذكر. وتأمل معي

---

(١) أخرجه البخاري ح ١٣٦٧.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٣١.

(٣) أخرجه أبو داود ح ٣٦٤١.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ١٨٠.

هذا النص الذي سأنقله لك عن الشاطبي، والذي يتحدث فيه عن ضرورة التربية في التعليم وكونها سنة منقولة عن النبي ﷺ وأصحابه الكرام والتابعين وأئمة الإسلام عبر القرون، يقول رحمه الله: (وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات، وهي ثلاث، إحداها: العمل بما علم؛ حتىٰ يكون قوله مطابقًا لفعله، فإنْ كان مخالفًا له؛ فليس بأهل لأنْ يؤخذ عنه، ولا أنْ يقتدىٰ به في علم.

والثانية: أنْ يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم؛ لأخذه عنهم وملازمته لهم، فهو الجدير بأنْ يتصف بما اتصفوا به من ذلك، وهكذا كان شأن السلف الصالح، فأول ذلك ملازمة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ وأخذهم بأقواله وأفعاله، واعتمادهم علىٰ ما يرد منه، كائنًا ما كان، وعلىٰ أي وجه صدر؛ فهم فهموا مغزىٰ ما أراد به أولًا حتىٰ علموا وتيقنوا أنه الحق الذي لا يعارض، والحكمة التي لا ينكسر قانونها، ولا يحوم النقص حول حمىٰ كمالها، وإنما ذلك بكثرة الملازمة، وشدة المثابرة، وصار مثل ذلك أصلًا لمن بعدهم؛ فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتىٰ فقهوا ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية، وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالمًا اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة واشتهر في قرنه بمثل ذلك، وقلما وُجدت فرقة زائغة ولا أحد مخالف للسنة إلا وهو مفارق لهذا الوصف، وبضد ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم.

والثالثة: الاقتداء بمن أخذ عنه والتأدب بأدبه، كما علمت من اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ واقتداء التابعين بالصحابة، وهكذا في كل قرن، وبهذا الوصف امتاز مالك عن أضرابه - أعني: بشدة الاتصاف به -، وإلا فالجميع ممن يهتدىٰ به في الدين، كذلك كانوا، ولكن مالكًا اشتهر بالمبالغة في هذا المعنىٰ، فلما تُرك هذا الوصف رفعت البدع رؤوسها)[1].

(١) الموافقات ١/ ١٤١-١٤٥ مختصرًا.

وهذا النص للشاطبي يجلي لك منهج التعليم الأصيل الذي يشتمل علىٰ التربية والتأديب والتهذيب، فلم يكن التعليم قاصرًا علىٰ إلقاء المعلومات وتدريس المتون فحسب، بل كان إضافة إلىٰ ذلك منظومة متكاملة لإصلاح المتعلم وصناعة عقله وتهذيب أخلاقه وتزويده بالخبرات، ونحو ذلك من عمليات التربية، ولا مشاحة في الاصطلاح.

وللتربية العديد من التعريفات الاصطلاحية، حيث أصبح استعمالها في القرون المتأخرة متفشيًا وتبنّته الدول الحديثة باعتبار دلالته علىٰ التعليم الموجَّه، ففي المعجم الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: (التربية هي مجموع التفاعلات والممارسات والتأثيرات التي تهدف إلىٰ تلقين الطفل القيم والسلوكيات وتعويده علىٰ عادات المجتمع وتقاليده، كذلك تطوير استعدادات وكفايات ذات رتبة فيزيائية وفكرية وأخلاقية واجتماعية، تخول لكل شخص أخْذ وضع في المجتمع وتحقيق الذات عبر مختلف أبعاد الشخصية، وهي كذلك اهتمام مزدوج يستهدف تارة إدماج الشباب في المجتمع، وتارة أخرىٰ جعلهم مستقلين بذواتهم)[1]. وجاء تعريف التربية في لغة التربويين الصادر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج بأنها: (كل نشاط منظّم قُصد به تهذيب سلوك الإنسان وتزويده بالقيم والمعارف وإنماء مهارات التفكير لديه بما يجعله قادرًا علىٰ التكيّف مع بيئته وقادرًا علىٰ التعلم ذاتيًا)[2].

وعلىٰ اختلاف العبارات التعريفية للتربية، إلا أنها في مضمونها تصب في: النشاط التعليمي الذي يُقصد به تغيير الإنسان والانتقال به من حالته الراهنة التي هو عليها إلىٰ حالة نموذجية مأمولة.

---

(١) المعجم الموحد لمصطلحات المناهج وطرق التدريس ص ٣٦.
(٢) لغة التربويين ص ٩٠.

وإذا تأملنا اشتقاق التربية في اللغة وتعريفها، فإننا سنخرج بعدد من الدلالات المهمة:

١. التربية تحمل معنىٰ النمو والزيادة، وقد ورد هذا نصًا في قول النبي ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإنَّ الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه، حتىٰ تكون مثل الجبل»[1]. فالأصل أنَّ التربية تتضمن هذين المعنيين – أعني النمو والزيادة – في مقصودها وأهدافها، وما لم تتضمنهما في الواقع فإنَّ علينا مراجعة هذا العمل وتصحيحه لأنه فقد روحه وجوهره.

٢. النمو يفيد (التدرج) وليس (الطفرة)، وهنا يبرز عامل الزمن باعتباره ظرفًا للتدرج في التربية. وعمليًا تفيدنا دلالة الزمن بأهمية الصبر وطول النفَس وعدم استعجال النتائج والثمار في التربية، فإنَّ التربية الجيدة ستُحدث التغيير المطلوب إنْ شاء الله، ولكن بشكل بطيء وربما يطول أمده، فهي إذًا حتمية التأثير ولو طال الزمان.

وبالمقابل فإنَّ نواتج الطفرة لا تستطيع الصمود أمام نواتج التدرج، أي أنَّ الثبات والديمومة إنما تكتب لما ينتج عن التدرج بسبب ما، لما يحدثه عامل الزمن من إنضاج وإحسان.

٣. التربية ليست عملية توجيه وتلقين فقط، بل تشمل الرعاية والإصلاح والتهذيب، وهي ليست قصرًا علىٰ غرس التدين فحسب، بل تشمل أيضًا البدن «كما يربي أحدكم فلوه» أي مهره، كما تشمل جانب العقل والتفكر والنفس ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤]. فهي إذن عملية تحسين شمولية للإنسان في مكوناته كافة، وهي تغيير حقيقي نحدثه في كل عناصر الإنسان.

---

(١) أخرجه البخاري ح ١٤٢١.

٤. التربية في معناها الاصطلاحي تحمل معنىٰ إداريًا، فهي عملية منظمة توصل إلىٰ هدف، وبالتالي ينبغي التعامل معها بهذا الوصف، وإذا كانت الإدارة تعني الاستثمار الأمثل للموارد من أجل تحقيق الأهداف، فإنَّ المؤسسات التربوية أحوج إلىٰ هذا المعنىٰ في عمل جليل القدر بحجم التربية، لتتحقق الأهداف في أحسن صورها.

٥. الحالة النموذجية «أو الهدف التربوي» تتغير من أمة إلىٰ أمة رغم الاتفاق علىٰ مفهوم التربية، حسب ثقافتها ومعتقداتها، ولذلك قال خبير التعليم في بريطانيا «سيربرسي نَنْ»: (لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتربية، ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليها جميعًا: أنَّ التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعبٍ ومربّوه لإنشاء الأجيال القادمة علىٰ أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها. إنَّ وظيفة المدرسة أنْ تمنح للقوىٰ الروحية فرصة التأثير في التلميذ، تلك القوىٰ الروحية التي تتصل بنظرية الحياة، وتربي التلميذ تربية تمكّن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمد يدها إلىٰ الأمام)[1].

التربية في كل أمة لا تنفصل عن عقيدتها، ولذلك حين نقول: الحالة النموذجية، يجب علىٰ المؤسسة التربوية الإسلامية - في حجمها الكبير أو الصغير - أنْ يكون لديها تعريف واضح لهذه الحالة الإسلامية للتربية، ومواصفات ومعايير، ليكون هدف التربية جليًا واضحًا للمخططين والعاملين.

٦. وإن كان المفترض في سير التربية الصعود الدائم، إلا أنَّ وجود احتمالات السقوط والهبوط واردة لعدد من الاعتبارات، منها: الطبيعة البشرية ذات النوازع والرغبات التي تغلب أحيانًا علىٰ الروح والعقل، وقد أخبرنا الله تعالىٰ عن نحو هذا

(١) انظر: نحو التربية الإسلامية الحرة، ص ٧٥ وما بعدها.

فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧]. وقال في حق جماعة من أصحاب النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]. ومنها: الآفات والعوارض التي تعرض للإنسان في تربيته، كما تعرض له الأمراض والأوبئة والكوارث في تنشئته.

لكن التربية قادرة علىٰ تجاوز هذه الآفات والعوارض بأقل الخسائر، ولربما بأفضل النتائج؛ إذا أحسنا التعامل معها في برنامجنا التربوي، وهذا عامل قوة في التربية الإسلامية.

٧. كل تزكية تربية، وليس كل تربية تزكية؛ لأنَّ التزكية لا تكون بغير معاني الإسلام، بينما التربية يمكن أنْ تكون بغير معاني الإسلام، أو بغير تزكية، كما يحدث في التربية الغربية أو التربية الشيوعية، وغير ذلك من اتجاهات التربية. أما التزكية فلا بد فيها من المعنىٰ التربوي.

٨. التعليم جزء من التربية، والتربية: تعليم وزيادة، فلا تكون تربية بدون تعليم - سواء كان التعليم منظمًا أو غير منظم - كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. فتعليمهم الكتاب جزء من كونهم ربانيين؛ علىٰ القول بأنَّ الرباني مشتق من التربية[1].

هذه بعض الملحوظات والدلالات ربما كان من المهم الإشارة إليها في سياق مفهوم التربية.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٦/ ٥٤٣.

أهمية التربية الإسلامية

ثمّة أمور تجعلنا نزداد تمسكًا بالتربية، بوصفها ضرورة استراتيجية لا خيارًا تكميليًا، وتجعلنا دائمي التذكير بأهميتها وقوتها في تنشئة الإنسان الراشد الصالح.

■ منها: أنَّ التربية مفتاح التغيير في المجتمعات، أي أنَّ المجتمعات تتغيّر حسب بوصلة التربية المقدمة فيها، سواء اتجهت إلىٰ الخير أو اتجهت إلىٰ الشر، ولهذا فإنَّ كثيرًا من الجهود الإصلاحية التي أُسست علىٰ مبدأ التربية والتعليم استطاعت أنْ تُحدث التغيير في مجتمعاتها، ومن الأمثلة القريبة والواضحة ما قامت به جمعية العلماء المسلمين بالجزائر من جهد تربوي، عكفت عليه في ظل وجود المستعمر في بلدها، يحكم البلد ويتحكم في الموارد ويفرض المناهج، حتىٰ آتت ثمار عملها بإذن الله.

وفي خطاب له قال البشير الإبراهيمي رحمه الله: (إنَّ المهمة التي تقوم جمعية العلماء المسلمين بأدائها – وهي السير بهذه الأمة إلىٰ الحياة من طريق العلم والدين – هي أقوم الطرق وأمثلها وأوفقها لمزاج الأمة)[1].

■ التغيير بلا تربية قفزٌ علىٰ المراحل وحرق للأوراق وإهدار للمقدرات، ولذلك سجل د. مصطفىٰ حجازي ملاحظته القيِّمة علىٰ حركات التحرر التي لم تعتنِ بجانب التربية بوصفها مرتكزًا للتغيير، فقال: (تدل الشواهد التاريخية علىٰ أنَّ تحرر شعب ما من الاحتلال أو القهر والاستبداد واسترداد حريته الوطنية لا يضمنان

(١) آثار الإمام البشير الإبراهيمي ١/ ١٤٢.

له حُسن استغلالها ذاتيًا بالضرورة. رفع الاحتلال هو نصف المعركة، ويبقىٰ نصفها الآخر المتمثل في ترميم الدمار الذاتي الذي غرسه الاستعمار أو الاستبداد في النفوس. بذلك وحده تسترد إمكانية إطلاق الطاقات الحية الأصيلة، وتتحرك آلية النماء ذاتيًا ووطنيًا)[1].

■ ومنها: أنَّ التربية منهج ارتضاه الله تعالىٰ لرسوله ﷺ في بعثه للأمة الجديدة، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]. وهو منهج واضح معلوم لدىٰ الأنبياء، لذلك دعا إبراهيم عليه السلام ربه تعالىٰ أن ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]. وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]. ومن المعلوم المتحقق علمه أنَّه ﷺ اعتمد ضمن بناء دعوته علىٰ تربية الأصحاب، الذين قامت علىٰ أكتافهم بعد ذلك الدعوة الخالدة الراسخة في الأرض، فما يستطيع اقتلاعها أحد أو جماعة أو كيان. فالعاملون في صفوف التربية من آباء وأمهات ومربّين ومربيات إنما يسيرون علىٰ الخطىٰ التي سار عليها الأنبياء عليهم الصلاة السلام، يعلّمون ويزكّون، وكلما اجتهد الإنسان في الاقتداء بهم كان أقرب إلىٰ السداد والعصمة من غيره.

ولم يفتأ فقهاء التربية الإسلامية من متقدمي هذه الأمة ثم متأخريها ثم معاصريها، ينقلون لنا علمهم وخبرتهم في التربية، مستهدين بهدي القرآن، ومستنّين بسنة رسول الله ﷺ، فكانت الأمة في كل مرة تغفو يبعث الله فيها هؤلاء الجهابذة ليوقظوا وجدانها وليصححوا مسارها وليغرسوا فيها الفضائل وعادات الخير.

---

(١) الإنسان المهدور، ص ٣٢٠.

■ ومنها: أنَّ التربية عمود الحضارات، منها تنشأ الحضارات، وبها تقوم، وعلىٰ قدر متانتها يعتمد ارتفاعها، وبثباتها يطول عمرها، ومنذ اللحظة الأولىٰ التي التقىٰ فيها جبريل بمحمد عليهما الصلاة والسلام في غار حراء، تأسس هذا المعنىٰ في أدبيات الدعوة الإسلامية، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

بل إنَّ الله تعالىٰ ربّىٰ نبيه محمدًا ﷺ قبل أنْ يبعثه، ليهيئه لرفع قواعد الدعوة الإسلامية، ومن ذلكم: يتمه ورعيه للغنم وعمله في التجارة وسفره إلىٰ الشام وتحمله المسؤوليات وعيشه مع الكبار من أهل الحكمة والشرف كجده عبد المطلب وعمه أبي طالب، وتحنثه في غار حراء قبيل مبعثه.

إنَّ تأسيس الحياة علىٰ هدي الإسلام ومنهج القرآن لا يتأتىٰ بغير تربية، سواء كانت هذه التربية خاصة بأهل العزائم والنجباء الذين يحملونه في خاصة أنفسهم ويحملون الناس عليه، أو كانت التربية لعموم المسلمين كلٌّ بحسبه.

وليس هذا مقتصرًا علىٰ تربية المسلمين؛ فحتىٰ المجتمعات الكافرة والمنحرفة لا ترىٰ مناصًا من وجود منهج تربوي يصبغ الناس بما يتواءم ومعتقدات هذه المجتمعات.

■ ومنها: أنَّ التربية شرط الانتفاع بالعلم، لذلك جرت سنة الرسول ﷺ ومن بعده في التعليم أنْ تكون التربية علىٰ الإيمان مؤهلًا له، قال جندب بن عبد الله رضي الله عنه: (كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أنْ نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا)[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح ٦١.

وقد سبق أنْ نقلت لك قول الشاطبي الذي لا يرىٰ فيه أخذ العلم عمن لم يربِّه الشيوخ، فيقول: (وللعالم المتحقق بالعلم أماراتٌ وعلامات وهي ثلاث؛ إحداها: العمل بما علم؛ حتىٰ يكون قوله مطابقًا لفعله، فإن كان مخالفًا له؛ فليس بأهل لأنْ يؤخذ عنه، ولا أنْ يُقتدىٰ به في علم. والثانية: أنْ يكون ممن ربَّاه الشيوخ في ذلك العلم؛ لأخذه عنهم، وملازمته لهم؛ فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك، وهكذا كان شأن السلف الصالح. والثالثة: الاقتداء بمن أخذ عنه، والتأدب بأدبه)[1]. وإذا تأملت هذه العلامات الثلاث وجدتها معالم تربوية، ألست ترىٰ أنَّ النبي ﷺ استعاذ بالله من العلم الذي لا ينفع صاحبه فلم يزده إيمانًا ولا بعثه علىٰ العمل الصالح ولا هذب أخلاقه.

وكان سلفنا الصالح يذمون من ولج في العلم بلا اعتناء بالعمل، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إنَّ من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عالم لم ينتفع بعلمه)[2]. وأنت تقرأ في كتاب الله تعالىٰ تجد ذمَّ المتعلمين من أهل الكتاب الذين لم يرفعوا بهذا العلم رأسًا، بل رغبوا في متاع الدنيا عنه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧]. فإذا تربىٰ طالب العلم علىٰ يد الشيوخ تحصَّل بإذن الله علىٰ بركة العلم وظهر علىٰ سمته ودله.

■ ومنها: كل مجتمع وكل أسرة وكل كيان يربي أفراده، وكل إنسان في هذا الكيان والأسرة والمجتمع يتلقىٰ تربية، إما تربية مقصودة مخطط لها، وإما عشوائية تلقائية يفرضها الواقع المحيط، لذلك نجد الإنسان يتأثر بهذا الواقع المحيط فيتعلم

---

(١) الموافقات ١/ ١٣٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٦٢٧.

منه السلوكيات والعادات المختلفة، سواء كانت خيرًا كالكرم والشهامة والشجاعة وحفظ العرض، أو كانت شرًا كالاحتيال والفساد والعدوان والذل، فكل مجتمع يصبغ أهله بالعادات الغالبة. ومن ثم، فإنَّ الاعتناء بالتربية الإسلامية تنقل هذه المحيطات والمجتمعات والأفراد من التنشئة وفقًا لظروف بيئتهم ومحيطهم، إلىٰ التنشئة وفقًا للتربية المقصودة المخطط لها، والتي ترتقي بهم في مدارج الصلاح والكمال.

■ ومنها أنَّ التربية هي التي تصنع جميع الأفراد العاملين في المجتمع، فهي التي تصنع العلماء والمفكرين والمخترعين والمبدعين وقادة العمل الاجتماعي والعمل الخيري والحكومي وغيرهم، وعند وجود خلل في تربيتهم وتكوينهم سينعكس أثر ذلك سلبًا علىٰ قوة المجتمع وأداء مؤسساته، فقوة المجتمع وقوة مؤسساته بحسب قوة تربية قادته وعلمائه وطاقاته.

■ ومنها: أنَّ التربية هي الواجب الممكن والمقدور عليه في كل الظروف والأحوال أو أغلبها، في حالة الرخاء والغنىٰ وحالة المسغبة والفقر، وفي حالة الأمن وحالة الخوف، وفي حالة الاستقرار وحالة الاضطراب؛ إذ التربية في جوهرها بناء للإنسان وتهذيب له، فالبناء ممكن في كل حال، إلا أنه تتغير درجاته من حال إلىٰ حال، وتتفاوت مستوياته من ظرف إلىٰ ظرف. أما الحال التي لا يمكن فيها القيام بأي جهد تربوي فهي حال استثنائية شاذة، لا حكم لها.

الوالدان لا ينفكان عن تقديم جهد تربوي لأولادهما مهما كانت الظروف، وكذلك المربون يستطيعون أنْ يقدموا جهدًا تربويًا يتناسب والظروف التي تحيط بهم.

بل إنَّ الشواهد لتدل علىٰ أنَّ التربية في زمن الشدائد تؤتي نتائج أكثر عمقًا ورسوخًا من التربية في زمن الرخاء والسعة، وفي كلٍّ خير. وما علىٰ الإنسان إلا

أنْ يبذل المستطاع الذي كلفه الله به، فإذا فعل ذلك فإنَّ الله تعالىٰ سيعينه ويهديه إلىٰ أفضل السبل كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

■ ومنها: أنَّ التربية هي أحد خطوط الدفاع الأخيرة عن الأمة وهويتها، إذ هي تراهن علىٰ ذات الإنسان، من داخله؛ قلبِه وجوارحِه وكيانِه، فتقيمها لله ولو كان حولها عشرات الأصنام والأوثان، وتنقي تصوراتها ولو غُمر إدراكها من الوسائط الإعلامية الفاسدة والمقررات التعليمية المنحرفة، وهذا المعنىٰ أستقيه من حديث الرسول الكريم ﷺ: «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

ومحل الشاهد هنا هو قدرة القلب علىٰ الاحتفاظ بحياته رغم إحاطة الباطل به إحاطة السوار بالمعصم، فإنَّ تغذيته وتربيته علىٰ مفاهيم القرآن والسنة ونقاء التوحيد والتحرر من أسر الشهوات، هو الحصن الأخير الذي تلوذ به معاني الإيمان في القلب، ثم لا يلبث أنْ ينبعث الإنسان المؤمن هذا من جديد، ليحمل الرسالة ويقيم الدين فيمن حوله، ثم هو سيدافع عن الأمة وهويتها وأرضها بعد ذلك.

وعن ثوبان ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أنْ تداعىٰ عليكم كما تداعىٰ الأَكَلة إلىٰ قصعتها». فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله مِن صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»[2].

---

(١) أخرجه مسلم ح ٧٨.
(٢) أخرجه أبو داود ح ٤٢٩٧.

فتأمل – يا رعاك الله – كيف يلفت الحديث نظرك إلىٰ نقطة التركيز في سبب تداعي الأكلة، إنها أمراض النفوس.. أمراضنا من داخلنا هي الموجبة لتداعي الأمم علينا، وهي سبب ضعفنا وهواننا عليها، وهذا فيه إشارة جلية إلىٰ أنَّ تزكية النفوس وتربيتها علىٰ الاستقامة هما مفتاح الانعتاق من قيد التداعي الأممي.

أهداف التربية الإسلامية

الأهداف التربوية هي التغيّر التربوي الذي ترغب المؤسسة التربوية إحداثه في الطالب، وفي معجم المنظمة العربية هي: (تعبير عن سلوك التلميذ وإنجازاته المرغوب فيها، وعن نتائج سيرورة التعليم والتعلُّم المخطط لها، والمتمثلة في جملة الآثار المنشودة من العملية التعليمية – التعلمية سواء علىٰ المستوىٰ البعيد أو المتوسط أو القصير، والتي تكون عبارة عن مواقف أو قدرات أو مهارات تنمو بشكل كامل ومتدرج عبر مختلف المراحل التعليمية لتصل إلىٰ إنتاج الإنسان المثال الذي تسعىٰ المنظومة التربوية إلىٰ تكوينه)[1]. فكل عمل تربوي لا بدَّ وأنْ يُحْدِث تغيُّرًا في الطالب.

والأهداف التربوية تجعل هذا التغيُّر مقصودًا بذاته، يتطلَّع المربي إليه ويسعىٰ نحوه ويبني برنامجه التربوي في ضوئه، فالمربي إذن يبدأ عمله التربوي وقد رسم النتيجة في ذهنه.

مثال ذلك: أنْ يلتزم الطالب الآداب الإسلامية في شؤون حياته. هذا هدف تربوي، ترسمه المؤسسة قبل البدء بالعمل، وتوجِّه أنشطتها التربوية لغرس هذا الهدف في نفس الطالب. وبعد جهود حقيقية في هذا النحو، ولمدة معينة محددة، نجد أنَّ الطلاب يلتزمون الآداب الإسلامية في سلوكهم ومعاشهم، وإنْ كان ذلك يتم منهم بمقادير متفاوتة.

---

(١) المعجم الموحد لمصطلحات المناهج وطرق التدريس ص ٣٧.

هذا هو مفهوم الأهداف التربوية: نتيجة تتعلق بالجانب التربوي لدىٰ الطالب، تسعىٰ المؤسسة لتحقيقها، وبالتالي لا يصح أنْ يكون الهدف التربوي مُعبِّرًا عن إجراءات التدريس وجهود التعليم، بل يعبِّر الهدفُ التربوي عن نتيجة سيؤول إليها الطالب المستفيد تجاه البرنامج التربوي.

وكما تمثل الأهداف التربوية نقطة انطلاق في التخطيط لمؤسساتنا وبرامجنا ومحاضننا التربوية، فهي أيضًا تمثل البوصلة التي توجه جهودنا وحواراتنا وأساليبنا التربوية داخل أسرنا وبيوتنا؛ إنها الشمعة الأولىٰ التي نستضيء بها في جدولة الأعمال والمفاهيم والقيم.

وغاية الغايات في التربية الإسلامية هي صناعة أجيال عارفة بإسلامها، معتزة بإيمانها، مستقيمة في سلوكها، كريمة في أخلاقها، نافعة في أمتها، مجاهدة في سبيل نصرة دينها.

والإنسان المثال في التربية الإسلامية ينبغي أنْ تُصاغ صفاته وفقًا لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا وفقًا لما جاءت به الأعراف الاجتماعية المختلفة أو الأطروحات الأممية.

■ مستويات الأهداف التربوية

بما أنَّ التخطيط التربوي ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام تأتي في سلسلة تنازلية: بعيد المدىٰ «استراتيجي»، ومتوسط المدىٰ «مرحلي»، وقصير المدىٰ «إجرائي»؛ فكذلك الأهداف التربوية المرتبطة بكل قسم من أقسام التخطيط، وفيما يلي توضيح ذلك:

المستوىٰ الأول: الأهداف العامة «الاستراتيجية»

وهي أهداف بعيدة المدىٰ لا يمكن قياسها في وحدة دراسية أو في فصل دراسي، وإنما تصف نواتج التربية النهائية بعد الانتهاء من دورة كاملة للبرامج والأنشطة، ويمكن صياغتها بعبارات عامة، وهي تصفُ منتجًا حياتيًا عامًا مرغوبًا، يَحْدث خارج العملية التربوية.

وتكمن أهمية الأهداف العامة في كونها السبيل إلىٰ ترشيح الأهداف المتفرعة عنها والأنشطة الخادمة لتلك الأهـداف، كما أنها تكشف مدىٰ ملاءمة الأنشطة والإجراءات للأهداف المتفرعة. ومن أمثلة الأهداف لهذا المستوىٰ:

- تعظيم الطلاب لحرمات الدين.
- اعتزاز الطلاب بهويتهم الإسلامية.
- تخلُّق الطلاب بأخلاق القرآن.

فأنت تلاحظ في هذه الأهداف أنه لا يمكن قياسها من خلال وحدة دراسية ولا من خلال العمل في فصل دراسي، وهي عبارات مجملة، تنضوي تحتها العديد من الأوصاف والكلمات، وهي أيضًا عبارات تصف رغبة يمكن وقوعها بعد تراكم الوحدات الدراسية والفصول الدراسية والمواقف التعليمية؛ لتكون صفة لصيقة بهم بعد ذلك في حياتهم، ولو بمقادير متفاوتة.

المستوىٰ الثاني: الأهداف المتوسطة «المرحلية»

وهي أهداف متوسطة المدىٰ، تمثِّل أجزاءً للهدف العام، وبمجموعها يتحقق ذلك الهدف العام. ويمكن صياغتها بعبارات فيها إجمال، لكنها أقل من الإجمال في الأهداف العامة، فمثلًا: (أنْ يتمثل الطالب آداب الإسلام في البيت). فتلاحظ

في الهدف أننا وصفناه بـ (أنْ يفعل) وهذا في حدِّ ذاته تحديد، غير أنَّ المفعول به في هذا الهدف شيءٌ عام مجمل (آداب الإسلام) يحتاج إلىٰ تفتيت وتجزيء ليتم إنتاجه بشكل منتظم وسلس ونافع، فنقول: أدب السلام، أدب الاستئذان، أدب الطعام، أدب الحديث، أدب النوم... إلخ.

وتصف عبارات الأهداف المتوسطة منتجًا تربويًا عامًا مرغوبًا يحدث داخل النظام التربوي. ويمكن تحديدها بزمن معين: فصل دراسي، أو عام، أو شهر، ونحو ذلك حسب الخطة التربوية، مراعين في ذلك حجم الهدف التربوي والاحتياج الزمني المقرر له، فهي إذن أهداف مرحلية باعتبارين: باعتبار الموضوع، وباعتبار الزمن.

المستوىٰ الثالث: الأهـداف السلوكية، أو الإجرائية، أو التدريسية «القصيرة»

وهي أهداف قصيرة المدىٰ (آنية) يمكن صياغتها بعبارات إجرائية محددة جدًا، تصف منتجًا مرغوبًا داخل عملية التدريس الواحدة، يحدث في أثنائها أو ختامها، مع ملاحظة أنَّ عملية التدريس قد لا تكون حصة دراسية فحسب، بل تشمل كافة الأنشطة التعليمية المؤدية لذات الهدف التدريسي.

فلو قلنا إنَّ كل عملية تدريسية بكافة متعلقاتها من أنشطة وواجبات تعتبر وِحدة؛ فإن هذه الوحدة لها أهداف سلوكية محددة.

ومن أمثلة الأهداف لهذا المستوىٰ: (أنْ يذكر الطالب آداب الاستئذان علىٰ الوالدين مُرتبة). فتلاحظ في الهدف أننا وصفناه بـ (أنْ يفعل) وهذا في حدِّ ذاته تحديد، ثم حددنا كذلك المفعول به فقلنا: آداب الاستئذان، ثم جعلنا المطلوب هو ذكرها في نفس الحصة الدراسية أو الموقف التعليمي فقلنا: أنْ يذكر، ثم وضعنا

معيارًا لجودة تعلمه واستيعابه فقلنا: مرتبة، وهذا ديدن الأهداف القصيرة والإجرائية والسلوكية.

فإذا تحقق مجموع الأهداف القصيرة المتعلقة بالوحدات الدراسية، لزم منها تحقق الأهداف المتوسطة والمرحلية. وإذا تحقق مجموع هذه الأخيرة معًا، تحقق بها الهدف العام ونجحت الخطة التربوية المؤسسية.

وهذا المستوىٰ من الأهداف يتحمّل مسؤولية تحقيقه المربون الذين يباشرون العمل التربوي والتعليمي مع الطلاب، والذين يقدمون المواد التعليمية والوحدات الدراسية والأنشطة التربوية؛ فهم حجر الزاوية في تحقيق الأهداف التربوية، وعليهم التعويل في نجاح المؤسسات التربوية، ولهم من الله تعالىٰ الأجر الكثير والشكر الجزيل علىٰ ما يقدمونه من ارتقاء بالطلبة إلىٰ أفضل ما يكون.

وهذه الأهداف السلوكية تشمل مجالات التعلم الثلاثة: المعرفية والمهارية والوجدانية، وتفصيلها - حسب مصنف بلوم وزملائه - كما يلي[1]:

(لاحظ الفعل السلوكي للمستوىٰ وتحويله إلىٰ هدف سلوكي إجرائي).

(١) دليل معلم العلوم الشرعية ص ٨٢-٨٤ بتصرف يسير.

المجال المعرفي			
المستوىٰ	التعريف	أفعال سلوكية	أمثلة للأهداف السلوكية
التذكر	تذكر المعلومة التي سبق للطالب دراستها، كتذكر التعريفات والمصطلحات والحقائق	يتذكر، يعرف، يسمي، يختار، يتعرف	- أنْ يعرف الطالب الشرك الأصغر. - أنْ يعدد الطالب شروط صحة البيع.
الفهم	إدراك معنىٰ المادة التي يدرسها	يترجم، يستنتج، يفسر، يلخص، يميز	- أنْ يستنتج الطالب حكمة تحريم الربا. - أنْ يلخص الطالب أسباب الانحراف العقدي.
التطبيق	استخدام الطالب ما تعلمه في مواقف جديدة غير مألوفة له	يطبق، يبيّن، يوظف، يستخدم	- أنْ يطبق الطالب المد - المنفصل في تلاوته. - أنْ يطبق الطالب سنن الوضوء عندما يتوضأ.
التحليل	تحليل المادة التعليمية إلىٰ عناصرها الأساسية، ويتضمن تحليل العناصر والعلاقات والمبادئ	يحلل، يفكك، يفحص، يقارن، يثمن	- أنْ يقارن الطالب بين الشرك والنفاق. - أنْ يوجد الطالب العلاقة بين الإسلام والإيمان.
التركيب	القدرة علىٰ التعامل مع الأجزاء وربطها معًا لتكون تركيبًا جيدًا	يخطط، يصمم، يتنبأ، ينشئ، يؤلف، يخترع	- أنْ يكتب الطالب قصة قصيرة عن الإخلاص. - أنْ ينظم الطالب غزوات الرسول ﷺ في رسم تخطيطي.
التقويم	الحكم علىٰ قيمة الأفكار أو الأعمال أو الوسائل أو الحلول في ضوء معيار معين	يبرر، يفند، يقيم، يغاير، يناقش	- أنْ ينتقد الطالب مقالة تحوي أخطاء عقدية. - أنْ يبين الطالب أخطاء التلاوة في المادة الصوتية.

المجال المهاري			
المستوىٰ	التعريف	أفعال سلوكية	أمثلة للأهداف سلوكية
الاستقبال	عملية الإدراك الحسي والإحساس الذي يؤدي إلىٰ نشاط حركي	يكتشف، يطرق، يعزل، يميز، يتعرف	- أنْ يتعرف الطالب على كيفية أداء السجود بطريقة صحيحة.
التهيئة	الاستعداد والتهيئة لسلوك معين	يظهر، يستجيب، يبدأ، يخطو	- أنْ يبدي الطالب رغبة في استخدام الحاسب للبحث عن الأحاديث النبوية.
الاستجابة الموجهة	التقليد والمحاولة والخطأ في ضوء معيار معين	يحلل، يجهز، يقيس، يفحص، يقوم	- أنْ يؤدي الطالب التيمم وفقًا لتعليمات المعلم. - أنْ يطبق الطالب الجلسة بين السجدتين كما وردت في الحديث.
الاستجابة الميكانيكية	الأداء بعد تعلم المهارة بثقة	يؤدي، يربط، يحلل، ينظم	- أنْ يطبق الطالب أحكام الميم الساكنة في تلاوته.
الاستجابة المركبة	أداء المهارات المركبة بدقة وسرعة	يؤدي، يربط، يحلل، ينظم	- أنْ يطبق الطالب أحكام المدود دون خطأ.
التكيّف	خاص بالمهارات التي يطورها المتعلم ويقدم نماذج مختلفة لها تبعًا للموقف الذي يواجهه	يكيف، يلائم، يغير، ينقح، يعدل	- أنْ ينوع الطالب من نبرة صوته عند القراءة الجهرية طبقًا لطبيعة المستمعين.
التنظيم والابتكار	إبداع أو تطوير مهارات حركية جديدة	ينظم، يطور، يبدع، يصمم	- أنْ يصمم الطالب شريحة حاسوبية لتوضيح زكاة بهيمة الأنعام.

المجال الوجداني			
المستوىٰ	التعريف	أفعال سلوكية	أمثلة للأهداف السلوكية
التقبّل	الاهتمام بوجود مثيرات معينة والرغبة في تلقيها	يصغي، يتقبّل، يتابع، يبدي اهتمامًا	- أنْ يصغي الطالب لتلاوة زميله. - أنْ يتقبل الطالب رأي زميله المخالف له.
الاستجابة	المشاركة الإيجابية من الطالب في الموضوع والتفاعل معه	يتابع، يناقش، يروي، يسهم، يعاون	- أنْ يسهم الطالب في الحوار مع زملائه عن حقوق الجار. - أنْ يستمتع الطالب بتنظيف مصلى المدرسة.
التقييم	القيمة التي يعطيها الطالب لشيء معين	يسهم، يقترح، يؤمن، يدعم، يبادر	- أنْ يقدر الطالب أهمية التفكير العملي في حل المشكلات الزوجية. - أنْ يستشعر الطالب أهمية القواعد الفقهية في النوازل المعاصرة.
التنظيم	الاهتمام ببناء نظام قيمي يتسم بالثبات والاتساق الداخلي	يدعم، يعدل، يؤثر، يتمسك بـ، يقارن، يوازن	- أنْ يتمسك الطالب بالمحافظة على حقوق الآخرين. - أنْ يوازن الطالب بين الحرية والمسؤولية.
التخصيص	تكوين قيم منظمة تتسم بالاتساق الداخلي وتسيطر على سلوك الفرد فترة من الزمن وخاصة بنظام حياته	يتحقق من، يقترح، يؤثر، يتبنى، يثابر، يخدم	- أنْ يظهر الطالب ضبط نفسه في المواقف الانفعالية. - أنْ يظهر الطالب وعيًا بمشكلات المجتمع.

وفي مصفوفة الأهداف السلوكية السابقة قرابة تسعين مثالًا يمكن صياغة الأهداف السلوكية داخل الدروس والأنشطة منها أو علىٰ غرارها، وعلىٰ المربي فهمها جيدًا وبناء الخطة السلوكية وفقها.

وعلىٰ صعيد الأهداف العامة والاستراتيجية، نحن اليوم أمام وسائط إعلامية واجتماعية وثقافية تؤثر في الشباب علىٰ صعيد الشهوات، كما تؤثر فيهم علىٰ صعيد الشبهات، وتضرب القيم وتمزق الهوية وتقتلع المروءات، وتحسّن القبيح وتقبّح الحسن.

كل ذلك يقتضي منا أنْ نصوغ أهدافًا تربوية نعتقد أنها أولوية أو حيوية، متنوعة حسب المعطيات الخاصة بكل مؤسسة تربوية. وفي هذا الإطار أذكِّر بما يلي:

■ أولًا: أهمية الاعتناء بمحكمات الشريعة وأصول الإسلام، ورفع شأنها في الخطاب التربوي، ووضعها في مصاف الأهداف التربوية الكبرىٰ، فبها يُحفظ الإسلام والتوحيد، ويتحصن الناس من الهجمة العلمانية المكثفة، ومنها يستطيع الشباب أنْ ينطلقوا في فضاءات التدين وسعة الإسلام.

وقد أخبرنا الله عز وجل أنَّ هذه المحكمات هي الأصل والمنطلق والأساس والنواة، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]. فوصفها بأنها أمّ الكتاب.

وفي بيان ماهيتها يقول الشاطبي رحمه الله تعالىٰ: (أُمُّ الكتاب يعمُّ ما هو من الأصول الاعتقادية أو العملية)[1]. والشاطبي في هذا يبيّن أنَّ أمهات الأحكام الفقهية والتي يسميها الأصول العملية، تأخذ حكم الأصول الاعتقادية في وجوب الإيمان بها والالتزام بمقتضياتها، فيقول: (فإنَّ المخالفَ في أصلٍ من أصول

(١) الموافقات ٥/ ١٤٥.

الشريعة العملية لا يَقْصُر عن المخالف في أصل من الأصول الاعتقادية في هدم القواعد الشرعية)[1].

أما الشافعي فيسميها علم العامة والعلم العام، فيقول عنها: (لا يسعُ بالغًا غيرَ مغلوب علىٰ عقلِه جهلُه مثل الصلواتِ الخمس، وأنَّ لله علىٰ الناس صوم شهر رمضان، وحجِ البيت إذا استطاعوه، وزكـاةٍ في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر، وما كان في معنىٰ هذا؛ مما كُلِّف العباد أنْ يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأنْ يكفوا عنهم ما حرم عليهم منه. وهذا الصنف كله من العلم موجودٌ نصًا في كتاب الله، وموجود عامًا عند أهل الإسلام، ينقله عوامهم عمن مضىٰ من عوامهم، يحكونه عن رسول الله، ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم. وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر، ولا التأويل، ولا يجوز فيه التنازع)[2].

وقد اجتهد الفقهاء رحمة الله عليهم في الاعتناء بمسألة (أم الكتاب) ورسموا لنا خرائط تفصيلية متنوعة شديدة الوضوح، نستطيع من خلالها معرفة هذه (الأم) وكيفية القيام بها وطرق المحافظة عليها وتنميتها. ويمثّل باب الضرورات الخمس نموذجًا تطبيقيًا لذلك؛ علىٰ سبيل المثال لا الحصر.

ودراسة المحكمات تكسب صاحبها منهجية تفكير دقيقة في التعامل مع تطبيق الأحكام الشرعية (باب المصالح والمفاسد والمفاضلة بينهما)، فيصير المربي بذلك فقيهًا، ويكون قادرًا علىٰ صياغة الأهداف التربوية التي تتطلبها المعطيات بشكل أفضل.

---

(١) الموافقات ٥/ ١٤٧.

(٢) الرسالة ص ٣٥٧.

■ ثانيًا: الأهداف التربوية هي التي تحدد لنا شكل المحضن التربوي وقوالب العمل المطلوبة، وليس العكس، فربما اقتضت أهدافنا التربوية تغيير بعض أجزاء العمل، أو تغيير بعض بيئات العمل، أو صناعة قوالب جديدة من المحاضن التربوية، أو تصميم مقررات مختلفة، أو الاكتفاء ببرامج تربوية قصيرة دون الحاجة إلىٰ تأسيس محاضن.

ومن المؤكد أننا بحاجة إلىٰ استهداف شرائح جديدة متخصصة حسب المهنة أو حسب الدراسة الأكاديمية أو حسب الميول الشخصية أو حسب الحالة الاجتماعية أو حسب الحالة الدينية للمجتمع، أو غير ذلك.

ونحن اليوم أمام مستجدات كثيرة ومتنوعة، تحتم علينا مراجعة وتقويمًا لأهدافنا الحالية، والنظر بعين الاهتمام للأهداف التربوية التي تجعل الشاب هو من يحافظ علىٰ الإيمان في نفسه، وهو من يسعىٰ لزيادة الإيمان بنفسه، وهو من يتحمّل مسؤولية ثباته علىٰ الدين. كما تقوم هذه الأهداف بتمليك الشاب الأدوات اللازمة لذلك كالتنقيح والانتقاء الصحيح، لكي يستطيع بإذن الله التغلب علىٰ عقبات الإيمان والتكثر من الطاعات بشكل مطَّرِد.

■ ثالثًا: تمثل الأهداف التربوية المتخصصة بابًا من أبواب التوسع في التربية الأفقية، وأعني بها: الأهداف التي تجعل من التخصص المهني أو الدراسي أو العلمي أو غير ذلك منطلقًا لبنائها، فيصبح لدينا محضن للتربية الطبية ومحضن للتربية الاجتماعية ومحضن للتربية الاقتصادية ومحضن للتربية العلمية ومحضن للتربية الإعلامية، ونحو ذلك من التخصصات.

هذه الأهداف التربوية ستخرج لنا المتخصص الذي اصطبغ بالإسلام فكرًا وسلوكًا، والذي يجعل من تخصصه خادمًا لرسالته.

وهـذا النمط من الأهـداف التربوية سيولد لنا محاضن تربوية ابتكارية، وسيستوعب الكثيرين ممن فاتهم الالتحاق بالبرامج الحالية، وسيخدم المجتمع والأمة في كثير من التخصصات التي تنتظمها فروض الكفايات.

سمات التربية الإسلامية

كلُّ منهج تربوي في الأرض يستند إلىٰ معالم وخصائص وسمات؛ تحدد أُطره وتوجه بوصلته وتحمي ذماره. هذه السمات بمنزلة الوجه والروح والشكل، فمهما اختلفت طرائق التربية لدىٰ قوم، إلا أنها في حقيقتها تحمل نفس السمات والمعالم، وإنْ لم يكن كذلك فإنَّ المنهج التربوي يُضيع طريقه ولا يحقق غاياته.

وقد اجتهد فقهاء التربية الإسلامية فسبروا نصوص الوحي وقرأوا السيرة النبوية وتطبيقات الصحابة الكرام، فاستنبطوا من ذلكم هذه السمات العظيمة، وهي كما يلي:

١ - التربية الإسلامية ربانية المرجعية والمقصد

فهي تربية لم يكن للبشر منها سوىٰ الاتباع والاستنباط والتطبيق والاجتهاد في التكييف؛ لأنَّ مرجعيتها الوحي المعصوم، ولأنها تنتمي إلىٰ عقيدة الإسلام وشريعة محمد ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٨٦].

وبقولنا: ربانية المرجعية، فإننا ننفي عن القائمين علىٰ التربية الإسلامية عصمتهم من الخطأ؛ لأنَّ ما يقومون به هو اجتهاد معصوم المرجعية بشريّ التجربة، يخضع للتصويب وإعادة النظر ويفتقر إلىٰ الدليل. كما يجدر التنبيه في هذا السياق إلىٰ مسألة

مترتبة علىٰ بشرية التجربة، ألا وهي إمكانية تعدد التجارب وتنوع المدارس التربوية طالما تستند إلىٰ المرجعية الصحيحة، وهي الوحي المعصوم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، كما هو الحال في سائر الفنون والعلوم الشرعية، وهذا من شأنه أنْ يوسع أفق التربية.

وإذا تأملت مناهج التربية التي وضعها البشر لأنفسهم ستجدها قاصرة عن بناء الإنسان الصالح، وستجد فيها من الثغرات ما لا يسده شيء، ولهذا فهم يلجؤون إلىٰ وضع نظم تأديبية واسعة لتسد تلك الثغرات. بينما تجد المنهج الإلهي في التربية الإسلامية علىٰ خلاف ذلك، لأنَّ الذي أنزله هو الله تعالىٰ لا البشر، وهو أعلم بهم من أنفسهم، يقول سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

وبهذه الربانية اكتسب منهج التربية الإسلامية أمرين مهمين:

أولهما: عصمته من الانحراف والخطأ والضلال، لأنَّ مصدره الوحي المعصوم، وحين يوجد شيء من ذلك فإنما يوجد في التطبيق البشري الذي يَرِد عليه الخطأ.

وثانيهما: ثباته، فلا يقبل التغيير ولا في جزء منه، وهو يستمد ثباته من ثبات الشريعة التي ينتمي إليها، إذ كتب لهذه الشريعة أنْ تبقىٰ خالدة في الأرض، صالحة لكل زمان ومكان، موائمة لكل الظروف والأحوال، ولا يبقىٰ هنا سوىٰ دور المجتهدين الذي يُعملون الشريعة في واقعهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

وحيث كان منهج التربية الإسلامية رباني المصدر، فإنَّ علىٰ المربين الاستزادة من العلم الشرعي، لكي يقوموا بواجب التربية علىٰ أكمل وجه وأحسنه، إذ لا يعرف منهج التربية الإسلامية إلا بالعلم، لا بالذوق ولا بالأعراف ولا غير ذلك.

والتربية الإسلامية أيضـًا ربانية المقصد والتوجه، أي أنَّ الغاية العظمىٰ منها

تحقيق عبودية الإنسان لربه ومولاه، فإنه ما خلقه الله إلا لأجل ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:٥]. وبما أنَّ حياة الإنسان هي ميدان التربية الإسلامية، فإنَّ الله تعالىٰ حسم أمر توجهه في كل شؤون حياته إذ قال: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

٢ - التربية الإسلامية شاملة لمكونات الإنسان

فهي تربية تعالج كل مكونات الإنسان، وترتقي بكل عناصره، وتهذب كل إشكالاته، فتخاطب الروح ولا تهمل الجسد، وتخاطب الجسد ولا تهمل العقل، وتخاطب العقل ولا تهمل الروح. وقد أهملت مناهج التربية التي وضعها البشر جزءًا أو أجزاء من مكونات الإنسان، فأفقدته توازنه الفطري، وانظر علىٰ سبيل المثال تغليب الروم جانب القوة الجسدية علىٰ حساب الروح، وانظر علىٰ سبيل المثال تغليب اليونان جانب العقل علىٰ حساب الروح، ولقد نجحت التربية الغربية في بناء الفرد وإطلاق طاقاته وتربيته علىٰ الإبداع، لكنها أفلست روحيًا وقيميًا وأخلاقيًا، وحولت الإنسان إلىٰ آلة مادية منهكة روحيًا، وهكذا كل منهج منحرف يصيب الإنسان بالضلال.

والتربية الإسلامية تضيء للإنسان حياته المادية والمعنوية، وتعالج أمراضه العضوية والروحية، وتبيّن له طريق الفلاح في الدنيا وفي الآخرة.

والتربية الإسلامية تهدف إلىٰ تكوين الإنسان الراشد، الصالح في كل شيء، ولا تقتصر علىٰ صلاحه في جزء أو أجزاء من حياته، فلا تقيد صلاحه بأرض أو وطن، ولا تقيد صلاحه بعمر أو زمن، ولا تقيد صلاحه بخُلق أو شعيرة تعبدية، ولا تقيد صلاحه بظرف أو حال.

قال عبد الله بن عمرو ﷺ: دخل علي رسول الله ﷺ فقال: «ألم أُخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟». قلت: بلىٰ. قال: «فلا تفعل. قم ونم، وصم وأفطر، فإنَّ لجسدك عليك حقًا، وإنَّ لعينك عليك حقًا، وإنَّ لزورك عليك حقًا، وإنَّ لزوجك عليك حقًا، وإنك عسىٰ أنْ يطول بك عمر، وإنَّ مِن حسبك أنْ تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإنَّ بكل حسنة عشر أمثالها، فذلك الدهر كله». قال: فشددت فشُدِّد علي[1]. وفي رواية: قال ﷺ: «فإنك إذا فعلت ذلك؛ هجَمت عيناك، ونفِهت نفسك، لعينك حق، ولنفسك حق، ولأهلك حق، قم ونم، وصم وأفطر»[2].

فأنت ترىٰ أنَّ التربية بهذه السمة تحدث توازنًا في النفس الإنسانية وصلاحًا في كافة شؤون حياتها، وهذا مطلب مهم جعله الله تعالىٰ في الكون كله، فإنه سبحانه خلق الخلائق ووضع لها ميزانًا، فإذا اختل التوازن وقعت الانحرافات، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾ [الرحمن:٧-٨]. فكل انحراف عن العدل يسبّب خسارة. ألا ترىٰ أنَّ الخوارج لم يؤتوا من قبل تعبدهم وإنما أوتوا من قبل أفهامهم السقيمة! ألا ترىٰ هؤلاء الذين يقدسون العقل وينبذون الغيبيات كيف أدىٰ ذلك بهم إلىٰ السقوط الأخلاقي والقيمي!

والتربية بهذه السمة تحقق مقصود الله تعالىٰ من خلق الإنسان، حيث تتوجه كل طاقاته وإمكاناته في تحقيق العبودية لله، فتكون بذلك طاقات صالحة نافعة، تجلب الخير

(١) أخرجه البخاري ح ٦١٣٩.
(٢) أخرجه مسلم ح ١١٥٩.

وتدافع عن الحق وتدفع الباطل، فيتكوّن جيل من الناس متمسك بدينه خادم لدعوته مدافع عن أمته، مع اختلاف أفراد هذا الجيل في أنماطهم ومعاشهم وطرائق حياتهم.

٣ - التربية الإسلامية تربية مستمرة

كما أنَّ التربية تمتد عبر العصور والأزمان، فهي أيضًا تستمر مع الإنسان عبر مراحله العمرية، ولا تتوقف بالنسبة إليه إلا بالموت، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحِجر:٩٩].

وهي تربية لا تتوقف بتغيّر الظروف، بل تستمر في الرخاء والشدة، وفي الأمن والخوف، وفي الفقر والغنىٰ، وفي السلم والحرب، وفي السعة والضيق. وتأمّل كم من الآيات الكريمة التي نزلت تربي المؤمنين عقب وضع سيوفهم من حروب ومعارك دامية. ما بقي هذا الدين في الأرض وما بقيت آيات القرآن تتلىٰ تبقىٰ التربية واجبًا علىٰ الأمة المسلمة.

والوقت الطويل عامل مهم في إنضاج التربية، ولذلك نزل القرآن في مدة تقارب ربع قرن من الزمان، علىٰ اختلاف ظروف ذلك الزمان، وحين اقترح المشركون أنْ ينزل القرآن مرة واحدة في كتاب، نبّه القرآن علىٰ أنَّ هذا المقترح ينافي ناموس التربية، والذي من طبيعته: وقت طويل وتوجيه متفرق خلال هذا الوقت الطويل، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان:٣٢]. فتأمل كيف جعل الله تعالىٰ المدة الطويلة عاملًا من عوامل ثبات المؤمن علىٰ معاني الإيمان.

وفي معنىٰ الترتيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ قال ابن جرير: (تنزيله عليك الآية بعد الآية والشيء بعد الشيء)[1]. وقال السعدي: (مهَّلناه، ودرجناك

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٤٤٤.

فيه تدريجًا)[1]. وقال الواحدي: (كذلك أنزلناه مفرقًا لنقوي به قلبك فيزداد بصيرة، وذلك أنه إذا كان يأتيه الوحي متجددًا في كل أمر وحادثة كان ذلك أزيد في بصيرته وأقوىٰ لقلبه)[2]. والشوكاني يشير إلىٰ تأثير ذلك «الترتيل» في تشكيل المفاهيم وتجلية التصورات من الغبش، فيقول: (إنَّ إنزاله مفرقًا منجمًا علىٰ حسب الحوادث أقرب إلىٰ حفظك له وفهمك لمعانيه، وذلك من أعظم أسباب التثبيت)[3]. وما ذكره الشوكاني والواحدي مهم في إيضاح نقطة مركزية، وهي أنَّ طبيعة التربية والتعليم تتطلب وقتًا كافيًا لتحقيق الغاية منه، إذ لا تكتمل صورة المفهوم في أول الأمر، بل مع مرور الزمن يزداد المفهوم وضوحًا لأهمية تراكم الخبرات التعليمية في إيضاحه.

واستمرار التربية في وقت طويل يتطلب التدرج في التربية، وهو بذل الجهد التربوي شيئًا فشيئًا حتىٰ يبلغ غايته وهدفه، فإنَّ التربية الإسلامية تراعي الإنسان فيما ألفه واعتاده وأصبح جزءًا من نظام حياته، ولا تأخذ الإنسان قسرًا إلىٰ معالي الأمور، ولا تقفز علىٰ مراحل الإصلاح إلىٰ الطفرة، وإنما تأخذه شيئًا فشيئًا حتىٰ يصل إلىٰ الصورة الحسنة المأمولة، لذلك جعل السعدي ترتيل القرآن الوارد في الآية تدرجًا للنبي ﷺ وأمته، والحق أنَّ التدرج سمة لمعنىٰ التربية والنماء كما مر معك في مفهوم التربية، لذلك قال عمر بن عبد العزيز مبينًا سبب تدرجه في إصلاحه لما فسد من الأمور: (إني أعالج أمرًا لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي؛ حتىٰ حسبوه دينًا لا يرون الحقّ غيره)[4]. وحين أنكر عليه ابنه عبد الملك تباطؤه وتأخيره حملَ الناس علىٰ بعض الحق، وقال له: إني لأراك يا أبتاه قد أخَّرتَ أمورًا كثيرة كنتُ أحسبك لو

(١) تفسير السعدي ٣/ ١١٩٨.
(٢) التفسير الوسيط ٣/ ٣٤٠.
(٣) فتح القدير ٤/ ٨٥.
(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٣٧.

وليت ساعة من النهار عجلتها، ولوددتُ أنك قد فعلتَ ذلك؛ ولو فارت بي وبك القدور. فقال له عمر: (أيْ بُني! إنك علىٰ حُسن قسم الله لك، وفيك بعض رأي أهل الحداثة، والله ما أستطيع أنْ أُخرِج لهم شيئًا من الدين إلا ومعه طرف من الدنيا أستلين به قلوبهم؛ خوفًا أن ينخرق عليَّ منهم ما لا طاقة لي به)[1].

فكون التربية الإسلامية تربية مستمرة يقتضي أمرين معًا: الوقت الطويل والتدرج في التربية. عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا رضي الله عنه علىٰ اليمن، قال: «إنك تقدم علىٰ قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد علىٰ فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس»[2].

٤ - التربية الإسلامية تربية إيجابية

فهي تربية تدعو إلىٰ العمل وتجعله جزءًا من تعريف الإيمان وترتّب عليه الثواب الكثير، وتنبذ القعود والسلبية، وترفض الاكتفاء بالوجدانيات والمعارف، وتدعو إلىٰ بناء الجسور من نوافذ التنظير إلىٰ مساحات التطبيق والفعالية، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣]. تأمل كيف يعلي القرآن شأن العمل والانطلاق في الحياة بغير قيد

(١) المصدر السابق ص ٥١.

(٢) أخرجه البخاري ح ١٤٧٠.

ولا شرط سوىٰ أنْ تكون وفق منهج الله الذي أنزله من السماء إلىٰ الأرض، وإلىٰ واقع الناس وحياتهم.

والتربية الإسلامية لا تقيّد الناس بنوع محدد من العمل، بل تطلق طاقاتهم في كل أبواب الخير؛ فهي تراعي اختلاف الناس وأنماطهم ومعيشتهم كما تراعي حاجات الأمة وسبل تقويتها ورعاية أبنائها، والمهم أنْ يكون كل فرد في الأمة فاعلًا عاملًا، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبو بكر ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما علىٰ من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعىٰ أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»[1].

بل تلاحظ أنَّ الشريعة تعلي من شأن أعمال قد تبدو قليلة القدر، فعن ابن عمر ﷺ أنَّ رجلًا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلىٰ الله؟ وأي الأعمال أحب إلىٰ الله عز وجل؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلىٰ الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلىٰ الله سرور تدخله علىٰ مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأنْ أمشي مع أخٍ لي في حاجة أحب إليَّ من أنْ أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهرًا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أنْ يمضيه أمضاه ملأ الله عز وجل قلبه أمنًا يوم القيامة، ومن مشىٰ مع أخيه في حاجة حتىٰ أثبتها له أثبت الله عز وجل قدمه علىٰ الصراط يوم تزل فيه الأقدام»[2].

---

(١) أخرجه البخاري ح ١٩٠٩.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ح ٦٠٢٦. وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٩٠٦.

وعن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من قومه، قال: لقيت رسول الله ﷺ في بعض طرق المدينة وعليه إزار من قطن منبتر الحاشية، وسألته عن المعروف؟ فقال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أنْ تعطي صلة الحبل، ولو أنْ تعطي شسع النعل، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أنْ تنحي الشيء من طريق الناس يؤذيهم، ولو أنْ تلقىٰ أخاك ووجهك إليه منطلق، ولو أنْ تلقىٰ أخاك فتسلم عليه، ولو أنْ تؤنس الوحشان في الأرض، وإنْ سبك رجل بشيء يعلمه فيك وأنت تعلم فيه نحوه فلا تسبه؛ فيكون أجره لك ووزره عليه، وما سر أذنك أنْ تسمعه فاعمل به، وما ساء أذنك أن تسمعه فاجتنبه»[1].

الشريعة لا تحب أنْ يكون المؤمن ضعيفًا ولا قاعدًا ولا سلبيًا ولا كسولًا ولا عاجزًا، لذلك ورد في العديد من النصوص ذمّ تلك الأوصاف والاستعاذة منها، كما في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر»[2]. والكثير من النصوص التي لو استعرضناها هنا لطال المقام، والتي تدل بمجموعها علىٰ أنَّ التربية الإسلامية تربية عملية فاعلة، لا تربية قعود وجمود وانكفاء.

٥ - التربية الإسلامية تربية أخلاقية

فهي تعلي من شأن الأخلاق وتجعلها من أعلىٰ المطالب، وسببًا في نيل أعلىٰ المراتب، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا

(١) أخرجه أحمد ح ١٥٩٥٥، وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.
(٢) أخرجه البخاري ح ٢٨٤١.

بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]. فهذه محكمات الشريعة - كما ترىٰ - أخلاقية بالدرجة الأولىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فهي تمزج الشريعة بالأخلاق الحميدة وتحذر أهل الإيمان من كل خلق دنيء، ولذلك كان ينبغي أنْ تكون الأخلاق الحميدة من أبرز صفات المربين، فهذا رسول الله ﷺ في أبرز وصف له يمزج الشريعة بالأخلاق كما وصفته عائشة حيث قالت: (كان خلقه القرآن)[1].

وحين أخبر الله تعالىٰ الملائكة بجعل آدم في الأرض خليفة، أشارت الملائكة إلىٰ أهمية الجانب الأخلاقي في الاستخلاف، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. فالملائكة تشير إليه بوصفه أمرًا بدهيًا أنْ يكون السفك والإفساد في الإنسان لولا اهتدائه بالوحي.

وقد تعجب من اعتناء القرآن المكي بالجانب الأخلاقي في مبتدأ نزوله وتقدمه علىٰ الكثير من الأحكام الشرعية العملية، ولقد تنبّه الشاطبي إلىٰ هذه المسألة

(١) أخرجه أحمد في المسند ح ٢٤٦٠١.

فقال: (وأما ما يرجع إلىٰ الاتصاف بمكارم الأخلاق وما ينضاف إليها، فهو أول ما خوطبوا به، وأكثر ما تجد ذلك في السور المكية، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]. وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١]. إلىٰ انقضاء تلك الخصال)[1]. وكما أنَّ نبينا ﷺ بعث لإصلاح الأخلاق كما في قوله: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»[2]، وفي رواية: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[3]. أيْ أنَّ العرب لديهم أخلاق صالحة فبعث الله نبيه ﷺ ليتمّمها، بالتحسين والإكمال والتهذيب والتنقيح[4]، فكذلك المربي إنما يهذب الأخلاق ويكملها في الطالب.

٦ - التربية الإسلامية تربية واقعية

التربية الإسلامية تراعي واقع الناس ومستوىٰ تديّنهم وظروفهم وتأمر بالصبر علىٰ واقعهم هذا، فإنَّ من الناس من يجهل فروع الدين ومنهم من يجهل أصوله، ومنهم من هو قريب من مراكز العلم والدعوة ومنهم من هو بعيد عنها، ومنهم من يعيش في أسرة ملتزمة بشرع الله ومنهم من هو ليس كذلك، ومنهم من يعيش في بلدان إسلامية ومنهم من هو ليس كذلك، إلىٰ آخر الظروف والأحوال المتباينة التي راعتها التربية الإسلامية، وقد لمسنا مراعاة التربية الإسلامية لهذا الواقع.

واقع الناس كان سببًا مباشرًا في ترك النبي ﷺ إعادة بناء الكعبة علىٰ بناء إبراهيم عليه السلام، وقد أخبرت عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة! لولا أنَّ قومك حديثو عهد بشرك لهدمتُ الكعبة، فألزقتها بالأرض، وجعلتُ لها بابين: بابًا شرقيًا، وبابًا غربيًا، وزدتُ فيها ستة أذرع من الحجر، فإنَّ قريشًا اقتصرتها

(١) الموافقات ٢/ ١٢٢.
(٢) أخرجه أحمد ح ٨٩٥٢.
(٣) أخرجها البيهقي في السنن الكبرى ح ٢٠٧٨٢.
(٤) انظر: المنتقى للباجي ٧/ ٢١٣.

حيث بنت الكعبة»[1]. فتأمل كيف يصبح الواقع حاكمًا علىٰ عمليات الإصلاح، بل وفي أمرٍ عظيم كبناء الكعبة.

والتربية الإسلامية تعترف بخصائص الناس وتتعامل معهم كما هي طاقاتهم وميولهم وشخصياتهم وغرائزهم ونوازعهم، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[2]. ولا تكلِّفهم ما لا يطيقون، لكنها في ذات الوقت ترتقي بذلك الواقع وبتلك الطاقات والغرائز والنوازع والميول إلىٰ ما يستطيعون ارتقاءه من الخير والفضل.

والواقعية لا تعني إهمال الحكم الشرعي، وإنما تعني إعمال قاعدة المصالح والمفاسد والموازنات بينهما، واعتماد استراتيجية التدرج والنفَس الطويل. والتربية جزء من الإصلاح، وبالتالي فهي تنظر إلىٰ الواقع باعتباره واحدًا من المعطيات الرئيسية للتخطيط التربوي.

---

(١) أخرجه مسلم ح ١٣٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي ح ٣٧٩٠.

تجديد التربية الإسلامية

يحسن التنبيه ابتداء إلىٰ أنَّ التجديد في أدبيات الدعوة الإسلامية يطلق علىٰ أمرين:

الأول: إعادة الشيء القديم إلىٰ ما كان عليه يوم كان جديدًا، وهذا هو المراد في الحديث النبوي الكريم: «إنَّ الله يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1]. وهذا لازم قول أهل العربية وشُرّاح الحديث، وتصدقه الجهود المختلفة من الحركات الإصلاحية التي تعتمد القرآن والسنة منهجًا وإمامًا، والتي عملت علىٰ تجديد الدين في الأمة، بمعنىٰ أنها عملت علىٰ إحياء ما اندرس من الدين وتنقيته من الشوائب.

الثاني: تغيير ما يتطلب الواقع تغييره من الوسائل والبرامج والمضامين بغرض تحقيق الأهداف الدعوية والتربوية، مع الحفاظ علىٰ الأصل المنهجي.

واليوم تجد البعض يستخدمون كلمة التجديد في غير معناها الشرعي الصحيح، مثل استخدامها في سياق التغيير الجذري والكامل أو تغيير أصول الإسلام، فأصبح من المهم التذكير بأنَّ التجديد هو علىٰ ما ذكرت لك، فإذا أعدت الشيء إلىٰ ما كان عليه يوم كان جديدًا، فقد جددته، سواء بتنقيته أو تهذيبه أو تحسينه، وسواء سميت ذلك تنقية أو تهذيبًا أو تحسينًا أو تطويرًا أو تغييرًا، فلا تهم التسمية هنا بقدر ما يهم المسمىٰ والمضمون.

---

(١) أخرجه أبو داود ح ٣٧٤٠.

والدعوة إلىٰ التجديد في الحقل التربوي لا تعني أنَّ الجهود التربوية في العقود الماضية لم تكن جيدة، ولا نعتقد أنها لم تكن نافعة، ولا يخطر ببالنا أنها لم تكن صالحة، فإننا نعتقد أنَّ هذا الخير الذي نراه اليوم هو نتاج ذلك الماضي بعد رحمة الله وتوفيقه، وليس هذا محل تقويم الجهود التربوية الماضية، لكننا نعتقد أيضًا أنَّ لكل زمانٍ معطياته المتجددة، والتي تفرض تغييرًا ما يتناسب معه ولا يؤثر علىٰ الأصول والثوابت.

وبعض المربين يرغب التجديد والتطوير، فيُجري عددًا من التحسينات الشكلية ثم هو يكتفي بها في سياق التجديد ومواكبة العصر، لكنه لا يرغب أنْ يُدخل منظومة العمل في مطبخ التجديد، وهذا ما يمكن تسميته بوهم التجديد.

ومنشأ هذا الإشكال – والله أعلم – اعتقاد أنَّ الأهداف التربوية المتعارف عليها اليوم في محاضن التربية ثوابت وأصول وغايات، وهي ليست كذلك فيما يتعلق بالتربية، ففي حقيقتها هي أهداف من المستوىٰ المتوسط «المرحلي»، وإنَّ المربين إنما تتركز وظيفتهم في بناء الإنسان الراشد الصالح من خلال أهداف عامة، فلا مانع من إجراء التعديلات علىٰ الأهداف التربوية المتوسطة في سبيل التركيز علىٰ الوظيفة الرئيسية، ذلك أنَّ اقتراح هذه الأهداف في أصله قد بُني علىٰ عدد من المعطيات، والتي من ضمنها واقع الشباب ومحيطهم، وهذه المعطيات تتغير فوجب – تبعًا لذلك – تغيير تلك الأهداف التربوية. وإذا تغيرت الأهداف التربوية تغيرت معها وتبعًا لها بعض المقررات والمضامين والإجراءات.

وإذا قبلنا التعديل في الأهداف ذات المستوىٰ المتوسط، فمن باب أولىٰ الأهداف القصيرة والإجرائية والتدريسية، فإنَّ علىٰ المربين ابتكار الوسائل والأساليب التي تعينهم علىٰ تحقيق أهداف الدرس واستيعاب الوحدة الدراسية.

نحن بحاجة إلىٰ أنْ ننظر إلىٰ المحاضن التربوية بتجرد عن العاطفة والهوىٰ، وذلك من خلال التالي:

١. تقويم بيئات العمل التربوي الحالية وفقًا للمعايير اللازمة للعمل التربوي الجيد.

٢. توصيف وتحليل واقع الشباب اليوم بوصفه من أهم المعطيات في عملية التخطيط التربوي.

٣. بناء الأهداف التربوية «الجديدة» بناء سليمًا.

ثم علىٰ المربي أنْ يركز علىٰ تحقيق الهدف أكثر من عنايته بالوسيلة، فإنَّ الهدف مسؤولية والوسيلة طريقة من الطرق المؤدية إلىٰ القيام بهذه المسؤولية.

وعليه النظر إلىٰ مستجدات العصر من زاوية المعطيات، لتكون مؤثرة في اختيار الوسائل والأساليب. ومن ذلك وجود التقنية الحديثة «التكنولوجيا» والجوال الذكي ومنصات التعليم عن بُعد والتطبيقات الاجتماعية، فإنها أحدثت تغييرًا كبيرًا في مفهوم التربية والتعليم.

وينبغي عليه التطوير الذاتي واستمرار التعلم ومعرفة الجديد، ليكون المربي قادرًا علىٰ استحداث الوسائل المناسبة وابتكار الأساليب المفيدة في تحقيق أهدافه التربوية، وذلك من خلال الاطلاع علىٰ الأطروحات المفيدة والتجارب الناجحة بغرض الاستفادة لا الاستنساخ، وحضور الملتقيات المتنوعة المعنية بتطوير المربي والقراءة الموجهة في هذا الباب، وغيرها من الوسائل.

وعليه الإقدام في عملية التجديد - بعد التخطيط اللازم - ونبذ الخوف من الفشل، فإنَّ من الطبيعي أنْ تكون لأعمالنا ثغرات وعيوب، والفشل الحقيقي هو

الإبقاء علىٰ المشكلة بدافع الخوف، والناجحون والمبدعون يخطئون ويعرفون أنهم يخطئون، لكن ذلك لا يوقفهم عن التقدم والعمل، فيعملون ويتقدمون ويصححون أخطاءهم علىٰ الدوام.

التربية بين المحاضن والمبادرات

اعتدنا الحديث عن المحاضن التربوية، بل إن كثيراً من أطروحاتنا تنصب في تنميتها وتطويرها وإثرائها، ومنها هذا الكتاب. وفي هذه السطور سنتناول بيئة عمل استجدت في السنوات الأخيرة، ولها تأثير كبير في الأعمال التربوية والتعليمية، وهي «المبادرات التربوية».

وإذا كنا نسمي البيئات التربوية المنتظمة والمستمرة التي تحتوي علىٰ برنامج تربوي متكامل العناصر والمستهدفات: محاضن تربوية، فإن المبادرات التربوية مصطلح يعبر عن أنشطة ومشاريع مؤقتة تنفذ لتحقيق هدف أو أهداف تربوية محددة، سواء كانت فردية أو جماعية، وغالباً ما تنفذ بغرض مساندة المحاضن في تحقيق الأهداف الاستراتيجية، أو بغرض عمل تحسينات محددة، أو استجابة لتحديات مستجدة وعارضة.

وهذا تعريف اصطلاحي ناشئ عن مفهوم المبادرات في علم الإدارة، والتقطه رواد البرامج التربوية، ليفيدوا منه في مجالهم.

مثال: مبادرة لتعزيز قيمة «المسؤولية» في نفوس الطلاب. حيث تنفذ مجموعة من الأعمال والإجراءات لمدة محددة تهدف إلىٰ تنمية قيمة المسؤولية في نفوس الطلاب، وتنتهي حسب الخطة.

والمبادرات مكملة في عملها للمحاضن التربوية، ولا تغني عنها، لأن المحاضن التربوية عميقة الأثر في الإنسان، فهي تبني الشخصية وتهذبها وتصقلها، والمبادرات تعالج بعض القصور والنقص بعد ذلك، أو تصنع اتجاهاً مطلوباً بطرقٍ مكثفة.

مثال: مبادرة غرس عادة القراءة، حيث تنفذ مجموعة من الأعمال والإجراءات في مدة محددة، بغرض تدريب الطلاب علىٰ القراءة المستمرة والجيدة، وصناعة عادة قرائية إيجابية لديهم.

إن التكامل بين أدوار المحاضن والمبادرات يمنحنا ثقلاً تربوياً وتأثيراً أعمق علىٰ المدىٰ الطويل.

سمات المبادرات التربوية

١. خادمة للأهداف التربوية الاستراتيجية، ولا تخرج عنها.

٢. مرنة، فلا يشترط فيها وجود بيئة تربوية مستمرة، ولا أشخاص ثابتون، بل يمكن تنفيذ الكثير من المبادرات عبر البيئات الافتراضية في شبكة الإنترنت وقنوات التواصل الرقمي.

٣. مؤقتة ومحددة بزمن بداية ونهاية.

٤. يتم التركيز فيها علىٰ الأداء الجيد للإجراءات وليس علىٰ الطالب.

٥. الحيوية والإثارة والحركة السريعة والمرنة.

٦. قدرتها علىٰ فتح الأبواب ومد الجسور مع مؤسسات المجتمع المختلفة، كالبيت والمدرسة والجمعيات والمؤسسات الرسمية.

مقارنة توضيحية بين «المحاضن التربوية» و«المبادرات التربوية»

م	المحاضن التربوية	المبادرات التربوية
١	بناء رؤية ورسالة واضحة	استجابة لحاجات ومستجدات
٢	بيئة منتظمة ومستمرة ومستقرة	بيئة عمل مرنة ومؤقتة
٣	برامج طويلة تستند إلىٰ التخطيط الاستراتيجي	آليات عمل مرنة في وقت قصير أو متوسط
٤	قياس وتقويم مستمر لتطوير المخرجات	نتائج محددة قابلة للقياس
٥	التركيز علىٰ الإنسان	التركيز علىٰ العمل والأداء ونتائج الأرقام
٦	تشترط فيها المعايشة والمصاحبة	لا تشترط فيها المعايشة والمصاحبة
٧	تربية شمولية	تجزيء التربية
٨	تربية رأسية عميقة	تربية أفقية واسعة

فوائد المبادرات التربوية

١. تعد مدخلاً جيداً لاقتراب الشباب من المحاضن والبرامج التربوية. فربما توجد حواجز نفسية لدىٰ البعض من المناشط الجماعية الشبابية؛ فتقوم المبادرات بدور البوابة المفتوحة لها.

٢. قدرة المبادرات التربوية علىٰ ملاحقة المستجدات الثقافية والاجتماعية، ومعالجتها بطرق إبداعية ومبتكرة، حيث تصل إلىٰ فئات أوسع في وقت أقصر، وبالتالي فستكون للمبادرات التربوية الفضل -بعد الله- في مخاطبة أعداد كبيرة من الشباب والناشئة وتعزيز القيم فيهم.

٣. تصنع وعيًا قيميًا عامًا، وتخلق حالة من التفاعل الجماهيري الذي يعزز غرس القيم المضمنة في برامج المحاضن التربوية.

٤. تصنع حسًا تربويًا عامًا في المجتمع، لتنوع موضوعات المبادرات وإشراك أعداد أكثر وفئات أوسع، وهذا من شأنه أن يخلق اهتمامًا عامًا في المجتمع بالشؤون التربوية، وعليه فسيزيد عدد المهتمين بتربية الأجيال وتوعية الشباب في المجتمع، وستتولد المشاريع والمبادرات في هذا الإطار.

٥. تعد المبادرات ورشة تطبيقية لتدريب الكفاءات علىٰ تنفيذ المشاريع وإدارتها، وغرس قيم المسؤولية والتعاون بين العاملين. فإذا كان المحضن التربوي مصنعًا للكفاءات العاملة فإن المبادرات التربوية يمكن تشبيهها بالمعرض الذي يظهر إنتاج تلك المصانع.

٦. إذا قسمنا العاملين في الحقل التربوي إلىٰ مربين ذوي كفاءات تربوية جيدة وعاملين تربويين، فإن المبادرات التربوية فرصة ثمينة لصناعة بيئة عمل للعاملين التربويين الذين ليس لديهم الكفاءة التامة لمباشرة العمل مع الشباب والتفاعل معهم. وهذا يعطينا فرصة لرسم دائرة جديدة للتربية، فتكون عندنا دائرتين: دائرة التربية المستمرة والمنتظمة والعميقة، وهذه تختص بالمحاضن التربوية، ودائرة التربية المؤقتة والمرنة والأفقية، وهذه تختص بالمبادرات التربوية.

٧. قدرة المبادرات التربوية علىٰ صناعة بيئات تربوية إبداعية، مثل أبناء الحي وخطباء الجمعة والبيئات الافتراضية في الإنترنت والقنوات الفضائية، وقوالب مبتكرة أو غير محددة، فقد تكون مسابقة أو مساقًا تعليميًا أو قراءة جماعية أو برنامجًا تدريبيًا أو فعالية اجتماعية أو حلقات تلفزيونية، وغير ذلك مما تمليه الحاجة أثناء التخطيط، ومع تطور مفهوم «التعليم عن بعد» يمكن فتح آفاق أوسع في البيئات التربوية.

٨. حاجتنا في هذا العصر -إضافة إلىٰ المحضن الشمولي- إلىٰ تجزيء التربية، بحسب الحاجة المستجدة، وبحسب القدرات المتوافرة، فمثلاً شخص يرىٰ خللاً عقديـًا في مسألة التوكل والرزق، فيقدم مبادرة تعالج هذه القضية، أو مجموعة ترىٰ الحاجة إلىٰ بناء نماذج إيجابية للاقتداء في وجدان الناشئة فيقومون بعمل حلقات تلفزيونية تعرض سير الصحابة والتابعين، وهكذا.

اختبر استيعابك

أولاً: أجب بـ(√) أو (×) أمام العبارات الآتية:

م	العبارة	التقييم
١	يُعتبر الزمن عنصراً أساسيًا في التربية الإسلامية لأنه يحقق التدرج والنمو في التغيير.	
٢	التربية الإسلامية ترفض تمامًا أن تتأثر بالثقافة والمعتقدات الخاصة بكل مجتمع.	
٣	مفهوم «التزكية» في التربية الإسلامية يتضمن معاني النمو والإصلاح.	
٤	التربية يمكن أن تكون فعالة؛ حتىٰ في أقسىٰ ظروف الفقر والخوف والاضطراب.	
٥	التربية الإسلامية تهتم بإصلاح ظاهر السلوك دون الالتفات للمكونات الداخلية للإنسان.	

ثانياً: اختر الإجابة الصحيحة من الخيارات الآتية:

١. الذي يجعل التربية الإسلامية متميزة في معالجة الإنسان:

أ) اهتمامها بالعادات فقط.

ب) تركيزها علىٰ التوجيه والإلقاء.

ج) شمولها لكل مكونات الإنسان: الروح، العقل، الجسد.

د) ربطها بالعادات الاجتماعية الشائعة.

٢. الفرق بين التربية والتعليم كما يوضحه الكتاب:

أ) التربية تعليم زائد توجيه.

ب) التعليم أعم من التربية.

ج) التعليم خاص بالأطفال فقط.

د) التربية تختص بالعلوم التجريبية.

٣. يعد المحضن التربوي بيئة حساسة في بناء الإنسان لأنه:

أ) يوازي المدرسة.

ب) يستند إلىٰ تقاليد المجتمع.

ج) يساهم في توجيه التكوين العقدي والنفسي.

د) يمنح حوافز مادية.

٤. يؤكد الشاطبي في شروط العلم النافع علىٰ:

أ) حفظ المعلومات فقط.

ب) أن يتعلمه من الشيوخ ويتأدب بأدبهم.

ج) أن يكون له مرجع في السياسة.

د) أن يخضع لاختبارات موحدة.

٥. المقصود بقولنا «التربية الإسلامية ربانية المرجعية والمقصد» :

أ) تُستمد من اجتهادات علمية فقط.

ب) تستند إلىٰ التجارب البشرية.

ج) تنبع من الوحي وتبتغي عبودية الله.

د) تعتمد علىٰ علوم النفس الغربية.

❊ ❊ ❊

خلاصات مهمة

- لم يكن التعليم قاصراً علىٰ إلقاء المعلومات وتدريس المتون فحسب، بل كان إضافة إلىٰ ذلك منظومة متكاملة لإصلاح المتعلم وصناعة عقله وتهذيب أخلاقه وتزويده بالخبرات.

- التربية هي النشاط التعليمي الذي يُقصد به تغيير الإنسان والانتقال به من حالته الراهنة التي هو عليها علىٰ حالة نموذجية مأمولة.

- النمو يفيد التدرج وليس الطفرة، وهنا يبرز عامل الزمن باعتباره ظرفًا للتدرج في التربية.

- التربية في كل أمة لا تنفصل عن عقيدتها.

- كل تزكية تربية، وليس كل تربية تزكية.

- التعليم جزء من التربية، والتربية تعليم وزيادة، فلا تكون تربية بدون تعليم.

- المجتمعات تتغير بحسب بوصلة التربية المقدمة فيها.

- التربية عمود الحضارات، منها تنشأ الحضارات، وبها تقوم، وعلىٰ قدر متانتها يعتمد ارتفاعها، وبثباتها يطول عمرها.

- التربية شرط الانتفاع بالعلم.

- التربية هي الواجب الممكن والمقدور عليه في كل الظروف والأحوال أو أغلبها.

- التربية في زمن الشدائد تؤتي نتائج أكثر عمقاً ورسوخاً من التربية زمن الرخاء والسعة.

- أمراضنا من داخلنا هي الموجبة لتداعي الأمم علينا، وهي سبب ضعفنا وهواننا عليها.

- تزكية النفوس وتربيتها علىٰ الاستقامة هما مفتاح الانعتاق من قيد التداعي الأممي.

- تمثل الأهداف التربوية نقطة انطلاق في التخطيط لمؤسساتنا وبرامجنا ومحاضننا التربوية.

- الأهداف التربوية هي التي تحدد لنا شكل المحضن التربوي وقوالب العمل المطلوبة، وليس العكس.

- التربية الإسلامية شاملة لمكونات الإنسان.

- الوقت الطويل عامل مهم في إنضاج التربية، ولذلك نزل القرآن في مدة تقارب ربع قرن من الزمان، علىٰ اختلاف ظروف ذلك الزمان.

- لكل زمان معطياته المتجددة التي تفرض تغييراً ما في التربية يتناسب معه ولا يؤثر علىٰ الأصول والثوابت.

❊ ❊ ❊

القسم الثاني

المربي.. البناء والتكوين

شخصية المربي

■ أولًا: سلامة الاعتقاد وصحة التصوّرات والمفاهيم

فلكون وظيفة المربي تعليم الإسلام الصحيح وتربية الطلاب عليه يجب أنْ تكون معتقداته وتصوراته عن الإسلام صحيحة، ولا يكون ذلك إلا بموافقته لما عليه أهل السنة والجماعة، حيث قرروا مسائل الاعتقاد وفق ما جاء في كتاب الله تعالىٰ وسنة النبي ﷺ وهدي أصحابه الكرام.

وقد أخبر النبي ﷺ أنَّ الأمة ستختلف في بناء عقيدتها علىٰ طرق مختلفة وغير صحيحة، وبيّن أنها كلها موجبة للانحراف عن الشريعة البيضاء ومفضية بأصحابها إلىٰ النار، إلا طريقة واحدة هي طريقة النبي ﷺ وأصحابه، والتي اصطلح علىٰ تسميتها فيما بعد: عقيدة أهل السنة والجماعة، عن أبي عامر عبد الله بن لحي قال: (حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلىٰ صلاة الظهر، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أهل الكتابين افترقوا في دينهم علىٰ ثنتين وسبعين ملة، وإنَّ هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارىٰ بهم تلك الأهواء كما يتجارىٰ الكلب بصاحبه، لا يبقىٰ منه عرق ولا مفصل إلا دخله». والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ؛ لغيركم من الناس أحرىٰ أنْ لا يقوم به)[1].

---

(١) أخرجه أحمد ح ١٦٩٣٧.

وسواء اعتنىٰ المربي بتدريس العقيدة أو لم يعتنِ، أو كانت ضمن أهدافه أو لم تكن؛ فإنَّ أثر عقيدته سيظهر علىٰ معالجاته الموقفية وسيتسرّب إلىٰ الطلاب من خلال المجالسة والمخالطة والتناول العلمي للموضوعات والمفاهيم، ولهذا كان التحذير شديدًا من الجلوس إلىٰ فاسد المعتقد أو مختل المفاهيم والتصورات. وكتب العقيدة تروي الشيء الكثير من ذلك، قال ابن سيرين: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلىٰ أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلىٰ أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)[1].

ويؤثر عن أبي قلابة قوله: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تحادثوهم، فإني لا آمن أنْ يغمروكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)[2]. واشتد نكير السلف علىٰ من يجالسهم وعظم تحذيرهم من ذلك، ففي قصة صبيغ بن عسل، قال أبو عثمان الراوي: (إنَّ عمر كتب إلينا أنْ لا تجالسوه. قال: فلو جلس إلينا ونحن مئة لتفرقنا عنه)[3]. وقال الفضيل بن عياض: (صاحب بدعة لا تأمنه علىٰ دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، ومن جلس إلىٰ صاحب بدعة أورثه الله العمىٰ)[4]. فتأمّل تحوطهم في هذا الباب وعدم المسامحة فيه.

وكانوا يخشون علىٰ الشاب - بصفة أخص - أنْ يلتحق بمعلم مبتدع، ويرون أنه إذا سلم من هذا الخطر فقد أنعم الله عليه، فقد روىٰ ابن بطة[5] بسنده عن ابن شوذب قوله: (إنَّ من نعمة الله علىٰ الشاب إذا تنسَّك أنْ يواخي صاحب سنة يحمله عليها). وعن عمرو بن قيس الملائي قوله: (إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ١٤ المقدمة.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٢.
(٣) الإبانة الكبرى ١/ ٤١٤.
(٤) الإبانة الكبرى ٢/ ٤٥٩.
(٥) الإبانة الكبرى ١/ ٢٠٤.

السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايئس منه، فإنَّ الشاب علىٰ أول نشوئه).

والإسلام قائم علىٰ مسائل وكليات اعتقادية، فوجب أنْ يكون المربي علىٰ دراية جيدة بها، فالتسليم للنصوص وحجية القرآن والسنة وكونهما مصدر الهداية، ومكانتهما في التشريع الإسلامي، وعدالة الصحابة وفضلهم، وإجماعات السلف، ولزوم جماعة المسلمين، ومسائل الإيمان، وأعمال القلوب، والولاء والبراء... وغيرها من المسائل والكليات؛ كل ذلك يعدُّ اليوم من المتطلبات المنهجية التي ينبغي أنْ تكون شرطًا فيمن يكون مربيًا؛ لأنَّ تصحيح التصورات والمفاهيم تقع تحت طائلة مسؤولياته وواجباته، وحين سألت إحدىٰ النساء عائشة رضي الله عنها: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ أجابتها عائشة بأنها مسألة تعبدية لا مجال للعقل في إقرارها، فقالت: (أحرورية أنتِ؟ كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصيام ولا نؤمر بقضاء الصلاة)[1]. فهذا مثال علىٰ ما يمكن للمربي فعله تجاه البناء الصحيح للتصورات والمفاهيم.

وفي العصر الذي يتعرض فيه العالم بأسره إلىٰ تشوهات فكرية واعتقادية - قلَّ من يسلم منها - نحتاج إلىٰ التذكير بهذه السمة الرئيسية التي ينبغي أنْ يتحلىٰ بها المربي.

(١) أخرجه مسلم ح ٣٣٥، وأصله في البخاري ح ٣٢١.

■ ثانيًا: التفقّه في الدين والاستمرار في التعلم

حين أراد الله تعالىٰ لطليعة هذه الأمة أنْ تكون مؤثرة قائدة أنزل عليها كتابه الهادي، فكانت أول آية نزلت فيه تأمر بالقراءة! قال الله تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥]. وكان أول مخلوق أقسم الله تعالىٰ به: القلم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم:١]. إنها رسالة في غاية الوضوح، مفادها أنَّ التعلم والقراءة من أهم مؤهلات التأثير والقيادة والتربية، فالعلم أول مشعل يبعث علىٰ توهج المربي وإضاءته ودفئه، وأول سبيل إلىٰ قوته وقدرته وجاهزيته.

والمربي الذي ليس له برنامج يزداد به علمًا أبتر منطفئ، لا يستطيع حل المشكلات ولا معالجة النوازل ولا ترتيب الأولويات، بل لا يستطيع أنْ يرتقي بنفسه ولا أنْ يدفع الجهل عنها فضلًا عن دفعه عن غيره.

والمربي الذي عزف عن القراءة وطلب العلم لا يملك المعلومات ولا يعرف سياقها، فهو محروم منها ومن توظيفها، ولا يستطيع أنْ يخرج طلاب العلم ولا محبي المعرفة ولا عاشقي القراءة، فأنىٰ لفاقد الشيء أنْ يعطيه، ولا يستطيع بناء العقول الذكية، ولا يقدر علىٰ أنْ يؤسس للتفكير السليم، وطلابه صيدٌ سهل للموجات الفكرية المنحرفة.

العلم سلاح المربي، والقراءة زاد عقله، فمتىٰ كانا محل عنايته استطاع أنْ يبني أحسن المحاضن التربوية وأقواها، وأنْ يخرج أذكىٰ الطلاب وأعلمهم. ومتىٰ كان العلم والقراءة محل إهماله فسيضعف إلىٰ حد الانطفاء؛ فلا وهج في المحضن التربوي ولا نور يستضاء به.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: (تفقهوا قبل أنْ تسودوا) [1]. وهذا القول يمثّل خلاصة تجربته وعصارة خبرته التربوية والتعليمية، وهو قول يتضمن معنىٰ التدرج في الانتقال من حالة التلقي إلىٰ حالة العطاء، ويشير إلىٰ أنه لا يصلح لأنْ يكون الإنسان قائدًا في الأعمال التربوية - سواء كان معلمًا أو مشرفًا أو مديرًا - إلا بعد أنْ يتلقىٰ القدر الكافي من التأهيل العلمي؛ حتىٰ يصبح فقيهًا في التربية، قادرًا علىٰ المعالجات، قادرًا علىٰ حلّ النوازل والمشكلات، قادرًا علىٰ تشييد البناء المنهجي، قادرًا علىٰ صناعة الرجال، فعند ذلك يكون قادرًا علىٰ تسيّد الموقف التربوي. قال وكيع: (يعني قبل أنْ تجلِسوا للناس، فتُسألوا)[2]. والجلوس للطلبة والتصدي لسؤالاتهم ومعالجة قضاياهم وبناء شخصياتهم سيادة تستدعي مخزونًا كافيًا من المفاهيم والمعارف، ما يتطلب جهدًا سابقًا في التفقه والتعلم.

وإنَّ الترؤس بلا فقه، والقيادة بلا معرفة، وتربية النشء بدون آلة كافية؛ مسألة ذات بعد استراتيجي مذموم، إذ العلم ركيزة من ركائز التأثير التربوي، وبتخلّف هذه الركيزة سيضعف الدور المنوط بالمربي، وصعوبة استدراك ما فات من المعرفة والمهارة بعد الترؤس مشكلة سيعانيها من استيقظ ضميره، وحاول اللحاق، قال سفيان الثوري رحمه الله: (من ترأس في حداثته كان أدنىٰ عقوبته أنْ يفوته حظ كبير من العلم)[3].

ومن المهم لفت عناية المربي إلىٰ أنَّ انشغاله بالعمل التربوي لا يجيز له التوقف عن التعلم والتفقُّه، ولا يأذن له في طيِّ كتب العلم وإغلاق باب مكتبته، وقد قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]. ولذا عقب البخاري رحمه الله

---

(١) البخاري كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة.
(٢) الزهد لوكيع ص ٣٢٧.
(٣) العزلة للخطابي ص ٨٣.

علىٰ قول عمر ﷺ السابق بقوله: (وبعد أنْ تسودوا. وقد تعلَّم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم)[1].

إنَّ التعلم وتحديث المهنة ليسا مرحلة لها بداية ونهاية، وإنما هما وظيفة العمر إلىٰ الممات، قال صالح بن الإمام أحمد بن حنبل: (رأىٰ رجلٌ مع أبي محبرة، فقال له: يا أبا عبد الله! أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين! فقال الإمام أحمد: مع المحبرة إلىٰ المقبرة)[2]. ويقول سعيد بن جبير: (لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم، فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنىٰ، واكتفىٰ بما عنده، كان أجهل ما يكون)[3]. والتعلُّم المستمر سمة المربي الناضج، الذي يدرك خطورة العمل الذي يمارسه، ويدرك الأثر الاستراتيجي لتحديث معارفه ومهاراته.

وبما أنَّ ميدان التربية هو الإنسان، فإنَّ كثيرًا من المتغيرات تطرأُ علىٰ ظروفه ومحيطه، مما يتطلب من المربي مواجهة ذلك بمزيد من الحكمة والنضج، ولا يكون ذلك بدون تعلُّم مستمر، يضمن سلامة منهج التربية ويحدد بوصلة الطرائق والأدوات.

والمربي الناضج مواكب لما يستجد من المعارف، يطلع علىٰ حدٍّ أدنىٰ منها، ولذلك هو قادر علىٰ الإجابة عن تساؤلات الطلاب وتوجيههم المعرفي. وإنَّ تربية الناشئة تتطلب المزيد والمزيد من الاطلاع والقراءة والتثقيف، إذ تكوِّن قاعدة معلوماتية راسخة يُستدعىٰ منها وقت الحاجة، وتبني حصانة فكرية منهجية لدىٰ المربي من التوجيه الخاطئ المبني علىٰ العواطف والانطباعات غير الموضوعية.

---

(١) الصحيح، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة.
(٢) مناقب الإمام أحمد ص ٣٦.
(٣) الفقيه والمتفقه ٢/ ٣٣٧.

والمربون هم المسؤولون عن تثقيف أنفسهم وتعليمها، وليست الإدارات التربوية هي المسؤولة بالدرجة الأولىٰ عن هذه الجزئية، ويقع اللوم في الجهل بالواقع وضعف المعارف علىٰ المربي ذاته، لأنه هو المسؤول عن نفسه، وليس الآخرون. هذا إذا تحدثنا عن مسؤوليات، ولكنه يبقىٰ علىٰ الإدارات التربوية أنْ يكون لها إسهام في بناء المنهجيات المعرفية – علىٰ الأقل – لدىٰ المربين، وأنْ تعينهم وتقدم لهم الخدمات المتنوعة بغرض جعل المربين في حالة تعلّم مستمر.

والمقصود أنْ يكون لك برنامجك العلمي المستمر، الذي تسلكه ولا تقطعه حتىٰ الممات، من القراءة والجلوس إلىٰ شيوخ العلم الأثبات، وتلخيص الدروس، والاستفادة من الصوتيات العلمية، وبناء قاعدة علمية تؤسس عليها قراءاتك الحرة وأبحاثك الخاصة.

إذن، يمكن أن نصف المربي بأنه:

- لديه قناعة بالحاجة إلىٰ العلم.
- محب ومقدِّر للعلم وأهله وللحالة العلمية.
- مستمر في التعلم، باختلاف طرائق التعلم.
- قادر علىٰ قراءة الكتب ومعالجة أفكارها.

فتنبَّه لهذه المسألة المهمة، ودع عنك الاعتذار بقلة الوقت والانشغال بالجهد التربوي، فإنها مسألة حيوية تقوم عليها حياتك العملية وموتها، وتقوم عليها حياة العمل التربوي وموته.

■ ثالثًا: الاستقامة على أمر الله

في آداب المعلم التي ينبغي أنْ يتحلىٰ بها في نفسه، عدَّد ابن جماعة الكناني بعض الأمور، فذكر منها: (أنْ يحافظ علىٰ القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام كإقامة الصلاة في المساجد للجماعات وإفشاء السلام للخواص والعوام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ولا يرضىٰ من أفعاله الظاهرة والباطنة بالجائز منها، بل يأخذ نفسه بأحسنها وأكملها.

وأنْ يحافظ علىٰ المندوبات الشرعية القولية والفعلية، فيلازم تلاوة القرآن، وذكر الله تعالىٰ بالقلب واللسان، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار في آناء الليل والنهار، ومن نوافل العبادات من الصلاة والصيام وحج البيت الحرام والصلاة علىٰ النبي ﷺ، فإنَّ محبته وإجلاله وتعظيمه واجب، والأدب عند سماع اسمه وذكر سنته مطلوب وسنة. كان مالك رضي الله تعالىٰ عنه إذا ذكر النبي ﷺ يتغيّر لونه وينحني..

وينبغي له إذا تلا القرآن أنْ يتفكر في معانيه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده والوقوف عند حدوده، وليحذر من نسيانه بعد حفظه؛ فقد ورد في الأخبار النبوية ما يزجر عن ذلك)[1]. وهكذا يجعل فقهاء التربية الإسلامية إصلاح النفس مدخلاً مهمًا للقيام بواجبات التربية والتعليم والتزكية؛ فإصلاح الذات وتهذيب الروح وتزكية النفس أول جهد تربوي تقدمه للناس!

ولقد عرَّفنا الله تعالىٰ في كتابه العزيز قانون القدوة، وأرشدنا إلىٰ أنك أيها المربي لنْ تكون قدوة ينهل منك الطلاب إلا إذا أتممت كلمات الله بالإيمان والعمل بها، فقال عز وجل: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٩١.

﴿ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]. فحين أتمَّ إبراهيم عليه السلام كلمات الله الموحاة إليه بالإيمان بها وتصديقها بتنفيذها والعمل بها، جعله الله إمامًا.

والقدوة ليست شيئًا متكلفًا وليست مقدمة، وإنما هي نتيجة طبيعية للتعبد والتذلل لله تعالىٰ، ولتمثل الإسلام في السلوك والمعاملات والعلاقات، وبالتالي سينعكس هذا التمثُّل علىٰ سلوك الطلاب.

وابن الجوزي له كلام في غاية الأهمية في هذا السياق، إذ يقول: (لقيت مشايخ، أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعَهم لي في صحبةٍ: العاملُ منهم بعلمه، وإنْ كان غيره أعلم منه، ولقيت عبد الوهاب الأنماطي فكان علىٰ قانون السلف لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا علىٰ سماع الحديث، وكنت إذا قرأتُ عليه أحاديث الرقائق بكىٰ واتصل بكاؤه، فكان - وأنا صغير السن حينئذ - يعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد، وكان علىٰ سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل. ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقنًا محققًا، وربما سئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتىٰ يتيقّن، وكان كثير الصوم والصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما، ففهمت من هذه الحالة أنَّ الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول)[1].

إصلاح ذاتك وتهذيب روحك وتزكية نفسك أول جهد تربوي تقدمه للناس!

وكثرة التقرب والتعبد تصنع لدىٰ المربي هالة من النور التي يراها فيه الطلاب، ويجدون أنفسهم من خلالها منقادين ومقتدين به في الخير والصلاح وأوجه البر ومعاني الإيمان.

---

(١) صيد الخاطر ص ٢٠٨.

وكثرة التقرب والتعبد هي الدروس الصامتة التي ترسم للناشئة منهج حياتهم الجديد العامر بالإيمان والطاعة، وإنَّ الطلاب ليستمعون بقلوبهم إلىٰ أعمالك أكثر من استماعهم بآذانهم إلىٰ أقوالك وحديثك.

فعليك بإصلاح ذاتك التي بين جنبيك قبل أنْ تلتفت إلىٰ إصلاح الآخرين، هذه البوابة الرئيسية والوحيدة التي منها تنطلق في فضاء العمل التربوي. والمربي الذي يؤثر في طلابه من خلال سلوكه وأفعاله، سيكون طلابه أكثر ثباتًا وتديّنًا وتحقيقًا للأهداف التربوية. قال ميمون بن مهران: (لو صلح أهل القرآن صلح الناس)[1].

لكن قد يرِد علىٰ المربين شبهة مفادها: إذا اشتغلنا بإصلاح ذواتنا عن تربية الآخرين فمن يقوم بالأعمال التربوية؟ وإذا كان كل مربٍّ يرىٰ نفسه مقصرًا في طاعة الله، فإنَّ ميدان التربية سيخلو من المربين! فما العمل إذن؟ هل نصلح أنفسنا فننكفئ علىٰ ذواتنا، أم نربي الجيل ونقصِّر في إصلاح أنفسنا؟

وفي حقيقة الأمر ليست المسألة خيارًا بين نقيضين، إما تربية الذات وإما تربية الآخرين، وإنما هي سلم تبدأ فيه بتربية الذات ثم تثني فيه بتربية الآخرين مستصحبًا تربية الذات معك، فتربية الذات هي أول الأمرين، لكنها لا تنتهي، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحِجر:٩٩]. ثم تبدأ بتربية الآخرين دون توقف عن إصلاح نفسك، بل ربما تتوقف عن تربية الآخرين وتبقىٰ تربية الذات إذا لزم الأمر.

والأمر الآخر في الإجابة عن هذا السؤال: إن إصلاح الذات وتربيتها علىٰ طاعة الله وهداه سيكفيانك مؤونة الاهتمام بمسألة القدوة مع طلابك، إذ يرىٰ الطلاب في معلمهم اهتمامه بنفسه وإصلاحه ذاته وقلبه، وسيكون هذا بحد ذاته مؤثرًا للغاية.. التأثير الذي ينبغي أنْ يعيَه المربون، إذ إنَّ الاقتداء بالمربي في سلوكه وعباداته

(١) أخلاق أهل القرآن ص ١٠٤.

واهتماماته يمثل تأثيرًا حقيقيًا في شخصية المقتدي «الطالب» يفوق بأضعافٍ تأثره بالمواعظ والدروس والتلقين.

ومن الاستقامة: الثبات علىٰ المبادئ الإسلامية والقيم النبيلة رغم تغيّر الظروف وتبدّل الأحوال وتنوّع الموجات الفكرية، ويخالط الناس دون أن يأْذن لهم بأنْ يخدشوا دينه، ويعيش في أوساطهم رافعًا رأسه بما وهبه الله من الهداية، قال ابن مسعود ﷺ: (خالط الناس ودينك لا تكلمنه)[1]. أيْ خالط الناس، لكن بشرط أنْ لا يحصل في دينك خلل[2].

وهو مع ذلك قادرٌ علىٰ مواكبة التغيُّرات والتكيّف مع الظروف والعيش في وهج الانفتاح، ويُفرِّق بين المنهج من جانب وبين الأدوات والتقنيات من جانب، فلا يغيِّر المنهج وإنما يغير الأدوات والتقنيات، ويمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله علىٰ هدىٰ من الله.

ولقد كان أصحاب النبي ﷺ يملكون مهارات التعامل مع الانفتاح علىٰ الأمم الأخرىٰ، واستطاعوا أنْ يقدموا أعمالًا تعليمية وتربوية في البلدان البعيدة عنهم، والتي كانت تعيش في ظل منظومات عقائدية وفكرية مختلفة، حتىٰ أصبحت مدن مثل الكوفة والبصرة ودمشق حواضر علمية، يتخرج فيها أئمة العلم والصلاح والتقىٰ. وحين فتحوا المدائن والأمصار وصبت الدنيا ومباهجها عليهم صنوف اللذائذ والمتاع، حافظوا علىٰ ثوابتهم ولم يتزحزحوا عن قيمهم ومبادئهم.

والتحولات العالمية الكبرىٰ كما أنها ذات بصمة علىٰ الواقع، فإنها كذلك ستضع بصمتها علىٰ المربين، لكنهم بفضل الله تعالىٰ يتمسكون بدينهم وبهويتهم

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في باب الانبساط إلى الناس ٨/ ٣٠.
(٢) إرشاد الساري ٩/ ٧٧.

وبمبادئهم فيظلون صامدين، قادرين علىٰ تحمّل ضغوط الموجات الفكرية والأخلاقية، لا تخطف أبصارَهم الأضـواء اللامعة، ولا تؤثر فيهم العوارض المستجدة، مستصحبين وصية النبي ﷺ حين قال: «يأتي علىٰ الناس زمان؛ الصابر فيهم علىٰ دينه كالقابض علىٰ الجمر»[1].

ولا تعني استقامتهم علىٰ أمر الله تعالىٰ امتناع وقوعهم في الزلل أو عصمتهم من الخطأ، فطبيعة البشر أنْ يقعوا في الخطأ، وكل بني آدم خطاء، لكنهم سرعان ما ينهضون من كبوتهم فيصحّحون خطأهم ويتوبون إلىٰ الله ويلتزمون عبوديتهم لله ويسلكون الصراط المستقيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعـراف:٢٠١]، وهم من أكثر الناس امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

(١) أخرجه الترمذي ح ٢٢٦٠.

■ رابعًا: الأخلاق الكريمة

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا»[1].

الالتزام بالمروءات والأخلاق الكريمة مطلب ابتدائي في المربين، فالمربي الجيد ذو خلق ومروءة، قد كساه القرآن الكريم ثوبَ الفضائل وألبسه تاج الوقار، وتكاملت في روحه ونفسه الأخلاق الفاضلة، ليِّن المعشر يألف ويؤلف، طيِّب الحديث وصادق الوعد، ليس بالكذاب ولا الخائن، كارهٌ للظلم والتعسف، يكرم الأضياف ويبر والديه ويحسن إلىٰ أقاربه، يكظم غيظه ويعفو عن الناس ويحمي الفضائل ويحارب الرذائل، نزيه عن الدناءات والبذاءات، ونزيه عن الأحقاد، ونزيه عن الاختلاس والرشا.. قد طهَّر داخله وخارجه، ومظهره ومخبره، فهو طيِّب نقي.. نقي الكلام، ونقي القلب، ونقي المال، ونقي المجلس.

وقد سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق المربي الأول ﷺ فقالت للسائل: (ألستَ تقرأ القرآن؟). قال: بلىٰ. قالت: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[2].

قال ابن جماعة في آداب العالم في نفسه: (معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذىٰ عن الناس، واحتماله منهم والإيثار، وترك الاستئثار، والإنصاف، وترك الاستنصاف، وشكر التفضّل، وإيجاد الراحة، والسعي في قضاء الحاجات، وبذل الجاه في الشفاعات، والتلطف بالفقراء، والتحبب إلىٰ الجيران والأقرباء، والرفق بالطلبة، وإعانتهم

---

(١) أخرجه مسلم ح ١٤٧٨.
(٢) أخرجه مسلم ح ٧٤٦.

وبرهم. وأنْ يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة ويعمره بالأخلاق المرضية، فمن الأخلاق الرديئة الغل والحسد والبغي والغضب لغير الله تعالىٰ والغش والكبر والرئاء والعجب والسمعة والبخل، والخبث والبطر والطمع والفخر والخيلاء والتنافس في الدنيا والمباهاة بها والمداهنة والتزيّن للناس، وحب المدح بما لم يفعل، والعمىٰ عن عيوب النفس والاشتغال عنها بعيوب الخلق، والحمية والعصبية لغير الله، والرغبة والرهبة لغير الله، والغيبة والنميمة والبهتان والكذب والفحش في القول، واحتقار الناس ولو كانوا دونه، فالحذر الحذر من هذه الصفات الخبيثة والأخلاق الرذيلة، فإنها باب كل شر، بل هي الشر كله)[1].

والتزام المربي بالأخلاق الكريمة من شأنه أنْ يُجري نهر الحب في قلوب الطلاب، وأنْ يصنع التأثير المطلوب لتربيتهم علىٰ الدين، وتأمل كلام مالك بن الحويرث ﷺ قال: (أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلَنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه - وكان رفيقًا رحيمًا - فقال: «ارجعوا إلىٰ أهليكم، فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»)[2]. وتأمل كلام جرير البجلي ﷺ: (ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي)[3]. وتأمل كلام غيرهما من أصحاب النبي ﷺ من الشباب لتعرف مقدار تأثير أخلاقه ﷺ علىٰ تربيتهم وتعليمهم، فالتأثير هو روح التربية، قال معاوية بن الحكم ﷺ: (بينا نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟ قال: فجعلوا يضربون

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٩٦.
(٢) أخرجه البخاري ح ٦٠١٤.
(٣) أخرجه البخاري ح ٣٨١٣ ومسلم ٢٤٧٥.

بأيديهم علىٰ أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتوني لكني سكت، فلما صلىٰ رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، والله ما كهرني ولا شتمني ولا ضربني قال:

«إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس هذا، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»)[1].

ولأهمية هذا الأمر ذكره الله تعالىٰ في سياق امتنانه علىٰ نبيه ﷺ فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

(١) أخرجه مسلم ح ٥٣٧.

■ خامسًا: الاستقرار النفسي

علَّمنا القرآن الكريم أنَّ الله تعالىٰ يتولىٰ أنبياءه ورسله المبلغين عنه والداعين إلىٰ دينه وشريعته، ليكونوا قادرين علىٰ تبليغ رسالاته علىٰ أحسن وجه، فأدبهم وعلَّمهم وأكرمهم وآواهم وآتاهم من الكمالات النفسية وسبل الاستقرار ما يستطيعون به أنْ يتحملوا تكاليف الرسالة، فقال عن نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١].

وأخبرنا عن موسىٰ عليه السلام فقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:١٤]. وكان ذلك قبل النبوة. والأشد: شدة البدن واستحكام أسره وقوته. والاستواء: تكامل عقله وحزمه[1]. فكان من شأن موسىٰ أنَّ التي ربته بعد الرضاع امرأة فرعون، فتعلم في حجرها وفي بيت زوجها القيادة والشرف والحزم والعزم، وكان من فوائد هذا التقدير الإلهي صناعة التكامل النفسي في نفس موسىٰ عليه السلام.

ولما أرسل الله تعالىٰ موسىٰ إلىٰ فرعون، قال موسىٰ داعيًا ربه: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه:٢٥]. قال السعدي: (أي وسِّعه وأفسِحه، لأتحمل الأذىٰ القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإنَّ الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم)[2].

أما نبينا محمد ﷺ فقد قال تعالىٰ في سياق الامتنان عليه في بعثته لهداية الناس: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحىٰ:٦-٨]. وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

---

(١) المحرر الوجيز ٧/ ٤٨٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٣/ ١٠٢٣.

فكما تلحظ من سياق الآيات السابقة أهمية استقرار النفس وسويّتها في تبليغ الرسالة ودعوة الناس إلىٰ الله، فكيف بالمربي الذي تحتم عليه طبيعة أعماله أنْ يخالط النشء، وأنْ يصبر علىٰ أخطائهم وطباعهم، وأنْ يكون قادرًا علىٰ التوسط في اتخاذ القرارات ومعالجة المواقف، وأنْ يكون قادرًا علىٰ التمييز بين ما يلتزم به لمؤسسته التي يعمل ضمن فريقها وما يسع فيه الاجتهاد مما لا تلزمه هذه المؤسسة، وأمور كثيرة تتطلب نفسًا مستقرة سوية.

ولهذا المعنىٰ كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الهم والحزن وغيرهما مما يفسد الاستقرار النفسي، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه - يخبر عن خروجه مع رسول الله ﷺ إلىٰ خيبر - يقول: (فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرًا يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال»)[1]. وحين سئل ﷺ عن سبب كثرة استعاذته من المأثم والمغرم قال: «إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف»[2]. قال ابن القيم في ذلك: (والمقصود أنَّ النبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاذ منه، وذلك لأنَّ الحزن يُضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلىٰ الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة: ١٠]، فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره)[3].

والحديث عن الاستقرار النفسي يتطلب النظر إلىٰ جوانب مهمة في حياة المربي، ومنها النظر في استقراره الأسري والمالي وتكوينه الشخصي وتنشئته الاجتماعية وأسلوب تفكيره، وغير ذلك مما يؤثر في استقراره النفسي.

---

(١) أخرجه البخاري ح ٢٩١١.
(٢) أخرجه البخاري ح ٢٤١٠.
(٣) طريق الهجرتين ٢/ ٦٠٧.

فخلو بيت المربي من الاضطرابات المعوّقة له يدفعه نحو المثابرة في أعماله التربوية، وقد وجدنا العناية الربانية ببيوت الأنبياء في كتابه، كما في قوله تعالىٰ عن زكريا: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٩٠]. قال الطبري: (والصواب من القول في ذلك أنْ يقال: إنَّ الله أصلح لزكريا زوجه، بأنْ جعلها ولودًا حسنة الخُلُق)[1].

إنَّ استقرار الحياة الزوجية يفضي بشكل مباشر إلىٰ السكن، وهو أحد أهم مقاصد الزواج، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١]. والسكن ضد الاضطراب، وهو الراحة والهدوء النفسي، لكنه لا يتم إلا مع زوجة صالحة لزوجها، ولذلك عدَّىٰ الله تعالىٰ الفعل «يسكن» إلىٰ الزوجة، فالسكون والاستقرار لا يتم إلا مقترنًا بها. وفي حال استقرت النفس وسكنت الروح واعتدل المزاج، فإن العطاء التربوي سيتأثر إيجابيًا، وسيكون ذلك رافدًا مهمًا من روافد العمل.

وإنَّ الكفاية المالية للفرد وأهل بيته تعدّ هاجسًا وحاجة ضاغطة علىٰ التفكير، لأنه لا بد له ولأهل بيته من متطلبات حياتية لا تتحصل إلا بالمال، واليوم تضغط القوة المادية علىٰ النفوس، وتدسُّ أنفها في منظومة القيم المتقدمة لدىٰ الإنسان، فالاكتفاء المالي في حده الأدنىٰ مطلب حياتي مهم وهدي نبوي، قال ابن عبد البر: (وكان رسول الله ﷺ يدخر مما أفاء الله عليه من صفاياه من فدك وغيرها قوت سنة؛ لنفسه وعياله، ويجعل الباقي في الكراع والسلاح في سبيل الله)[2].

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٣٨٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٧٦.

وليقوم النبي ﷺ بمهمته الرسالية الكبرىٰ امتن تعالىٰ عليه بأنْ أغناه وآواه، قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾ [الضحىٰ:٨]. وحين أغرقت الديونُ معاذَ بن جبل ﷺ أرسله نبينا ﷺ إلىٰ اليمن؛ لعله يغتني هناك بالمال، وأمره أنْ يعلِّم الناس هناك كتاب الله تعالىٰ، ليس هذا فحسب، بل سبق هذه الخطوة حديثه ﷺ مع الغرماء الذين أبوا إلا السداد وافيًا حالًا[1]. وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: بعث إليَّ رسول الله ﷺ فقال: «خذ سيفك وسلاحك». فأخذت سيفي وسلاحي، ثم أقبلت إلىٰ رسول الله ﷺ فوجدته يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطأه، ثم قال: «يا عمرو، إني إنْ أبعثك علىٰ جيش؛ يغنمك الله ويسلمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة». فقال: والله يا رسول الله، ما أسلمت لمال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام ولأنْ أكون معك. فقال: «يا عمرو، نعمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح»[2].

والمقصود أنَّ المربي بحاجة إلىٰ الاكتفاء المالي، والذي سماه النبي ﷺ بالكفاف - وهو ما يكفي حاجة الإنسان ويغنيه عن سؤال الناس، وليس المقصود به الاستكثار الملهي - بحيث لا تكون هذه المسألة عائقًا له في طريقه التربوي، قال ابن عبد البر بعد ذكره عددًا من الآثار في الحث علىٰ الكفاية المالية: هذه الآثار كلها إنما أوردناها ها هنا لئلا يظن ظانٌّ جاهلٌ بما يرىٰ في هذا الباب أنَّ طلب المال من وجهه للكفاف والاستغناء عن الناس هو طلب الدنيا المكروهة الممنوع منه، فإنه ليس كذلك. رحم الله أبا الدرداء إنه يقول: (من فقه الرجل المسلم استصلاحه معيشته). وقال أبو الدرداء أيضًا: (صلاحُ المعيشة من صلاحِ الدين، وصلاحُ الدين من صلاحِ العقل)[3].

---

(١) انظر: حلية الأولياء ١/ ٢٣١.
(٢) المعجم الأوسط ح ٣١٨٩ وصححه الحاكم ح ٢٩٢٦.
(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٨٢.

وكما قال أبو الدرداء؛ فإنَّ أصل صلاح المعيشة راجع إلىٰ صلاح العقل، فإنَّ طريقة التفكير السليمة وحسن معالجة الأمور لها تأثيرها في الاستقرار النفسي، إذ لا تخلو حياة المرء من مكدّرات وهموم وأحزان، لكنه يعالجها بأفضل ما يمكنه من وجوه النظر والتفكير الجيدة، وهذا فقه يتطلب التعلم والتعوّد والتدرب عليه.

وكما أنَّ تكوين شخصية المربي وتنشئته الاجتماعية الأولىٰ ستكون لها بصمتها عليه، فإنَّ عليه أنْ يتعاهد نفسه بتحسين تفكيره ونظره وتهذيب أخلاقه وانفعالاته حتىٰ يترقىٰ في مدارج الاستقرار النفسي.

فهذه أمور يحتاج المربي إلىٰ أنْ يبلغ فيها الحد الأدنىٰ من الاستقرار، وبقدر النقص في استقراره يتأثر عطاؤه سلبًا، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

■ سادسًا: الإيجابية والهمّ التربوي

يستطيع المربي أنْ يقدم قائمة من المعاذير التي تبرر ضعف نتاجه التربوي أو بطء العملية التعليمية؛ حيث المجتمع الذي لا يساعدنا، والإعلام الذي يقف معظمه ضدنا، ومزاحمة المهام التربوية للأوقات المرصودة للسعي في طلب المعيشة، ونحو ذلك من المعاذير التي لا تخلو من الحقيقة.

لكن سيرة النبي ﷺ - وهو قدوة المربين - تعلمنا أنْ نتقدم بخطوة عن كل موقف، وأنْ ننظر من ثقوب التحديات إلىٰ باحات الفرص الجديدة، وأنْ نتغلب علىٰ كل عائق بمسار آخر يجعله مهملًا ولا قيمة له. وهكذا كان المصلحون والمربون عبر العصور والقرون.

والمربي الجيد هو الذي لا يقف أمام التحديات مكتوف اليدين، ولا يتعامل معها بجبرية، وإنما يتخذ القرار ويقيّم الموقف ويكون إيجابيًا ويستعين بالله تعالىٰ قبل كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

من زاوية أخرىٰ، فإنَّ التفاؤل هدي نبوي حثّ عليه نبينا ﷺ واستعمله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وأحب الفأل الصالح»[1]. قال البغوي: (وإنما أحب النبي ﷺ الفأل لأنَّ فيه رجاء الخير والعائدة، ورجاء الخير أحسن بالإنسان من اليأس وقطع الرجاء عن الخير)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ح ٢٢٢٣.
(٢) شرح السنة ١٢/ ١٧٥.

والتفاؤل شعور داخلي ينتج عن حسن الظن بالله والعلم بقدرته المطلقة ورحمته الشاملة ومعيته للمؤمنين، قال الحليمي: (وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل لأنَّ التشاؤم سوء ظن بالله تعالىٰ بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمورٌ بحسن الظن بالله تعالىٰ علىٰ كل حال)[1]. ولذلك تجد سير الأنبياء والمصلحين والمجددين حافلةً بالشعور الإيجابي رغم شدة الأهوال التي يواجهونها والمخاطر التي تحدق بهم، وما ذاك إلا لحسن ظنهم بالله وعلمهم بأسمائه وصفاته وسننه في الكون والحياة، وكلما جهل الإنسان شيئًا من ذلك احتكم في مشاعره إلىٰ الحسابات المادية التي يراها بالقرب منه، وربما صنعت له وسائل التأثير والإعلام صورة قاتمة للواقع فظن الظن السوء وأصابه الإحباط عن العمل وقعد عن واجباته.

فأول ما ينبغي علىٰ المربي في هذا السياق أنْ يصحح فكرته عن المستقبل المعقود بيد الكريم الرحيم، وأنْ يكون علىٰ يقين من قدرة الله علىٰ تحويل التحديات إلىٰ فرص، وكما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي»[2]. وأنْ يعلم أنه سبحانه لا يخلف وعده بأنَّه ينصر من ينصره، وأنه مع المتقين ومع المحسنين.

والتفاؤل بهذا المعنىٰ هو وقود العاملين وشرارة الانطلاق، فإنَّ التفاؤل الذي لا ينتج عملًا إنما هو حيلة نفسية للتراخي والقعود، وخدعة شعورية للهروب من مواجهة الواقع، وقد قال الماوردي: (وأما الفأل ففيه تقوية للعزم، وباعث علىٰ الجد، ومعونة علىٰ الظفر، فقد تفاءل رسول الله ﷺ في غزواته وحروبه)[3]. وهذا يوضح لك اقتران التفاؤل بالعمل والإيجابية لا القعود والتراخي.

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢١٥.
(٢) أخرجه البخاري ح ٧٤٠٥ ومسلم ح ٢٦٧٥.
(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣١٦.

وينشأ التفاؤل من إصلاح التفكير حتىٰ يكون إيجابيًا، فالتفكير الإيجابي يولِّد الفاعلية وينشر التفاؤل، وقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يوجه التفكير في هذا الاتجاه، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»[1]. وعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أنْ تلقىٰ أخاك بوجه طلق»[2]. ونحو هذا كثير في توجيه النبي ﷺ لأصحابه، وهذا ما يفسر أحد أسباب الفاعلية والانطلاق التي أُفعمت بهما أرواحهم ووجدانهم.

والتفكير الإيجابي ينتج عددًا من الصفات التي ينبغي أنْ يتحلىٰ بها المربي والتي لها الأثر الإيجابي علىٰ الطلاب، وأهمها:

١. الصبر علىٰ الطلاب وطول النفس وتحمّل أخطائهم، فالصبر مفتاح الاقتداء والتأثر، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]. والطالب إنسان يعتريه النقص وتؤثر فيه الصوارف، والمربي يدرك أنَّ وقوع الخطأ منه أمر طبيعي، يعالَج ويصحَّح، ورب خطأ قاد إلىٰ توبة صالحة.

٢. الرفق بالطلاب ولين الجانب لهم والرحمة بهم، علىٰ الرغم من نفورهم أو نفور بعضهم أو تعسر تحقيق الأهداف التربوية، قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]. فإنَّ المربي الجيد ينظر إلىٰ الجوانب المشرقة ويأمل فيما بعد المواقف الآنية، ويدرك أثر الغرس التربوي علىٰ مدىٰ الزمن، وأنَّ ثمرة جهوده التربوية لا بد من أنْ تنضج يومًا ما، وحينها لن يعمد المربي إلىٰ استخدام أساليب الشدة والغلظة والقسوة.

---

(١) أخرجه البخاري ح ٣٤٦١.
(٢) أخرجه مسلم ح ٢٦٢٦.

ولأن المربي الإيجابي ينظر إلىٰ المستقبل نظرة إيجابية، فإنه يأمل النجاح في عمله ويثابر في تحقيق أهدافه ويتولّد لديه همّ تربوي يوجه طاقاته نحو النجاح ويحفز تفكيره إلىٰ استخدام الأدوات المثلىٰ وطرائق التخطيط الأنجح. ويبدو الهمّ التربوي علىٰ أداء المربي في عدد من الأمور، فهو:

- قوي النفس يقود المجموعة الطلابية نحو الأهداف، ويتدرج بهم بدون كلل ولا ملل، ويحافظ علىٰ جودة المناخ التعليمي.

- مبادر إلىٰ تطوير أدائه وتنمية معارفه الشرعية والتربوية، مهتم بكل ما من شأنه تكميل شخصيته.

- متحمس للأنشطة التربوية والمواقف التعليمية، يتضح عليه شعور الثقة والاطمئنان، ويدرِّس بعمق.

- يركز علىٰ جوانب القوة في برامجه وفي الطلاب، ويعمل علىٰ تقويتها واستثمارها.

- يشجع فرص التقويم الذاتي، ويستثمر الأخطاء بتحويلها إلىٰ مواقف تعليمية، ولا يقف كثيرًا عندها أو يجعلها عائقًا.

- يشجع مشاركة الطلاب في الأنشطة والدروس، وبرامج المعايشة والتفاعل الاجتماعي.

- قادر علىٰ الابتكار، وإبداع الحلول للمشكلات.

- ينمّي الإيجابية في الطلاب من خلال سلوكه العملي وحديثه وابتسامته ومعالجاته للمواقف، ومن خلال توظيف طاقاتهم وتكليفهم بالأعمال وتدريبهم علىٰ المسؤوليات.

- كثير التفكير فيما يمكن فعله وما هو متاح، وفي الفرص التي تسهم في إنجاح جهوده.

ويسبق ذلك كله مسألة الاقتناع بفكرة التربية، فإنَّ المربين الذين لديهم تصور واضح عن قوة التربية في إصلاح المجتمعات وتهذيب النفوس وتعبيدها لله رب العالمين وتقليل الفساد في الأرض؛ هم الذين يثابرون ويبادرون، وهم الذين يتفاءلون، وهم المربون الإيجابيون، أما الذين ليس لديهم رؤية واضحة عن طبيعة عملهم وهوية برامجهم؛ فغالبًا يتساقطون أو يفشلون ويحبطون. فالأمر مرتبط بمسألة الهم التربوي والاقتناع بجدواها.

■ سابعًا: الاعتدال

بُني الكون علىٰ الميزان، وبُني الدين علىٰ الاعتدال، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن:٧-٨]. والتوازن والاعتدال هما التوسط بين حالين وعدم التجاوز، ولذلك قال البغوي: (وأصل الوزن التقدير «ألا تطغوا» يعني لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان)[١].

وقد ظهرت معالم الاعتدال في جوانب شتىٰ من التربية الإسلامية، ففي باب العقائد والشرائع قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]. قال السعدي: (عدلًا خيارًا، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين، وسطًا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارىٰ، وبين من جفاهم كاليهود، بأنْ آمنوا بهم كلهم علىٰ الوجه اللائق بذلك، ووسطًا في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم ولا تهاون النصارىٰ، وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارىٰ الذين لا ينجسون شيئًا ولا يحرمون شيئًا، بل أباحوا ما دب ودرج، بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها)[٢].

---

(١) معالم التنزيل ٧/ ٤٤٢.

(٢) تفسير السعدي ١/ ٧٠.

وكان رسول الله ﷺ علىٰ هذا الاعتدال في كل شؤون حياته، في تعامله وعبادته وحركته وعلاقاته، فعن عن جابر بن سمرة، قال: (كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصدًا، وخطبته قصدًا)[1]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا حتىٰ أرىٰ منه لهواته، إنما كان يتبسم)[2]. ومن دعائه ﷺ: «أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنىٰ»[3].

وكانت توجيهات النبي ﷺ في هذا الإطار صريحة أو ضمنية، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[4]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: لا، حُلُّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد)[5]. وعن ابن عباس قال: (بينا النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل؛ نذر أنْ يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي ﷺ: مره فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه)[6]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا. وقال آخر:

---

(١) أخرجه مسلم ح ٨٦٦.
(٢) أخرجه البخاري ح ٤٨٢٨ ومسلم ح ٨٩٩.
(٣) أخرجه أحمد ح ١٨٣٢٥.
(٤) أخرجه البخاري ح ٣٩.
(٥) أخرجه البخاري ح ١١٥٠.
(٦) أخرجه البخاري ح ٦٧٠٤.

أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1]. وقد ذكر البخاري هذا الحديث في باب الترغيب في النكاح.

وحين يتربىٰ الطلاب علىٰ الاعتدال والوسطية، فإنَّ ذلك سينعكس إيجابيًا علىٰ عدد من الأمور، من أهمها:

١. سلامة التدين من الغلو الذي كانت عليه طوائف من أهل الكتاب وطوائف ضالة من هذه الأمة، ونجاتهم منه، فإنَّ النبي ﷺ أخبر عن بعض أوصافهم فقال: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية؛ يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة». وقال: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[2].

٢. النمط الحياتي المعتدل المتمثل في الكسب المالي والتفكير وطريقة النظر في المواقف والقضايا والأحداث واتخاذ القرارات والتوسط في العلاقات، وقد أثنىٰ الله علىٰ هؤلاء فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان:٦٧]. وهو مقتضىٰ الأمر الإلهي كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١].

---

(١) أخرجه البخاري ح ٥٠٦٣.

(٢) أخرجهما البخاري ح ٥٠٥٧ و٥٠٥٨.

ولكن لا يستطيع المربي أنْ يربي الطلاب علىٰ الاعتدال ما لم يكن هو معتدلًا في تدينه ونمط حياته وتفكيره، والاعتدال - وعكسه الغلو والتفريط - يظهر علىٰ شخصية المربي في طرحه للمفاهيم والموضوعات، وفي معالجاته للمواقف والأحداث، وفي نظره للقضايا وقراراته.

والاعتدال في المربي يعني حماسه لتحقيق أهدافه دون أنْ يستعجل، واهتمامه بقضايا الأمة دون أنْ تنحرف بوصلته، ورغبته في الدار الآخرة دون أنْ يكون فاشلًا في حياته الخاصة، وانشغاله بالعمل التربوي دون أنْ يهمل بيته، وبذله لخدمة الدين دون أنْ يُغفل إصلاح نفسه والاستمرار في التعلم.

وفي معالجاته للمواقف ينظر المربي إلىٰ الموازنة بين الهدف التعليمي وبناء الشخصية، والموازنة بين مصلحة الطالب ومصلحة المجموعة، والموازنة بين الحفاظ علىٰ وقاره وخلطته بالطلاب، والموازنة بين غرس التدين وإصلاح الشخصية، والموازنة بين العمل الإداري والواجب التربوي اليومي.

الاعتدال هو نصب للميزان في الشؤون كافة، وهو المتسق في طبيعة خلق الله وأمره، فلا غرو أنْ يكون جزءًا من شخصية المربي.

المتطلبات المعرفية

سنتطرق في هذا الموضوع إلىٰ ما يلزم المربي أنْ يكون له إلمام معرفي به، وما ينبغي أنْ يبذل في تعلمه جهدًا منظمًا وجادًا، لأهميته في بناء المربي علميًا، ولحاجته الدائمة إليه في مسيرته التربوية؛ فإنَّ هذه العلوم والمعارف تمثل مادة التربية والتوجيه والمعالجات.

والمفرط في هذه الأبواب العلمية والمعرفية اللازمة للمربي، سيعتريه القصور في توجيهه ومعالجاته، وفاقد الشيء لا يعطيه. ويمكن تقسيم هذه العلوم والمعارف إلىٰ ثلاثة أنواع: العلوم والمعارف الشرعية، والعلوم والمعارف التربوية، والعلوم والمعارف الثقافية المؤثرة في عمل المربي وشخصيته.

وقبل البدء يجدر التنبيه إلىٰ أنَّ علىٰ المربي الاعتناء بتحصيله العلمي المتعلق بتخصصه العلمي والمهني، أيًا كان مجاله، وأنْ يكون له إحاطة تمتاز بالعمق والشمولية فيه، وهو أعلم بموضوعاته وحدودها، وهو أقدر علىٰ وضع برامج التعلم المتعلقة بتخصصه، ولا يحسن بحال أنْ يقف عند درجة معينة في الاستزادة العلمية في تخصصه، فإنَّ التوقف بداية الرجوع والهبوط، والاستزادة العلمية إحدىٰ خطوات النجاح ومن أهمها، ولها أثرها في العمل التربوي.

■ أولًا: المعارف الشرعية

التربية الإسلامية عمل شرعي، والله تعالىٰ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]. وكل الأعمال الشرعية تُبنىٰ علىٰ العلم الشرعي الصحيح حتىٰ لا تزل القدم ويحدث الانحراف عن الدين. وإذا كانت المتابعة للنبي ﷺ شرطًا في قبول الأعمال الشرعية، فإنَّ قدرًا من العلم الشرعي المؤدي للمتابعة واجب علىٰ كل عامل، ومنهم المربون الذين يبذلون جهدهم في تربية الناس علىٰ دين الله، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[1].

والتربية عمل بشري مركب، تكتنفه المواقف والأخطاء والعوارض والأحداث، وهي أمور تدعو الحاجة فيها إلىٰ التكييف الفقهي والتقييم الشرعي وفقه مراتب الأعمال والموازنة بين المصالح والمفاسد، وكل ذلك يتطلب من المربي أنْ يُعمل اجتهاده في التعامل معها ببصيرة وهدىٰ، ولا يكون ذلك بدون علم شرعي.

وبنظرة إلىٰ حالات الإخفاق التي مُنيت بها بعض المحاضن التربوية، نجد أنَّ من الأسباب المهمة ضعف الاهتمام العلمي بالشريعة الإسلامية لدىٰ المربين؛ إذ لا يرىٰ هؤلاء ضرورة للاستزادة العلمية في مسيرتهم العملية، وهذا المسلك ناتج عن تصور خاطئ، وهو فصل العلم عن التربية، واعتقاد أنَّ التربية لا تقوم علىٰ العلم الشرعي.

وليس المقصود في هذا السياق أننا نشترط علىٰ المربي أنْ يكون طالب علم، وإنما لديه حدٌّ أدنىٰ من العلم الشرعي الذي به يكون قادرًا علىٰ تحمّل المسؤولية التربوية، ولديه أيضًا برنامجه في التعلم المستمر الذي يتزود فيه من المعارف والعلوم الشرعية.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٩٧ ومسلم ١٧١٨.

ومن أهم الأبواب العلمية التي ينبغي التأكيد عليها في التكوين الشرعي للمربي:

١. التزكية والسلوك، فقد اعتنىٰ علماء الإسلام بتهذيب النفس وإصلاح الأخلاق وتزكية القلب، وفي حديث جندب بن عبد الله ﷺ قال: (كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أنْ نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا)[١]. ومن المهم أنْ يكون المربي قد طرق قلبَه شيء من مواعظ العلماء وعبارات السلف وشروحهم للأحاديث في أعمال القلوب والأخلاق والآداب والرقاق، ومن المهم أنْ يكون له حظ من الاعتناء بها.

٢. ينبغي ألا يقل حفظه للقرآن الكريم عن سور المفصل، فهي من السور التي وردت السنة بالصلاة بها[٢]، وقد كان الصحابة ﷺ يولونها مزيد عناية، عن سعيد بن جبير قال: (إنَّ الذي تدعونه المفصل هو المحكم، وقال ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم)[٣]. ومن دخل ميدان التربية الإسلامية قبل أنْ يتم حفظ القرآن، فعليه السعي لإتمام حفظه، لأنه كلام الله وكتاب الاهتداء وأصل الأصول وأم العلوم ومادة الاستدلال والاستنباط وزاد المربي.

٣. ينبغي ألا يقل حفظه للحديث النبوي عن الأربعين التي انتقاها النووي وأتمها إلىٰ الخمسين ابن رجب الحنبلي، وقد تلقتها الأمة بالقبول وتعاقبت الأجيال علىٰ حفظها وفهمها. ويحسن بالمربي أنْ يجتهد في حفظ الأحاديث الصحيحة المتعلقة بمهمات المسائل من أبواب العبادات «أركان الإسلام».

٤. تفسير جزء عمَّ. فلا غنىٰ للمربي عن فهم معاني سور جزء عمَّ، والمقصود بالتفسير هنا بيان المعاني المتعلقة بالألفاظ والمعاني المتعلقة بالآية مجملًا وبعض

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح ٦١.
(٢) انظر الآثار في سنن الترمذي ح ٣٠٦ وما بعده.
(٣) أخرجه البخاري ح ٥٠٣٥.

الفوائد والأحكام المستنبطة منها. ويحسن بالمربي أنْ يجتهد في فهم معاني القرآن الكريم كاملًا، وخاصة سور المفصل منه، لأنَّ القرآن الكريم مصدر التصورات والمفاهيم والحاكم علىٰ حياة الإنسان.

٥. أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. وهي رؤوس مسائل وأبواب في العقيدة الصحيحة، ويحسن بالمربي أنْ يتم دراسة متن من المتون الموجزة في ذلك، كالعقيدة الواسطية لابن تيمية، والأصول الثلاثة لابن عبد الوهاب.

٦. السيرة النبوية. وهي تمثل التطبيق العملي النموذجي لتوجيهات القرآن الكريم، وهي حياة النبي ﷺ وما جرىٰ فيها من أيام عظيمة كالغزوات والفتوحات وما تخللتها من أحداث اجتماعية وسياسية. والمربي بحاجة إلىٰ الأسوة الحسنة والقدوة المطلقة التي تكون نصب عينيه في مختلف شؤونه التربوية، ولهذه الحاجة جعل الله سيرة نبينا ﷺ واجبة الاتباع والاستهداء، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

٧. الإلمام بما يحتاج إليه من الفقه وأصوله وقواعده، والمتمثلة في:

- مهمات الأحكام في أبواب العبادات، وكبار المسائل في أحكام المعاملات والأسرة.

- رؤوس المسائل في أبواب أصول الفقه، لا سيما الحكم الشرعي التكليفي، والأدلة الشرعية، والمباحث المهمة في دلالات الألفاظ كالمجمل والمبين والعام والخاص والظاهر والمؤول.

- القواعد الفقهية الكبرىٰ الخمس.

- محكمات الشريعة والمقاصد العامة لها.

٨. أدبيات التداول العلمي والمشتملة علىٰ:

- آداب طالب العلم.

- القدرة علىٰ الرجوع إلىٰ المصادر والمراجع وأوعية العلم المختلفة لإعداد درس أو بحث مسألة أو التحقق من فائدة أو استخراج فتوىٰ ونحو ذلك.

وفي ختام ذلك أودّ التنبيه إلىٰ الفرق بين ما ينبغي تعلمه وما يستحسن تعلمه؛ فالأول هو المقصود، والآخر مقترح للتطوير والتحسين.

كتب ومراجع يوصىٰ بها للتكوين الشرعي للمربي:

الفن	الكتب والمراجع
السلوك والتهذيب	- الأدب المفرد، البخاري. - رياض الصالحين، النووي. - الإكسير، مجموعة من الباحثين. - الداء والدواء، ابن القيم. - مختصر جامع العلوم والحكم، محمد بن سليمان المهنا. - شروح الأحاديث المتفرقة، ابن رجب. - أعمال القلوب، خالد السبت. - ظاهرة ضعف الإيمان، محمد المنجد. - معاني الأذكار، محمد المنجد. - هذه أخلاقنا، الخزندار.

الحديث	- كتاب الأربعين النووية، النووي. - حصن المسلم، سعيد القحطاني. - المنتقى الفقهي، دليل شرعي مختصر، فيه (١٠٠) حديث منتقاة من أبواب العبادات من كتاب عمدة الأحكام، شيخة الهاشمي. - عمدة الأحكام من أحاديث خير الأنام، الحافظ عبد الغني المقدسي. - الأربعون في الأحكام، المنذري. - التجريد لأحاديث العمدة في الفقه، عبد السلام الشويعر.
التفسير	- المختصر في التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية. - التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي. - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.
العقيدة	- العقيدة الواسطية، ابن تيمية. - الأصول الثلاثة والقواعد الأربع، محمد بن عبد الوهاب. - كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب. - نواقض الإسلام، محمد بن عبد الوهاب. - ميثاق، عبد الله الركف. - القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، ابن عثيمين.

السيرة النبوية	– مختصر السيرة النبوية، موسى العازمي. – الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري. – المعسول في شمائل الرسول ﷺ، حسن بخاري. – كيف عاملهم، محمد المنجد.
الفقه	– الملخص الفقهي، صالح الفوزان. – المختصر في العبادات، خالد المشيقح. – منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، عبد الرحمن السعدي. – الأصول من علم الأصول، ابن عثيمين. – تلخيص القواعد الفقهية، علي ونيس. – القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، صالح السدلان. – كتاب المحكمات في الشريعة الإسلامية وأثرها في وحدة الأمة وحفظ المجتمع، عابد السفياني.
أدبيات العلم	– كيف تقرأ كتابًا، محمد المنجد. – حلية طالب العلم، بكر أبو زيد. – التعالم وأثره على الفكر والكُتَّاب، بكر أبو زيد. – السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية، أحمد سالم. – رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية. – منهجية التعامل مع المخالفين، سليمان الماجد.

■ ثانيًا: المعارف التربوية

التربية عمل مبني علىٰ قواعد مسبقة من الأفكار والتصورات والعلوم، وفهم أدوات التربية وطرائقها مطلب في تجويد العمل التربوي وإزالة عوائقه والتقليل من مشكلاته ومحبطاته؛ لذا فإنه من المهم أنْ يتعلم المربي بعض أبواب العلوم التربوية المتخصصة، لما لها من تأثير في تصويب العمل وتجويده، ومنها:

١. مهمات الموضوعات في علم نفس النمو. وعلم نفس النمو هو العلم الذي يدرس نمو الإنسان من حين حمله إلىٰ حين وفاته. ومن أهم موضوعاته: مفهوم النمو، والعوامل المؤثرة في النمو، وخصائص المراحل العمرية ومطالبها.

وعلم نفس النمو يساعد المربي علىٰ تفسير سلوك الطلاب، وطرق علاج مشكلاتهم وتحسين التواصل معهم، وطريقة تحضير الدروس وإعداد البرامج والمناهج التعليمية، وتنمية التفكير والقدرات العقلية لديهم، وغير ذلك من الأمور المهمة.

٢. مهمات الموضوعات في علم نفس التربية. وعلم نفس التربية هو العلم الذي يتناول طبيعة عملية التعلم والتعليم. ومن أهم موضوعاته: مفهوم التعلم، والأهداف التربوية، والذكاءات والفروق الفردية، والتقويم التربوي والإدراك والدوافع والتحفيز والشخصية.

وعلم النفس التربوي يساعد المربي علىٰ صياغة الأهداف التربوية، وتفسير السلوك ودوافع الطلاب، وتقديم أفضل الطرق التدريسية وتقويم العملية التربوية وعلاج المشكلات الطلابية، وغير ذلك من الأمور المهمة.

٣. مهمات الموضوعات في أصول التربية الإسلامية. وتتمثل في مفهوم التربية الإسلامية وخصائصها، ومصادرها وأهدافها، والأصول الفكرية المؤطّرة لها.

٤. الهدي النبوي في التربية والتعليم وحل المشكلات السلوكية ومعالجة الأخطاء. وهو باب واسع أُثبتت مفرداته في دواوين السنة النبوية، وأعدت بحوث في دراستها وجمعها وتحليلها وتصنيفها والاستنباط منها.

٥. مهمات الموضوعات في المناهج وطرق التدريس. ومنها: تصميم الدروس والأنشطة والتعلم التعاوني والتعلم النشط وطرق التدريس والتعلم الذاتي.

ومن المهم أنْ يقرأ المربي ما دوّنه فقهاء التربية الإسلامية في هذا الباب - وفي باب التكوين الشرعي أيضًا - كما في كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع وكتاب الفقيه والمتفقه، كلاهما للخطيب البغدادي، وكتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناني، وكتاب تعليم المتعلم في طريق التعلم لبرهان الدين الزرنوجي، وكذلك الأبواب المتعلقة بالعلم وآدابه التي ضمنها أهل العلم في كتبهم الموسوعية، كما في أبواب العلم في دواوين السنة النبوية، وفي كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وفي كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح، وفي كتاب غذاء الألباب للسفاريني، وغيرها من الكتب.

كما لا يستغني المربي عن قراءة الأطروحات التربوية المعاصرة والتي تتناول القضايا المستجدة وتعالج الشؤون التربوية ليكون مواكبًا لما يستجد في العلوم والمعارف التربوية.

ويفضّل أنْ يلتحق المربي بدراسة دبلوم تربوي في إحدىٰ الكليات التربوية أو ما في معناها، سواء تم ذلك بالدراسة المنتظمة المباشرة أو الدراسة عن بُعد، ليكون له اطّلاع منهجي علىٰ هذه المعارف.

كتب ومراجع يوصىٰ بها للتكوين التربوي للمربي:

الفن	الكتب والمراجع
علم نفس النمو	– كتاب علم نفس المراحل العمرية، عمر بن عبد الرحمن المفدى. – كتاب المراهقون، عبد العزيز النغيمشي.
علم نفس التربية	– نظريات التعلم المعاصرة وتطبيقاتها التربوية، لطفي فطيم وأبو العزايم الجمال. – علم النفس التربوي، عبد المجيد نشواتي. – علم النفس الدعوي، عبد العزيز النغيمشي. – علم النفس التربوي، عماد الدين السكري ومحمد بن مترك القحطاني.
أصول التربية الإسلامية	– فلسفة التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني. – التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات، سعيد إسماعيل علي وآخرون.
الهدي النبوي في التربية والتعليم	– التربية النبوية، محمد الدويش. – المربي الأول، محمد الدويش.
المناهج وطرق التدريس	– قيادة المنهج، جلاتثورن، ترجمة جامعة الملك سعود. – المنهج المدرسي من منظور جديد، الشافعي وآخرون. – المنهج المدرسي المعاصر، حسن جعفر الخليفة. – تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد الدويش. – مهارات التدريس في الحلقات القرآنية، علي بن إبراهيم الزهراني.

■ ثالثًا: المعارف الثقافية

يشهد عصرنا الحاضر تغيرات وتحولات تتسم بكثرتها وسرعة حدوثها، وهذه التغيرات والتحولات ذات أبعاد تأثيرية علىٰ مناحي حياتنا وتشكيل شخصياتنا، وهذا ما يجعلنا نقول بأهمية التكوين الثقافي للمربي ليكون قادرًا علىٰ استيعابها فكريًا وقادرًا علىٰ التعامل معها وتقييمها، وقادرًا علىٰ تربية الطلاب ليكونوا كذلك.

ثمّة معارف وأبواب في شتىٰ الفنون الأخرىٰ ليست ذات علاقة بالتربية الإسلامية من حيث المادة العلمية، لكن المربي لا يستغني عنها لما لها من التأثير في تكوين شخصيته، وصقل تفكيره ورسوخ بنائه العقلي والمعرفي، فإنَّ التخصص لا يعني الانغلاق عن العلوم والمعارف الأخرىٰ لما بينها من الروابط والوشائج المؤثرة. وعليه؛ فإنَّ المربي الجيد له إلمام وفهم بعدد من الموضوعات، ومنها:

- التاريخ بصفة عامة، والتاريخ الحديث والمعاصر بصفة خاصة، لتعلقه الكبير بالتاريخ الإسلامي، مع العناية بالخطوط العريضة والبارزة فيه، ذلك أنَّ التاريخ يطلعنا علىٰ سنن الله في الحياة والناس والأمم، ويطلعنا علىٰ أحوال الأمم والمجتمعات ونتعرف من خلاله إلىٰ طرق النهوض والسقوط، ونتعلم نجاح المصلحين وثغراتهم.

الدول الإسلامية المتعاقبة، وقادتها وعلماؤها ورجالها، والحروب الصليبية المشرقية، وحروب الاسترداد المغربية، وصحوة الروم الكبيرة، والاستعمار وما بعده؛ كل ذلك يثري المربي ويعمق فهمه الاجتماعي والإنساني، ويساعده علىٰ فهم واقعه وتفسيره، وبهذا يزداد ثراؤه المعرفي وتتمتّن معرفته التربوية.

- المذاهب والأفكار المعاصرة، تعريفها ونشأتها وتطورها ومظاهرها، فإنَّ غالب المذاهب والأفكار المعاصرة تكوّنت امتدادًا لأفكار ومذاهب سابقة، سواء كانت متقدمة أو متأخرة، لا سيما وقد أثَّر التفوق الغربي الصناعي والحربي في تفشي كثير من تلك المذاهب والأفكار المنحرفة في بلاد المسلمين.

وكثير من مفردات هذه المذاهب والأفكار انتشرت دون معرفة بأصولها وحكمها، فيتلبس بعض الناس بفكرة منحرفة دون معرفة تقييمها والحكم عليها، وبعض الأفكار تتلبس بشعارات برّاقة كالعلمانية والإنسانية، دون معرفة حقيقتها، ولذلك يتطلب من المربي أنْ يكون لديه إلمام بأهمها ومعرفة بحقيقتها ليكون ذلك مدخلًا صالحًا في عطائه التربوي.

- الفن والإعلام، حقيقتهما وموضوعاتهما وقوة تأثيرهما، فإنَّ الفنَّ اليوم هو اللغة التربوية التي خوطبت بها المجتمعات، وهو إحدىٰ أهم الأدوات التي تغير المجتمعات، وتربّيها علىٰ نوع الثقافة والمعتقدات، وهو يقوم بهذا الدور بتأثير بالغ، فإذا حاورت دهاقنة الفن عن خطورة تأثيره قالوا لك: إنما الفن يعكس صورة المجتمع. وليس الأمر كذلك، فإنَّ الفن في حقيقة الأمر يُسخَّر لصناعة صورة المجتمع، ولطالما تعالت صيحات التحذير من ذلك، الأمر الذي حدا برئيس جامعة بوسطن الأمريكية عام ١٩٥٠م دانيال إل مارش أنْ يقول في حفل تخرج الطلاب: (في حالة استمر جنون التلفاز في تقديم برامج منخفضة المستوىٰ كالتي يعرضها، فإننا سنصبح مستقبلًا أمة من الحمقىٰ)[1]. هذا قبل ٧٠ سنة، أي قبل ظهور الكثير من التقنيات الإعلامية المتطورة وقبل الوصول إلىٰ الحالة المتقدمة من ألوان الفنون الموجودة اليوم.

---

(١) تاريخ مختصر لوسائل الإعلام الحديثة ص ١٩٥.

إنَّ عمق التأثير الـذي تحدثه البرامج والمسلسلات الدرامية في نفوس المشاهدين من الشباب والفتيات، هو عين ما تقوم به التربية من التوجيه الأخلاقي وغرس القيم وتنظيم التصورات نحو الوجود وما فيه من عناصر وصناعة أنماط معيَّنة في جانب العلاقات، وخلق معايير السلوك الفردي والجمعي؛ وهذا ليس سرًا، فإنَّ المؤسسات الحكومية المعنية بالفن تذكر ذلك في رؤيتها المنشورة علىٰ صفحاتها الرسمية علىٰ شبكة الإنترنت، وحسب نظرية الرصاصة السحرية[1]، فإنَّ الرسالة الإعلامية الدقيقة التي يرسلها الإعلام لا تخطئ هدفها في التغيير، سواء قتلت أم جرحت، وهذا يعني أنَّ المشاهد ما هو إلا هدف لإطلاق مئات الرسائل اليومية التي حتمًا ستصيبه فيتأثر بها، بشكل يومي.

وتستخدم وسائل الإعلام نظرية الحاجات والإشباعات، التي هي دليل المكر الإعلامي في إعادة تشكيل الإنسان. ومضمون هذه النظرية أنَّ للإنسان حاجات يمكن أنْ يشبعها من خلال متابعته وسائل الإعـلام، أي أنَّ مشاهدته لما يقدمه الإعلام ينوب عن فعله هو في تلبية حاجاته، وهو وهم يصنعه الإعلام، ويمرِّر من خلال هذه العملية التوجيه القيمي والرسائل المستهدفة.

وليس المطلوب من المربي أنْ يتقصىٰ دور الإعلام والفن في التغيير القيمي والاجتماعي، وإنما يكفيه أنْ يتعرف علىٰ أهميتهما وموضوعاتهما وما يمكنه أنْ يكون قادرًا علىٰ توجيه طلابه فيما يتعلق بهما توجيهًا صحيحًا.

- المجددون والمصلحون عبر التاريخ، وسيرتهم، فالتاريخ يكتنز سير كوكبة من المصلحين والمجددين الذين شهدوا انحرافًا في مجتمعاتهم، واستجابوا لواجب الوقت وقاموا بدورهم الإيجابي في مجتمعاتهم. وقد تضمّنت سيرهم قضايا

(١) الاتصال ونظرياته المعاصرة ص ٢٢٢.

متنوعة، مثل أسباب الانحراف وسبل الإصلاح وموضوع الإصلاح، ونقطة البداية وقوة التأثير وأسباب النجاح، والسير الذاتية الخاصة بالمجددين والمصلحين، وغير ذلك مما يؤثر في تكوين شخصية المربي وتوسيع أفقه.

- القضايا المعاصرة المحورية في حركة العالم اليوم، كقضية بيت المقدس وحقوق الإنسان والطاقة وغيرها، كونها قضايا ذات تأثير عام يصل إلىٰ مجتمع التربية، ويعالج المربي آثارها وامتداداتها في طلابه ومحيطهم.

- قضايا العمل الدعوي وفقهها، لأن عمل المربي هو في حقيقته دعوة إلىٰ الله، فيتطلب أنْ يكون المربي علىٰ وعي بأهم قضايا العمل الدعوي.

وسواء تحصّل المربي علىٰ هذه الأبواب من خلال القراءة أو من خلال الالتحاق بالبرامج المفيدة في ذلك، أو بالاستماع إلىٰ الدروس والمحاضرات المسجلة لها.

المهارات التربوية

تعرف المهارة بأنها القيام بعملية معيَّنة بدرجة من السرعة والإتقان مع اقتصاد في الجهد المبذول، فهي بوجه عام السهولة والدقة في إجراء عمل من الأعمال، وهي تنمو بالتعلم[1].

وتتراوح المهارات بين التعقيد وصعوبة الأداء بين البسيط نسبيًا كالمشي والالتقاط واستعمال المسطرة ولفظ بعض الحروف والكلمات؛ والشديد التعقيد كحل المشكلات واستعمال الآلات الدقيقة وكتابة النصوص الإبداعية. والمهارة قد تكون نفسية حركية، كقيادة السيارة واستعمال الحاسوب؛ وقد تكون عقلية كحل المسائل الرياضية وكتابة الشعر. أما مكونات المهارة فمعرفية ووجدانية ونفسية حركية (أدائية).

ويمر تعلم المهارة والتدرب عليها في الغالب بالمراحل التالية:

- مرحلة النموذج: وفيها يقدم للمتعلمين نموذج محدد لمحاكاته أو مناقشته، كتقديم نموذج لتحضير تقرير مكتوب، أو لكتابة جدول زمني للأنشطة التربوية.

- مرحلة التطبيق أو التدرب مع المساعدة: وتتاح فيها الفرصة للمتعلمين للتدرب علىٰ المهارة بمساعدة المعلمين.

---

(١) معجم المصطلحات التربوية والنفسية ص ٣٠٢.

- مرحلة التطبيق أو التدرب بعد المراجعة: وتتاح فيها الفرصة للمتعلمين لإعادة التدرب علىٰ المهارة بعد إجراء مراجعة قصيرة لها. ثم تتاح للمتعلمين فرصة القيام بهذه المهارة بأنفسهم.

- مرحلة الأداء المستقل: ويشجع فيها المتعلمون علىٰ أداء المهارة منفردين من دون مراجعة أو مساعدة.

- مرحلة الإبداع: وتتاح فيها الفرصة للمتعلمين ليقوموا بالمهارة بإتقان؛ موظفين جميع الخبرات السابقة، ومضيفين إليها لمسات جديدة خاصة بهم، تعمقها أو تطورها أو تجملها، لم تكن موجودة في السابق[1].

وعلىٰ المربي أنْ يكون مبادرًا ومبتكرًا، والمقصود بالمبادرة والابتكار قيام المربي باقتراح الأنشطة وتشييد الأفكار الخلّاقة، إيمانًا منه بدوره في تحقيق الأهداف العليا. وتتطلب المبادرة والابتكار استيعابًا لرؤية المؤسسة ورسالتها، وفهمًا لدوره وواجباته، وتعلمًا لمهارات تقديم المبادرات المقترحة من تحريرها وإعداد الملفات اللازمة لها.

والابتكار عملية إبداعية غير مألوفة في صناعة أنشطة وأعمال جديدة تسهم في تحقيق أهداف المؤسسة بأقل الموارد المتاحة وأعلىٰ النتائج المتوقعة.

وعلىٰ المربي الاعتناء بتعلم المهارات التربوية اللازمة لأداء مهامه التربوية، وعلىٰ المؤسسة التربوية أنْ تبني برامجها التدريبية بناء علىٰ بطاقة المهارات التربوية بصفة خاصة.

---

(١) المعجم الموحد لمصطلحات المناهج وطرق التدريس ص ١١٩ بتصرف يسير.

ويمكن تصنيف المهارات التربوية اللازمة للمربي في المحاضن التربوية إلىٰ ثلاثة أصناف:

الأول: مهارات التدريس.

الثاني: مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي.

الثالث: مهارات التفكير والبناء العقلي.

ولكونها مهارات عملية تتطلب قدرًا من التدرب والتعلم عبر برامج منظمة، فإننا سنقتصر بتعريف موجز لكل منها، علىٰ النحو التالي:

■ أولًا: مهارات التدريس

وهي المهارات المتعلقة بالدرس التعليمي داخل بيئة التعلُّم وحجرة الدراسة، وتشمل التالي:

١ - مهارة تهيئة بيئة التعلم

والمقصود بها تنظيم الفصل التعليمي وإعداد المعينات والوسائل التعليمية وتنظيم جلوس الطلاب ونحو ذلك مما يعين علىٰ تقديم الدرس بكفاءة.

٢ - مهارة تخطيط الدروس والمواقف التعليمية

والدرس أو الموقف التعليمي هو اللقاء المنظم بين المعلم والطلاب بغرض تقديم المحتوىٰ التعليمي المستهدف.

وتخطيط الدرس أو الموقف التعليمي يشمل:

صياغة الأهداف السلوكية، وتحديد خبرات الطلاب عن المفهوم، وتحديد عناصر الدرس، وطريقة تقديمه، وكيفية تقويم الطالب المستفيد، وإعداد الأنشطة المصاحبة.

ويميّز المربي بين كل من الحقائق والأفكار والأدلـة، ويعوِّد الطلاب علىٰ التمييز بينها.

مثال توضيحي لأحد النماذج لتخطيط الدرس:

اليوم والتاريخ		الموضوع	
الأهداف السلوكية			
إجراءات التدريس			
التقنيات التعليمية			
التقويم			
الواجب المنزلي			

٣ - مهارة صياغة الأهداف التربوية

والمقصود بالأهداف التربوية التي يصوغها المربي: الأهداف الإجرائية التي تصف بوضوح نواتج التعلم المرادة من الدرس.

ومثال ذلك: أنْ يذكر الطالب أركان الصلاة مرتبة. ويلاحظ أنَّ الهدف السلوكي يبدأ بقولنا: (أنْ). ثم الفعل المضارع (يذكر الطالب) ويكون إجراء ملموسًا يقدمه الطالب قولًا أو فعلًا، ثم المفعول به (أركان الصلاة) وهو المقصود من عملية التعلم، ثم الوصف المفيد لمستوىٰ استيعاب الطالب للمفهوم (مرتبة).

ويحدد المربي هدفًا أو أكثر لكل درس للتحقق من نواتج التعلم. ويجب أنْ تكون الأهداف الإجرائية واضحة ومحددة، وأنْ تعبر عن سلوك المتعلم لا سلوك

المعلم، وألا تشتمل العبارة الواحدة علىٰ أكثر من هدف، وأنْ تكون هذه الأهداف قابلة للقياس من حيث ظهورها، وأنْ تصف العبارة نواتج التعلم لا عملية التعلم، كما في المثال السابق. وقد سبق تفصيل الأهداف السلوكية ومستوياتها ومجالاتها في المبحث الخاص بأهداف التربية الإسلامية.

٤ - مهارة إدارة التعلم التعاوني

وهو تكوين مجموعات طلابية في الدرس، وتكليفهم بتحقيق أهداف الدرس من خلال توضيح مهامهم في نقاش المحتوىٰ وتنفيذ مهام التعلم.

يتعلم الطلاب المادة التعليمية بأنفسهم من خلال مناقشتها ومساعدة بعضهم البعض علىٰ فهمها، والتعلم التعاوني بهذا الوصف يعزز وينمي مهارات التواصل والتفكير لدىٰ الطلاب.

ومن أمثلة المهام التي تكلف بها مجموعات التعلم: عرض قصة مكتوبة عليهم، لتقوم هذه المجموعات باستنباط الفوائد المتعلقة بالمفهوم المراد تعلُّمه، وصياغة تعريف له. ويمكن استخدام وسائل ووسائط مختلفة لذلك.

ودور المربي هنا هو المساعدة والتيسير والحفاظ علىٰ بوصلة الدرس، وتحفيز الطلاب وتشجيعهم علىٰ ممارسة التعلم، ثم تصحيح الأخطاء وتكميل الفراغات المفاهيمية.

٥ - مهارات إدارة التعلم النشط

والتعلم النشط هو نمط تعلُّمي يمارس فيه الطالب دورًا نشطًا بقصد كسب المعلومات والمفاهيم المستهدفة، سواء كان الدور النشط حركيًا ويدويًا أو عقليًا بالتفكير والاستنتاج والتأمل والحوار.

ومثال ذلك: يقرأ المعلم أو بعض الطلاب قراءة الآيات في قصة موسىٰ عليه السلام لما ورد ماء مدين، ويطلب من الطلاب قبل ذلك أنْ يستنبطوا ضوابط خروج المرأة من بيتها، وضوابط كلام المرأة مع الرجل، وقيم العمل الجيدة، والعلاقة بينها وبين صفات الرجولة المفترض وجودها في الزوج.

وفي التعلم النشط يقوم الطلاب بعدد من العمليات، أهمها: التفكير والحوار، والمربي يشجع ذلك ويوجهه. ويتطلب نجاح التعلم النشط تعويدًا وتدريبًا حتىٰ يؤتي ثمراته، والتعلم التعاوني لون من ألوان التعلم النشط.

ويعد التعلم القائم علىٰ المشروعات شكلًا من أشكال التعلم النشط، وهو التعلم الذي يتم من خلال عمل ميداني يشارك فيه الطالب بحل المشكلات والاستكشاف والسؤال ونحو ذلك. ويمكن أنْ يكون فرديًا أو عبر مجموعات منظمة.

٦ - مهارة إدارة التعلم الذاتي

والمقصود بالتعلم الذاتي أنْ يعد الطالب الدرس لنفسه ويستخدم الوسائط المناسبة، وعلىٰ المربي أنْ يدير ويوجه التعلم الذاتي بما يحقق أهدافه التربوية لدىٰ الطالب.

٧ - مهارات استخدام الوسائط التعليمية

وهي أدوات لنقل المادة التعليمية وتقريبها إلىٰ ذهن المتعلم، كالصور والأفلام والشرائح والمواد المطبوعة والحاسب والإنترنت.

٨ - مهارات تدريس القرآن الكريم

تدريس القرآن الكريم له خصوصية في بيئة التعلم وطرائق التدريس وأهدافه وآدابه.

٩ - مهارات التعليم عن بُعد

والتعليم عن بُعد هو تنفيذ التدريس بكافة عناصره بدون اشتراط حضور الطلاب إلىٰ قاعة التدريس، سواء كان ذلك عبر الإنترنت وشبكات التواصل، أو بغيره من الوسائل.

وتعد وسائل التواصل الاجتماعي من أهم أدوات التعليم عن بعد لسهولتها وانخفاض تكلفتها المالية.

ومن أهم أدوات التعليم عن بعد أنظمة إدارة التعلم الإلكتروني، وهي أنظمة إلكترونية متكاملة لإدارة العملية التعليمية عن بعد، مع إمكانية التوثيق وإعداد التقارير، وفيها منصات متزامنة وغير متزامنة تسمح بإنشاء الفصول الافتراضية، وتشارك الملفات، وتتضمن غرفًا للنقاش، وقنوات تعليمية مقسمة وفق المواد الدراسية، إضافة إلىٰ مزايا رفع الواجبات والأنشطة وإجراء التقييمات الإلكترونية وتصحيحها تلقائيًا، ويوفر بعضها مكتبات إلكترونية ومرفقات تعليمية، ويتيح إمكانية إجراء اتصال مباشر مع المتعلمين (meetings live)، وجدولة اجتماعات ومحاضرات، إضافة لمزايا خاصة بالمتعلمين من ذوي الاحتياجات الخاصة كالقارئ الآلي، وتعديل وتكبير حجم الخط الخاص بالنصوص، وإمكانية الاستماع للنصوص المكتوبة بدلًا من قراءتها، كما يوفر بعضها الآخر إمكانية بناء محتوىٰ تعليمي إلكتروني وفق معايير عالية. ومن أهم المنصات التعليمية المشهورة عالميًا:

- G Suite for Education (edu.google.com).
- Edmodo (Edmodo.com).
- Blackboard System (blackboard.com).

ومن أهم أدوات التعليم عن بُعد التطبيقات التربوية في الأجهزة الذكية، مثل:

- منتجات (Google and Microsoft): توفر إنشاء عروض تقديمية وتصميم المحتوىٰ وملفات إنجاز رقمية.

- (EdPuzzle): يسمح بإنشاء فيديوهات تفاعلية وإجراء عمليات الدمج والقص والتعديل.

- (Phet Simulations): توفر تقنيات محاكاة وأدوات تفاعلية واختبارات يستطيع المتعلم من خلالها الربط بين ظواهر الحياة الواقعية ومختلف العلوم التي تفسر هذه الظواهر.

- (Padlet): لتنظيم خرائط ذهنية مفاهيمية لتوضيح موضوع ما.

١٠ - مهارة إدارة الواجب المنزلي

الواجب المنزلي هو مجموعة الأعمال ومهام التعلم التي يكلِّف بها المعلم طلابه خارج قاعة التدريس، ويراد منها تعزيز وإثراء التعلم والتحقق من بلوغ نتيجة الدرس.

١١ - مهارة التدرج التربوي

وهي السير بالعملية التعليمية وفق خطوات هادئة ومتدرجة من السهل إلىٰ الصعب، ومن المتفق عليه إلىٰ المختلف فيه، ومن الحقائق إلىٰ الاستنتاجات، والتدرج يتطلب مدة زمنية كافية، وصبرًا من المعلم، وتوقعًا للأخطاء؛ لعدم اكتمال صورة المفهوم لدىٰ الطالب، فيتطلب أيضًا رفقًا بالطالب.

١٢ - مهارات تكوين الاتجاهات

يعرف الاتجاه بأنه تصور ذهني شبه مستقر لدىٰ الطالب تجاه الناس أو الأماكن أو الأشياء أو الأحداث[١]. ويعرف أيضًا بأنه حالة مكتسبة من الاستعداد النفسي كامنة وراء استجابات الفرد وسلوكه نحو شيء أو أمر معين[٢]. والقناعات مكوِّن رئيسي في الاتجاهات، والبعض يعبّر بها عن الاتجاهات.

والاتجاه ثابت نسبيًا، وهذا ما يفسر الاتساق بين الأساليب السلوكية للفرد تجاه الموضوع الواحد والموضوعات المتشابهة. ولكون الاتجاه حالة من التهيّؤ النفسي، فإنه يتشكل من عناصر عقلية وعناصر وجدانية[٣].

وتكمن خطورة الاتجاهات في كونها محركًا رئيسيًا للسلوك، وفي كونها دافعًا من دوافع الاستجابة للمثيرات المختلفة، وإحدىٰ أهم وظائف التربية هي إصلاح السلوك بتأسيسه علىٰ الهدىٰ والحق أو بتعديله وتصحيحه، ولهذا كان موضوع الاتجاهات في بؤرة الاهتمام التربوي.

والاتجاه مكتسب، يتم تكوينه وتعديله بفعل المؤثرات المتدفقة، وتمثل التنشئة الاجتماعية محورًا في تكوين الاتجاهات، كما تمثل بيئة التعلم والمنهج التعليمي محورًا آخر في تكوين الاتجاهات.

وتمثل الاتجاهات جانبًا كبيرًا من الشخصية، فتؤثر في عاداته وميوله وعواطفه وأساليب سلوكه المختلفة، وإنه علىٰ قدر توافق هذه الاتجاهات وانسجامها واتساقها تكون قوة الشخصية، وعلىٰ قدر فهمنا لاتجاهات الفرد يكون فهمنا لحقيقة شخصيته.

---

(١) لغة التربويين ص ١٤.

(٢) المعجم الموحد لمصطلحات المناهج وطرق التدريس ص ٨.

(٣) انظر: علم النفس الاجتماعي ص ٣٧٩.

وتكوين الاتجاه يكون باستحداث اتجاه لم يكن موجودًا، وتعديل الاتجاه هو إحداث تغييرات علىٰ الاتجاه لدىٰ الفرد.

ومن الأمثلة علىٰ الموضوعات التي يكوِّن المرء نحوها اتجاهاته: تأسيس علاقات اجتماعية من خلال الإنترنت، قراءة الروايات والسير الذاتية، استمرار التعلم شرط للارتقاء بالنفس. فهذه أمثلة علىٰ موضوعات يمكن تكوين اتجاهات نحوها، سواء كانت اتجاهات سلبية أو إيجابية، ودور المربي هنا هو تكوين الاتجاه الصحيح نحو هذه الموضوعات، وتعديل الاتجاهات الخاطئة نحوها.

ومن أساليب تكوين الاتجاهات[1]:

١. التعرض المجرد للموضوع المراد، لأنه بمجرد التعرض يصنع إيجابية في المتلقي نحوه.

٢. الخبرة الشخصية المباشرة.

٣. الاقتران الشرطي بين السلوك وتقييمه من قبل المؤثرين.

٤. تأثير القدوات والرموز والمشاهير.

٥. وسائل الإعلام.

وإذا أتقن المربي وسائل وأساليب تكوين الاتجاهات وتعديلها، وتعلم تقنياتها وأدرك أبعادها؛ استطاع أنْ يصنع تأثيرًا إيجابيًا عاليًا في الطلاب، لأنَّ المحاضن التربوية تعد من أقوىٰ المناخات المناسبة لذلك، ولأننا داخل إطار منافسة قوية مع الآلة الإعلامية والتثقيفية العولمية علىٰ تكوين اتجاهات الأجيال الجديدة.

---

(١) انظر: علم النفس الاجتماعي ص ٢٨٣-٢٩١.

■ ثانيًا: مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي

التربية في أغلب عملياتها تواصل بين المربي والطلاب، ويمثل استيعاب الطلاب والحوار معهم ومناقشتهم وتعديل سلوكهم وتوجيههم والإنصات إليهم.. إلىٰ غير ذلك من العمليات؛ إجراء تواصليًا، والقرآن الكريم يرشدنا إلىٰ أحسن تقنيات التواصل، يقول الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]. بل جعله في المقدمة من متطلبات التأثير والقيادة.

والتربية تواصل مع المشاعر والوجدان والعقول، وهي ألوان مختلفة بحسب طبائع الطلاب وأنماط شخصياتهم، ولكل لون تدرّجاته. إنها عمليات حساسة للغاية، تحتاج إلىٰ مربٍّ ماهر يصبغ اتصاله بالأمان ويغذيه بالتحفيز. وحتىٰ يكون المربي علىٰ هذا القدر من الاتصال، عليه أنْ يجيد مهارة تحليل الشخصيات وتحديد أنماطها وفهم طبائعها، فإنَّ هذه المهارة مفتاح الاتصال الناجح.

وأجيال اليوم يتنافس علىٰ التواصل معها الكثيرون: في القنوات الفضائية وشبكات التواصل الافتراضية والفعاليات الواقعية، والمربي إذ يدخل ساحة المنافسة التواصلية فإنه بحاجة إلىٰ ما يجعله قادرًا علىٰ الفوز علىٰ منافسيه في تواصله مع هذه الأجيال.

والنفس البشرية تفسر ضعف التواصل بأحد ثلاثة أمور:

- ضعف اهتمام المرسِل بالمستقبِل.
- ضعف في المرسِل يجعله غير كفء للتواصل مع المستقبِل.

- المرسِل شخصية غير مقبولة لدىٰ المستقبِل لذلك لا يتفاعل معه.

وهذه التفسيرات التي يشعر بها الطلاب كفيلة بأنْ تجعلهم يعزفون عن محاضن التربية ويزهدون في المعلمين.

إنَّ تعلم مهارات التواصل يمثل تحديًا تربويًا اليوم، ليس علىٰ مستوىٰ التعامل الفردي فحسب، بل يتعدىٰ إلىٰ نوع البرامج المقدمة لهم، إذ يجب تقديمها في مناخ تفاعلي تواصلي بامتياز، بعيدًا عن أحادية التواصل، إلا بقدر الحاجة. وتشمل هذه المهارات ما يلي:

١ - مهارات الاتصال والتعامل. وتتضمن:

- مهارة بناء علاقة جيدة مع الطلاب «قواعد الأخلاق الفاضلة».
- مهارات التحدث والإلقاء.
- مهارات الاستماع والإنصات.
- مهارات التغلب علىٰ معوقات الاتصال.
- مهارات توظيف العلاقات في بناء الشخصية السوية.

٢ - مهارات التعامل مع المرحلة العمرية.

المرحلة العمرية تتطلب تعاملًا خاصًا (طفولة، مراهقة، شباب)، وعلىٰ المربي في هذا السياق أنْ يستوعب ثلاثة أمور:

- خصائص المرحلة التي يتعامل معها وما تحمله من مظاهر النمو الجسمي والحركي والعقلي واللغوي والانفعالي والاجتماعي.

- مطالب المرحلة العمرية وما تحمله من حاجات ثقافية وروحية واجتماعية ونفسية.

- كيفية التعامل مع الخصائص والحاجات تأسيسًا ومعالجة، من خلال التعامل الفردي أو من خلال تخطيط الدروس والبرامج والأنشطة.

٣ - مهارات الإقناع والتأثير.

تتطلب المفاهيم التربوية قدرًا مهمًا من القدرة علىٰ الإقناع بالمفاهيم والتأثير في وجدان الطلاب بغرض الاقتناع والتبنّي لهذه المفاهيم. وعلىٰ المربي أنْ يكون قادرًا علىٰ فعل ذلك وأنْ يتدرب علىٰ مهارات الإقناع والتأثير وتكوين الاتجاهات وتنمية الوجدان وغرس المفاهيم والتوجيه غير المباشر، وربما احتاج في ذلك إلىٰ تعلم مهمات الموضوعات في علم النفس الاجتماعي.

٤ - مهارات التحفيز التربوي.

والتحفيز هو دفع الطالب - من خلال إثارة سلوكه - لعمل ما يحقق الهدف التربوي، بحيث يسعىٰ الطالب إلىٰ إشباع دوافعه ويستجيب لإثارة همته. والتحفيز له نظريات وتقنيات، ويلزم المربي فهمها والقدرة علىٰ توظيفها في تواصله وتعليمه.

٥ - مهارات التأديب التربوي.

لكثرة الأخطاء السلوكية المتفشية بين الطلاب والمتوقعة منهم، لزم أنْ يكون المربي علىٰ قدر كبير من القدرة علىٰ معالجة سلوكيات الطلاب من خلال التأديب التربوي وإتقان مهاراته، والتأديب التربوي يشمل:

- الإرشاد والتوجيه.

- الثواب والعقاب.

- الثناء والتأنيب.

- المكافأة والحرمان.

- الإجراءات الإدارية المتعلقة بالسلوكيات المضرة بمجتمع التعليم.

٦ - مهارة المتابعة المنزلية.

وهي متابعة الطالب خارج إطار القاعة التدريسية، ويشمل ذلك سلوكه في منزله ومحيطه، وإشراك والده أو من يقوم مقامه في العمل علىٰ تحقيق الأهداف التربوية وإزالة العوائق التي يمكن أنْ تحول دون ذلك، وتلقي التغذية الراجعة منه.

٧ - مهارات التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

سواء كانوا من ذوي صعوبات التعلم أو ممن لديهم جنوح وانحرافات أو نحو ذلك، لما لهم من الخصائص المختلفة والحاجات المختلفة عن نظرائهم من الأسوياء.

٨ - مهارات توظيف الطاقات.

ويتضمن اكتشاف الطاقات وتجريبها وتوجيهها وتفعيلها، ولكل إنسان قدرة ما، ودور المربي في توظيفها وصقلها وتعليم الطالب رسالته في تفعيلها.

ويلزم من مهارة توظيف الطاقات أنْ تكون بيئة التعلم تشتمل علىٰ جوانب عملية، يمارس فيها الطلاب أدوارًا مختلفة.

٩ - مهارات المعايشة والتفاعل الاجتماعي.

لما كان المربي لا بد له من خلطة بالطلاب وتفاعل معهم في أفراحهم وأحزانهم وأعمالهم وواجباتهم ومع مجتمعهم وقضاياه الحادثة وعناية بشخصياتهم ومشكلاتهم علىٰ المستوىٰ الشخصي والأسري والمدرسي؛ كان لزامًا عليه أنْ يتقن مهارات المعايشة التربوية والتفاعل الاجتماعي وضوابطه لتحقيق الأهداف التربوية وإزالة العقبات المعترضة في طريق التربية.

١٠ - مهارات بناء المسؤولية في نفوس الطلاب.

حيث أصبح بناء المسؤولية واجبًا من واجبات المربي لضعف الإرادة وتضاؤل المسؤولية في نفوس كثير من الشباب، فلزم المربي أنْ يتقن هذه المهارة. وبناء المسؤولية يتضمن غرس الجدية وقوة الإرادة والوفاء بالعهد وتأجيل الرغبات والتفريق بينها وبين الحاجات.

١١ - مهارات التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي.

لأنها جزء من أدوات التلقي والمعرفة لدىٰ الطلاب، ولأنها جزء من أدوات التعلم الذاتي والتعلم عن بُعد، وسواء كانت هذه المهارات تقنية أو إدارية.

١٢ - مهارة إدارة المجموعات الطلابية.

وتشمل إدارة وقت الأنشطة وتخطيطها وتصميمها، وقيادة المجموعة وحسن الاتصال بها، ووسائل التأثير عليها، وحل مشكلاتها المتنوعة، وعمل الأرشفة الإدارية اللازمة.

١٣ - مهارات إدارة الأنشطة التربوية.

والأنشطة التربوية هي أنشطة اختيارية تكمل وتصاحب العملية التعليمية، وتستهدف خدمة وتنمية التلاميذ عقليًا، وجسميًا، واجتماعيًا، وفنيًا، يقبل عليها التلاميذ بكل شوق لاتفاقها مع ميولهم، وتشمل أنشطة ثقافية، واجتماعية، ورياضية، وفنية، لهذا تعد وسيلة وحافزًا لإثراء الحيوية عند التلاميذ، عن طريق تعامل التلاميذ مع البيئة وإدراكهم مكوناتها المختلفة من مصادر طبيعية إلىٰ مصادر إنسانية مادية؛ بهدف اكتساب الخبرات الأولية التي تؤدي إلىٰ تنمية معارفهم واتجاهاتهم وقيمهم بطريقة مباشرة[١].

(١) المعجم الموحد لمصطلحات الحكامة التربوية ص ٤٩.

■ ثالثًا: مهارات التفكير والبناء العقلي

وتنقسم إلىٰ قسمين: قسم يتعلق بمهارات التفكير التي تلزم المربي في عمله، وقسم يتعلق ببناء المهارات العقلية لدىٰ الطلاب، علىٰ النحو التالي:

- **مهارات التفكير التي تلزم المربي:**

١ - مهارة التخطيط.

ويحتاج المربي إلىٰ إتقان المستوىٰ الأول من التخطيط، وهو التخطيط التشغيلي والإجرائي، وصياغة الأهداف الإجرائية، وتوظيف المعطيات والبيانات في التخطيط، واقتراح الوسائل والبدائل الخادمة للأهداف، وعمل الجداول الزمنية اللازمة للبرامج والمشروعات والأنشطة.

٢ - مهارة تحليل نمط الشخصية.

حيث تتنوع أنماط شخصية الطلاب، وكل نمط يتطلب طريقة أفضل للتواصل والتفاعل.

ويتضمن تحليل الشخصية تحديد نمطها المرتبط بمعيشتها وتعلمها ومهنتها وعلاقاتها، واستقصاء نقاط قوتها وضعفها، وتوجيهها لاستثمار الفرص المتاحة أمامها، ومساعدة الطلاب علىٰ رسم مساراتهم العملية والعلمية المناسبة لهم.

٣ - مهارات القياس والتقويم.

ويشمل قياس مستوىٰ الطالب في الدرس ومستواه في البرنامج، ومستوىٰ البرنامج لجميع الطلاب، ومستوىٰ تحقيق الأهداف التربوية، كما يشمل مهارات الإحصاء وتحليل البيانات والنتائج.

٤ - مهارة تحليل المشكلات واتخاذ القرارات.

ويشمل تنظيم التفكير واتباع الخطوات الصحيحة في حل المشكلات، ومعايير اتخاذ القرار، وجمع المعلومات واختبار الفرضيات.

- **مهارات البناء العقلي لدى الطلاب:**

١ - مهارات بناء العقلية النقدية.

وهي العقلية التي يمكنها فحص المعلومات والبيانات والآراء وتقييمها والاستفادة منها، ويتضمن بناؤها تعليم مهارات التفكير الناقد، وممارسة المربي له في حضرة طلابه، ومن هذه المهارات: التقصي والاستقراء والتحليل والتسلسل والتعليل والتقويم والتفريق بين الحقائق والآراء والمحاكمات العقلية للآراء. ومجال ذلك يكون في التفاعلات الثقافية والمقروءات والمشاهدات والمسموعات.

٢ - مهارات بناء العقلية الإبداعية.

وهي العقلية التي يمكنها توليد الأفكار وحل المشكلات وإيجاد البدائل الأفضل ونبذ الجمود علىٰ المعهود في الأذهان. ويتضمن بناؤها مهارات التفكير الإبداعي وممارسة المربي له في حضرة طلابه، ومن هذه المهارات: الاستنباط وتوليد الأسئلة وتوليد الأفكار والاستشراف والخيال.

٣ - مهارات بناء العادات العقلية الإيجابية.

من العادات العقلية الإيجابية التفكير الإيجابي، والتفاؤل، والمحاكمات العقلية المنطقية للآراء، والتمهل في اتخاذ القرارات، والاستشارة وسماع آراء الآخرين، والاستخارة، والنظر العلمي في تجارب الناس، ونحو ذلك.

٤ - مهارات بناء العادات العقلية اللازمة للتعامل مع وسائل الإعلام والاتصال.

حيث يقضي معظم الطلاب جزءًا كبيرًا من أوقاتهم في تصفح الحسابات المتنوعة والمشاهدات اللاواعية. وتتضمن هذه العادات: الانتقاء والفرز والتقييم والقدرة علىٰ النقد والمتابعة الواعية وتنظيم التعامل مع وسائل الإعلام والاتصال من حيث الوقت والهدف والفائدة والاستثمار والإفادة والموازنة.

٥ - مهارات بناء عادات القراءة الواعية.

وتشمل مهارات الاستذكار والحفظ والتلخيص والنقد والتحليل واستخلاص المفاهيم وإبداع المهام العلمية والربط بالعلوم والمعارف الأخرىٰ، وكيفية اقتناء الكتب وفرزها.

ويجدر في ختام عرض المهارات التربوية أنْ نؤكد علىٰ أنَّ المربي حين يكون منتسبًا إلىٰ مؤسسة تربوية، فإنَّ من الطبيعي أنْ تكون بينه وبينها واجبات والتزامات وأدبيات يتطلبها انتسابه إليها، ومن أهمها ما يلي:

١ - العمل بروح الفريق.

وفريق العمل هو: مجموعة من الأفراد يشتركون في العمل لتحقيق هدف أو أهداف محددة ومشتركة، ويسود بينهم الشعور بالالتزام والمسؤولية المشتركة فيتعاونون لأجل ذلك.

والمربي المنتسب إلىٰ الفريق التربوي يلتزم بأدبيات الفريق وأهدافه ويجعل الأولوية لها ويعين إخوانه علىٰ ذلك، ويزيح معهم العقبات المعترضة في طريق الفريق.

وعضو الفريق يلتزم بالهدف المشترك، وبأدبيات الفريق المتفق عليها، حمايةً للكيان من التلف والتمزق، وحرصًا علىٰ العمل الناضج.

٢ - الالتزام بالواجبات الإدارية.

والواجبات هي المشَكِّل للوظيفة، وهي مجموعة من المخرجات إذا تحققت فهذا يعني أنك قمت بوظيفتك علىٰ وجه صحيح. فلذلك هي محل المحاسبة وما يترتب عليها من الثواب وغيره.

والواجبات منها ما يتعلق بالتطبيقات التربوية، ومنها ما يتعلق بالمؤسسة التي تنتسب إليها، والمقصود هنا هو ما يتعلق بالمؤسسة.

ويمكن أن تمثّل الواجبات الإداريـة الإجابة عن السؤال التالي: ما الأمور الإدارية الواجب عليك فعلها - أي المربي - تبعًا لانتسابك إلىٰ المؤسسة؟

ويتكون كل واجب إداري من مهمة أو أكثر من المهام، وتعرَّف المهام بأنها مجموعة الأعمال والإجـراءات التي تؤدي بمجموعها إلىٰ تحقيق الواجبات. فالمهام مدخلات والواجبات مخرجات ونتائج.

ومثال ذلك:

من واجبات المربي تقديم الدروس ومتابعة الطلاب وتقويم مستواهم التربوي. وهذه الواجبات تمثل جانب المسؤولية عند المربي، والتي يُسأل عنها ويحاسب عليها، وكل واجب منها يتكون من عدد من المهام، فالتدريس يتكون من تخطيط الدرس وإعداد محاوره واختيار الطريقة الأنسب وتجهيز الوسائل التعليمية ونحو ذلك، وهذه المهام مكونات الواجب وهي التي ينتج عنها أداء الواجب.

وكل مؤسسة تربوية تحمّل المربين عددًا من الواجبات الإدارية، إضافة إلىٰ عملهم التربوي المباشر، لأجل تحقيق الأهداف العامة والاستراتيجية، ونجاح المؤسسة مرتبط بأداء المربين لواجباتهم الإدارية.

٣ - الكفاءة والفعالية.

والكفاءة هي أنْ تقوم بالعمل بالطريقة الصحيحة، وهي الطريقة المرسومة من قبل المؤسسة، وهذا مطلب مهم، حيث يفترض أنْ يكون لدىٰ الفريق أو المؤسسة التربوية نموذج عمل واضح. أما الفعالية فهي أعلىٰ من ذلك، وهي أنْ تقوم بالعمل الصحيح بأفضل الطرق أو أيسر الطرق المتاحة لك. وفي الفعالية هامش حرية يتولد منه الإبداع وبروز شخصية العامل وبصمته في العمل.

والمربي عليه التنقل بين الكفاءة والفعالية وتعلم مهاراتهما والتدرب علىٰ الإنجاز من خلالهما؛ لأجل تحقيق الأهداف بأعلىٰ درجة جودة ممكنة.

البيئة التربوية المؤثرة

■ بيئة أخوية

من صفات البيئة التربوية المؤثرة أنها بيئة أخوية، يلمس فيها الطالب اعتناءً بالمسألة الإنسانية. والقرآن الكريم يشير إلىٰ خطورة هذه المسألة في التأثير، ويجعل من وجودها منَّة ونعمة، قال الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ولذلك درج فقهاء التربية الإسلامية قديمًا علىٰ تسمية خيرة الطلاب أصحابًا منعًا لوجود أدنىٰ حاجز نفسي يبعد المسافة بين المربي والطالب، تأسيًا بالنبي ﷺ وصحابته الكرام، يقول أبو إسحاق الشيرازي: (خرجت إلىٰ خراسان، فما دخلت بلدة إلا كان قاضيها أو خطيبها أو مفتيها من أصحابي)[1]. ومن معاني المصاحبة: المعاشرة والملازمة، ومن مقتضياتها حفظ الأصحاب لبعضهم، والانقياد والمتابعة كذلك[2]. وهذه المعاني هي الأكثر مواءمة في التربية الإسلامية التي تتطلب اقترابًا ومعايشة، ولذلك نسمي من تعلموا علىٰ يد الصحابة أصحاب، كما هو الحال مع أصحاب ابن مسعود وأصحاب أبي الدرداء وأصحاب أبي بن كعب وغيرهم؛ لشدة القرب، وهكذا كانوا مع النبي ﷺ، كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (بينما نحن جلوس

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٣.

(٢) انظر: لسان العرب ١/ ٥١٩، والنهاية لابن الأثير ٣/ ١١.

مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل علىٰ جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: ابنَ عبد المطلب! فقال له النبي ﷺ: «قد أجبتك». فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة؛ فلا تجدْ عليَّ في نفسك. فقال: «سلْ عما بدا لك»...) الحديث[1].

تربية النبي ﷺ للمؤمنين علىٰ أنهم (أصحاب) لها دلالة عميقة في الجو الأخوي الذي يجلِّل هذه العلاقة بينهم، إنها تعني المعايشة والمصاحبة والملازمة، وإنَّ الطلاب الذين يؤمُّون المحاضن التربوية بحاجة إلىٰ الشعور بدفء الصحبة والأخوَّة شعورًا حقيقيًا يتملك وجدانهم، ويبعثهم علىٰ حبٍّ حقيقي للمربي، وتأمل معي حب أصحاب النبي ﷺ له، وكيف كانوا يعبِّرون عنه، إنك تحس وأنت تقرأ مروياتهم بخلجات نفوسهم وهمهمات صدورهم إذ يعبِّرون عن ذلك الحب العميق.

عن ثابت، عن أنس ﷺ قال: (ما شممتُ شيئًا عنبرًا قط، ولا مسكًا قط، ولا شيئًا قط أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ، ولا مسستُ شيئًا قط، ديباجًا ولا حريرًا ألينَ مسًا من رسول الله ﷺ). قال ثابت: يا أبا حمزة! ألستَ كأنك تنظر إلىٰ رسول الله ﷺ، وكأنك تسمع إلىٰ نغمته؟ فقال: (بلىٰ، والله إني لأرجو أن ألقاه يوم القيامة، فأقول: يا رسول الله! خويدمك. قال: خدمته عشر سنين بالمدينة وأنا غلام، ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن يكون، ما قال لي فيها: أف، وما قال لي: لم فعلت هذا، أو ألا فعلت هذا)[2]. الكثير من الآثار التي يتحدث فيها الصحابة الكرام عن وصفِ النبي ﷺ شكلِه وخُلقِه وتعاملِه تشفُّ عن حب عميق لهذه الشخصية، لما كانت تتمتع به هذه الشخصية من قدرة علىٰ تحمل تكاليف الصحبة.

---

(١) أخرجه البخاري ح ٦٤.

(٢) أخرجه أحمد ح ١٣٣١٧.

وعن البراء ﷺ قال: (رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارىٰ الترابُ بياضَ بطنه، وهو يقول: «لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا، وثبت الأقدام إنْ لاقينا، إنَّ الألىٰ قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا»)[1]. هذه صورة من صور كثيرة جدًا تعبر عن مشاركة النبي ﷺ لأصحابه.

ومواساة الطلاب في المعاش والرزق وتفقد أحوالهم من مقتضيات الصحبة، بهذا يشعر الطلاب بدفء المحضن، وتُشبَع حاجاتهم النفسية والاجتماعية. قال ابن حجر رحمه الله: (قد وقع في حديث طلحة بن عمرو عند أحمد وابن حبان والحاكم: كان الرجل إذا قدم علىٰ النبي ﷺ وكان له بالمدينة عريفٌ نزل عليه، فإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفة، ومن طريق نعيم المجمر عن أبي هريرة :كنت من أهل الصفة، وكنا إذا أمسينا حضَرنا رسول الله ﷺ، فيأمر كل رجل فينصرف برجل أو أكثر، فيبقىٰ من بقي عشرة أو أقل أو أكثر، فيأتي النبي ﷺ بعشائه، فنتعشىٰ معه، فإذا فرغنا قال: «ناموا في المسجد»... ولأبي نعيم في الحلية من مرسل محمد بن سيرين: كان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ قسم ناسًا من أصحاب الصفة بين ناس من أصحابه، فيذهب الرجل بالرجل والرجل بالرجلين حتىٰ ذكر عشرة، الحديث)[2].

ومن الملاحظ لمن يتتبع الآثار المتعلقة بالمواساة، أنها لا تقتصر علىٰ مسألة اهتمام النبي ﷺ بأصحابه، بل تتعدىٰ إلىٰ ما هو أكثر من ذلك! إذ كان الصحابة الكرام يجدون في رسول الله ﷺ ملاذًا لهم في الأزمات المالية التي تعتريهم وتعترض حياتهم. عن عامر، قال: (حدثني جابر ﷺ أنَّ أباه توفي وعليه دين، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: إنَّ أبي ترك عليه دينًا، وليس عندي إلا ما يخرج نخله، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه، فانطلِق معي لكيلا يُفحِشَ عليَّ الغرماء. فمشىٰ حول بيدر من

(١) أخرجه البخاري ح ٢٨٥٥.
(٢) فتح الباري ١١/ ٢٩١.

بيادر التمر فدعا، ثم آخر، ثم جلس عليه، فقال: «انزعوه». فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم)[1]. وعنه ﷺ أيضًا قال: (مرضت مرضًا، فأتاني النبي ﷺ يعودني وأبو بكر، وهما ماشيان، فوجداني أغمي علي، فتوضأ النبي ﷺ ثم صب وضوءه علي، فأفقت. فإذا النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله! كيف أصنع في مالي، كيف أقضي في مالي؟ فلم يجبني بشيء حتىٰ نزلت آية الميراث)[2].

لقد كانت هذه المواساة سمة من سمات أصحاب النبي ﷺ، وهكذا البيئة التربوية المؤثرة.

ومن أعظم ثمرات البيئة التربوية الأخوية التثبيت الإيماني، أيْ أنَّ المحضن يكون مُعينًا للطالب علىٰ الثبات علىٰ الإيمان والطاعات، وبهذا يجد الطالب في إخوانه ومعلميه طوق نجاة من الانحراف وعصمة من الانتكاسة، وفي حين قسوة قلب أحدهم أو غفلة منه أو تقصير في طاعة أو تفريط في واجب؛ يجد في هذه البيئة ما يردُّه إلىٰ صوابه، ويعيد إليه رقة قلبه المسلوبة، ويمنحه بهاء الإيمان.

وفيها أيضًا يشجع الطلاب بعضهم بعضًا علىٰ عمل الطاعات فينهضون جميعًا وتتحفز نفوسهم بحافز الجماعية، لأنَّ واجبات الأخوَّة لا تقتصر علىٰ الجانب المادي، ولا النفسي فحسب، بل تشتمل علىٰ الجانب الإيماني، فعن أبي عثمان النهدي، عن حنظلة الأسيدي ﷺ - وكان من كتاب رسول الله ﷺ - قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكِّرنا بالنار والجنة، حتىٰ كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقىٰ مثل هذا. فانطلقتُ أنا وأبو بكر، حتىٰ دخلنا علىٰ رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري ح ٣٥٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ح ٥٦٥١ ومسلم ح ١٦١٦.

قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟». قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتىٰ كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنْ لو تدومون علىٰ ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة علىٰ فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات)[1].

(١) أخرجه مسلم ح ٢٧٥٠.

■ بيئة إيمانية

للإيمان طعم وحلاوة لا يذوقها إلا من حافظ علىٰ مقتضيات إيمانه، وثبت عند ورود الشهوات والشبهات عليه، وبتذوُّق الطلاب طعمَ الإيمان في المحاضن التربوية تكون أرواحهم قد تزوّدت بغذائها اللذيذ، ونفوسهم قد اطمأنت وارتاحت وهدأت، وتكون حاجاتهم الروحية قد أُشبعت بحب الله وحب محبوبات الله تعالىٰ. وحين تكون البيئة التربوية بهذا القدر من تلبية الحاجات الروحية وتنمية الإيمان، فإنها ستكون جاذبة قادرة علىٰ استقطاب الطلاب واستبقائهم والتأثير عليهم.

ولكي يكون المحضن التربوي ملبيًا لهذه الحاجة، عليه أن يقوم بما يلي:

أولًا: تقديم المواعظ المرققة للقلوب التي تخاطب القلب والوجدان والعقل، وتشتمل علىٰ كلام الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، وتذكر بمواقف الآخرة ومشاهدها، في جو مناسب لهذه المواعظ. ولقد وصف حنظلة ﷺ مجالس النبي ﷺ بهذا الوصف في الحديث السابق، حيث قال: «نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة، حتىٰ كأنَّا رأي عين». وهكذا هي البيئة المؤثرة! قبلة يتوجه إليها الطلاب، ويلوذون بها، ويتشبثون بها، لأنَّ التذكير بالآخرة فيها أصيل ومتكرر وعميق.

ثانيًا: بناء التصورات الإيمانية، لأنَّ الإيمان مبني علىٰ فكرة ومعلومة، والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩]. فبدأ بالعلم قبل العمل، وهذا يعني أنَّ العمل بمقتضيات الإيمان وواجباته مبني علىٰ العلم به وفهمه فهمًا صحيحًا سليمًا من الشوائب والنقصان، ولا يمكن أنْ يتمَّ ذلك إلا بعرض مفاهيم الإيمان وأركانه عرضًا صحيحًا، يبني لدىٰ الطلاب تصورات صائبة: أسماء الله وصفاته، واليوم الآخر، والقبر عذابه ونعيمه،

والملائكة، والأنبياء والرسل والرسالات، والقدر، وأركان الإسلام، وحقيقة الدين، ومراتبه، وكيفية تحقيقه في الحياة... إلىٰ غير ذلك من التصورات الإيمانية التي يجد فيها الطالب الإجابة الشافية عن سؤالاته وإشكالاته، والتي تشكِّل قناعاته الإيمانية الجديدة المبنية علىٰ منهج صحيح سليم.

من زاوية أخرىٰ؛ فإنَّ بناء التصورات الإيمانية في البيئة التربوية تلبي الاحتياجات الثقافية والعلمية لدىٰ الطلاب، وحين يجد الطلاب مستودعًا يجلبون منه في بناء الأفكار لديهم وتصحيح المفاهيم التي أسهمت وسائل متعددة في تشويهها وتحريفها؛ فإنهم سيتأثرون به، وسيتشبثون به، لأنه أحد عوامل الاستقرار النفسي لديهم.

الثالث: إعلاء مرجعية الوحي، بأنْ يجعل المربي من القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرًا لبناء التصورات الإيمانية، وحاكمًا علىٰ السلوك التربوي، وبمشهدٍ من الطلاب، ويكون ذلك بطريقة سهلة لا تنهك ذهن الطالب ولا تربك عقله ووجدانه، فبمجرد الاستدلال علىٰ تقييم سلوكٍ من كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه ﷺ، نكون قد جعلنا القرآن الكريم هو مرجع التقييمات في البيئة التربوية. وهذا يؤثر علىٰ الطلاب في أمور عدة: في جانب التصحيح القويم لسلوكيات الطلاب، وفي جانب غرس مفهوم مرجعية الوحي بشكل بسيط غير معقد؛ وهذا سيكون له تأثيره العميق والممتد عبر الزمن، وفي جانب الأمان النفسي للالتحاق بهذه المحاضن، وفي الجانب الأخير والمهم أيضًا، وهو أنَّ هذه المواقف التي يحكمها القرآن تزيد من إيمان من حضرها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ [النساء:٦٦].

سيجد الطلاب في هذه البيئة التربوية بركة الحضور القرآني وهيمنته علىٰ الأفعال والسلوك، وسيشعرون أنهم محاطون بالعناية الإلهية والتربية القرآنية المثالية.. إنها بيئة تربوية تعصمهم من الزلل، وتربيهم علىٰ التمسك بالقرآن الكريم حقيقة لا ادعاء، وهذا غاية التأثير.

■ بيئة محفّزة

البيئة التربوية التي يجد الطلاب أنفسهم فيها محفزين، ومدفوعين إلىٰ النجاح والتقدم وتحقيق الأهداف وتلبية الحاجات؛ بيئة مؤثرة نافعة.

ولتكون البيئة التربوية بيئة تحفيزية ينبغي أنْ تتسم بثلاث صفات:

الأولىٰ: الأمن، حيث لا خوف من اللوم ولا قلق من العقاب، فإذا كانت البيئة التربوية بيئة آمنة للانطلاق والإبداع والابتكار وتنمية الموهبة الخاصة للفرد، فسيكون ذلك فرصة له لشق طريقه الخاص الذي ينفع به أمته ويعمر به الأرض ويحقق به معنىٰ العبادة. إننا حين نستعيض عن اللوم بالحوار وعن العقاب بالتوجيه، ستتحول محاضننا التربوية إلىٰ مصانع للأفذاذ.

الثانية: الحرية، أعني حرية تجريب قدراتهم وذكاءاتهم وإبداعاتهم، إذ تعمل القيود الكثيرة والتنبيهات الدقيقة علىٰ القلق وتفضيل خيارات السلبية والجمود والتبعية، وهذا خلاف هدف التربية الإسلامية.

ترك مساحة كافية للطلاب يولد الإبداع ويحفز للنجاحات، وعلىٰ المربي وظيفة الاكتشاف وغرس قيم الأمانة، وما عدا ذلك فمتابعة يسيرة لحركة الإبداع المتولدة، وحين أمر رسول الله ﷺ زيدًا بتعلم لغة اليهود ترك له التفاصيل، فكان أنْ تعلَّمَ زيد هذه اللغة في مدارسهم، وكان حينها في الحادية عشرة من عمره تقريبًا! ثم هو تعلم الفارسية من رسول فارس، وباقي اللغات من خدام النبي ﷺ.

وقد سجل د. عبد الكريم بكار ملاحظة مهمة في هذا الإطار، يقول: (إنَّ بعضنا يتخوف في بعض الأحيان من أشياء لا تدعو إلىٰ الخوف، ويحيل بعض المسائل الظنية المختلف فيها أو بعض الأمور ذات الدلالة الرمزية إلىٰ مسائل قطعية لا يصح

الاقتراب منها. وبعض الخيِّرين الذين يديرون مؤسسات تربوية يبالغون في الأخذ بمبدأ سد الذرائع، فيمنعون بعض المباحات، ويضبطون الأمور إلىٰ حد التنفير. وكثيرًا ما تعاني مجتمعاتنا من الغموض؛ حيث تنطمس الحدود الفاصلة بين الجائز والممنوع والنافع والضار؛ مما يجعل الناس خائفين من أشياء عديدة لا تخيف ولا ينبغي أنْ تخيف أحدًا)[1].

هذه الملاحظة جديرة بالمدارسة، لا لفتح الباب علىٰ مصراعيه، وإنما لتوفير مناخ مناسب لتربية الطاقات، والأمور تقدر بقدرها.

الثالثة: رعاية الحاجات. التربية الإسلامية لا تلغي الحاجات، بل تدعو إلىٰ إشباعها لما تؤدي إليه من استقرار نفسي يبعث النفس إلىٰ المزيد من القربات والطاعات، وها أنت ترىٰ فقهاء التربية الإسلامية يوصون ويحضون علىٰ إشباعها، ويذمون التقصير في شيء من ذلك، لما يؤول إليه هذا التقصير من اضطراب النفس وذبول الشخصية؛ وهما اللذان يدفعان الإنسان إلىٰ الهروب من مربع القربات والطاعات.

والبيئة التربوية التي تعتني بحاجات الطلاب تشرع أبواب قلوبهم ووجدانهم لغرس الخير والاستفادة المثلىٰ، وقد أشار ابن تيمية إلىٰ نقطة مهمة في هذا الأمر، إذ يقول: (إنَّ النفوس لا تقبل الحق إلا بما تستعين به من حظوظها التي هي محتاجة إليها، فتكون تلك الحظوظ عبادة لله مع النية الصالحة)[2]. وحين قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه: إني لأراك يا أبتاه قد أخَّرتَ أمورًا كثيرة كنتُ أحسبك لو وليت ساعة من النهار عجلتها، ولوددتُ أنك قد فعلتَ ذلك؛ ولو فارت بي وبك

(١) بناء الأجيال ص ٨٢.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٦٦.

القدور. قال ذلك منكرًا عليه تباطؤه وتأخيره حمل الناس علىٰ بعض الحق، فأجابه عمر بن عبد العزيز: (أيْ بُني! إنك علىٰ حُسن قسم الله لك، وفيك بعض رأي أهل الحداثة، والله ما أستطيع أنْ أُخرِج لهم شيئًا من الدين إلا ومعه طرف من الدنيا أستلين به قلوبهم؛ خوفًا أن ينخرق عليَّ منهم ما لا طاقة لي به)[1].

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٥١.

اختبر استيعابك

أولاً: أجب بـ(√) أو (×) أمام العبارات الآتية:

م	العبارة	التقييم
١	الاستقامة علىٰ أمر الله تعد من متطلبات بناء شخصية المربي الناجح.	
٢	يمكن للمربي أن يكتفي بمعارفه التخصصية ومهاراته التربوية دون الحاجة إلىٰ تطويرها.	
٣	مهارة التفكير والبناء العقلي تتضمن تدريب المتربي علىٰ التعامل النقدي مع المفاهيم.	
٤	يعد التحلي بالاستقرار النفسي لدىٰ المربي مطلباً ثانوياً طالما أنه يملك مهارات تربوية.	
٥	البيئة التربوية المؤثرة تشمل الجوانب الإيمانية والاجتماعية والتحفيزية.	

ثانياً: اختر الإجابة الصحيحة من الخيارات الآتية:

١. المقصود بـ«التفقه في الدين» بوصفه مطلباً للمربي:

أ) حفظ بعض الأحاديث.

ب) دراسة متون الفقه فقط.

ج) فهم الدين فهماً صحيحاً مستمراً مع استمرار التعلم.

د) المعرفة بما يقوله الوعاظ عن الدين.

٢. من المهارات التي تُمكن المربي من بناء علاقات تفاعلية ناجحة مع المتربين:

أ) مهارات التلاوة والحفظ.

ب) مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي.

ج) المهارات الرقمية.

د) قراءة كتب تطوير الذات.

٣. مصطلح «البيئة الأخوية» في سياق التربية يعبر عن:

أ) وجود علاقات رسمية صارمة.

ب) إشاعة جو من الألفة والمودة.

ج) التخفف من الضبط والانضباط.

د) المنافسة الفردية علىٰ التفوق.

٤. في الفرق بين «المعارف التربوية» و«المعارف الشرعية» كما ورد في الكتاب:

أ) لا فرق بينهما.

ب) التربوية تتعلق بفهم نظريات التعلم والسلوك.

ج) الشرعية تعني إدارة الصف.

د) التربوية تختص فقط بالطفل.

٥. دور المربي في تنظيم بيئة محفزة:

أ) وضع قوانين صارمة.

ب) توزيع المهام فقط.

ج) خلق فرص تنمية وتنشيط الطاقات.

د) التركيز علىٰ الثواب والعقاب.

❊ ❊ ❊

خلاصات مهمة

- لكون وظيفة المربي تعليم الإسلام الصحيح وتربية الطلاب عليه يجب أن تكون معتقداته وتصوراته عن الإسلام صحيحة.

- العلم ركيزة من ركائز التأثير التربوي.

- انشغال المربي بالعمل التربوي لا يجيز له التوقف عن التعلم والتفقه.

- التعلم المستمر سمة المربي الناضج.

- المربي الناضج مواكب لما يستجد من المعارف.

- المربون هم المسؤولون عن تثقيف أنفسهم وتعليمها، وليست الإدارات التربوية.

- القدوة ليست شيئًا متكلفًا وليست مقدمة، وإنما هي نتيجة طبيعية للتعبد والتذلل لله تعالىٰ، ولتمثل الإسلام في السلوك والمعاملات والعلاقات.

- إصلاح ذاتك وتهذيب روحك وتزكية نفسك أول جهد تربوي تقدمه للناس.

- إن الطلاب ليستمعون بقلوبهم إلىٰ عباداتك أكثر من استماعهم بآذانهم إلىٰ أقوالهم وحديثك.

- المربي الذي سيؤثر علىٰ الطلاب من خلال سلوكه وأفعاله سيكون طلابه أكثر ثباتًا وتدينًا وتحقيقًا للأهداف التربوية.

- الالتزام بالمروءات والأخلاق الكريمة مطلب ابتدائي في المربين.

- خلو بيت المربي من الاضطرابات المعوقة له يدفعه نحو المثابرة في أعماله التربوية.

- المربي الجيد لا يقف أمام التحديات مكتوف اليدين.

- التفاؤل الذي لا ينتج عملاً إنما هو حيلة نفسية للتراخي والقعود، وخدعة شعورية للهروب من مواجهة الواقع.

- التفكير الإيجابي يولد الفاعلية وينشر التفاؤل.

- الطالب إنسان يعتريه النقص وتؤثر فيه الصوارف، والمربي يدرك أن وقوع الخطأ منه أمر طبيعي يعالَج ويصحَح.

- لا يستطيع المربي أن يربي الطلاب علىٰ الاعتدال ما لم يكن هو معتدلاً في تدينه ونمط حياته وتفكيره.

- التربية الإسلامية عمل شرعي، وكل الأعمال الشرعية تبنىٰ علىٰ العلم الشرعي الصحيح.

- من المهم أن يكون المربي قد طرق قلبه شيء من مواعظ العلماء وعبارات السلف وشروحهم للأحاديث في أعمال القلوب والأخلاق والآداب والرقاق.

- من دخل ميدان التربية قبل أن يتم حفظ القرآن فعليه السعي لإتمام حفظه.

- فهم أدوات التربية وطرائقها مطلب في تجويد العمل التربوي وإزالة عوائقه.

- يشهد عصرنا الحاضر تغيرات وتحولات تتسم بكثرتها وسرعة حدوثها، وهذه التغيرات والتحولات ذات أبعاد تأثيرية علىٰ مناحي حياتنا وتشكيل شخصياتنا.

- التخصص لا يعني الانغلاق عن العلوم والمعارف الأخرىٰ لما بينها من الروابط والوشائج المؤثرة.

- التاريخ يطلعنا علىٰ سنن الله في الحياة والناس والأمم، ويطلعنا علىٰ أحوال الأمم والمجتمعات، ونتعرف من خلاله إلىٰ طرق النهوض والسقوط، ونتعلم نجاح المصلحين وثغراتهم.

- الفن اليوم هو اللغة التربوية التي خوطبت بها المجتمعات، وهو إحدىٰ أهم الأدوات التي تغير المجتمعات، وتربيها علىٰ نوع الثقافة والمعتقدات.

- يتعلم الطلاب المادة التعليمية من خلال مناقشتها ومساعدة بعضهم البعض علىٰ فهمها.

- تعد وسائل التواصل الاجتماعي من أهم أدوات التعليم عن بعد، لسهولتها وانخفاض تكلفتها المالية.

- تكمن خطورة الاتجاهات في كونها محركًا رئيسيًا للسلوك، وفي كونها دافعًا من دوافع الاستجابة للمثيرات المختلفة.

- تمثل التنشئة الاجتماعية محوراً في تكوين الاتجاهات، كما تمثل بيئة التعلم والمنهج التعليمي محوراً آخر في تكوين الاتجاهات.

- التربية في أغلب عملياتها تواصل بين المربي والطلاب.

- أصبح بناء المسؤولية واجبًا من واجبات المربي، لضعف الإرادة وتضاؤل المسؤولية في نفوس كثير من الشباب.

- من صفات البيئة التربوية أنها بيئة أخوية، يلمس فيها الطالب اعتناءً بالمسألة الإنسانية.

- تربية النبي ﷺ للمؤمنين علىٰ أنهم (أصحاب) لها دلالة عميقة في الجو الأخوي الذي يجلل العلاقة بينهم، إنها تعني المعايشة والمصاحبة والملازمة.

- العمل بمقتضيات الإيمان وواجباته مبني علىٰ العلم به وفهمه فهمًا صحيحًا سليمًا من الشوائب والنقصان.

- بناء التصورات الإيمانية في البيئة التربوية يلبي الاحتياجات الثقافية والعلمية لدىٰ الطلاب.

- ترك مساحة كافية للطلاب يولد الإبداع ويحفز للنجاحات، وعلىٰ المربي وظيفة الاكتشاف وغرس قيم الأمانة.

❊ ❊ ❊

القسم الثالث

التربية وصناعة الإنسان الراشد

الرشد يقابل الغَيَّ، قال ابن عاشور: الرُّشْد والرَّشَد الهدىٰ وسداد الرأي، ويقابله الغي والسَّفَه، والغي الضلال[1]. قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]. وقال تعالىٰ: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

وهو ليس وصفًا لحالة الإيمان فقط، بل للسواء النفسي والعقلي أيضًا، قال تعالىٰ: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [النساء:٦]. قال المفسرون: يعني عقلًا وصلاحًا في الدين وحفظًا للمال وعلمًا بما يصلحه[2]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١]. قال القرطبي: (أيْ من قبل النبوة، أيْ وفقناه للنظر والاستدلال لما جنَّ عليه الليل فرأىٰ النجم والشمس والقمر)[3].

وجعل الله الرشد مقصدًا للعمل الصالح فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ

(١) التحرير والتنوير ٣/ ٢٨.
(٢) معالم التنزيل ٢/ ١٦٥.
(٣) تفسير القرطبي ١١/ ٢٩٦.

﴿يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]. أي: لكي يهتدوا[١]. قال السعدي: (أيْ يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة)[٢].

والوحي مصدر الرشاد، قال تعالىٰ حكاية عن قول الجن عن القرآن: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن:٢].

وفي هذا القسم من الكتاب سنتلمس معالم الرشاد في الإنسان المؤمن، والتي ينبغي علىٰ المربي أنْ يربي عليها طلابه، ليتحصل من مجموعها: الإنسان الراشد والصالح. وهذه المعالم تعد إجابة عن سؤال: علامَ نربي طلابنا؟ وهي إجابة عامة تحتاج إلىٰ تفتيت وتجزيء ليسهل العمل عليها.

وقد سبقت جهود عظيمة في الحديث عن أهداف التربية الإسلامية ومضامينها، قدمها علماء وباحثون كبار كالدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابه: أهداف التربية الإسلامية، والدكتور محمد الدويش في كتابيه: تربية الشباب الوسائل والأهداف والتربية النبوية، وغيرهما من العلماء والباحثين. وما تجده في هذا القسم من الكتاب هو نتيجة الاستفادة من كثير مما دوِّن في هذا الموضوع، وما كان للمؤلف من دور سوىٰ إعادة صياغة هذه الأهداف وتصنيفها، والنظر في بعض النصوص الشرعية لاستنطاقها والاستهداء بها، ومع ما ذكرتُ لك وحيث تمتاز الطبيعة الإنسانية بالتداخل بين وظائفها وخصائصها؛ اجتهدت في تبويب هذا القسم، لا اعتقادًا مني أنه أصح ما في الباب، وإنما تقريبًا للمربي قارئ الكتاب، والمقصود المعاني ولا مشاحة في الاصطلاح.

---

(١) معالم التنزيل ١/ ٢٠٥.

(٢) تفسير السعدي ١/ ١٣٨.

فجعلت الأهداف المتعلقة بصناعة الإنسان الراشد في أربع دوائر لا تخلو من تداخل:

١. دائرة معالم الرشاد العلمية والعقلية.

٢. دائرة معالم الرشاد الروحية والنفسية.

٣. دائرة معالم الرشاد الأخلاقية والاجتماعية.

٤. دائرة معالم الرشاد العطائية والإيجابية.

والباعث إلىٰ تقسيم الأهداف الكبرىٰ إلىٰ دوائر: إمكانية التداخل فيما بينها كما هو الحال في الطبيعة البشرية، بمعنىٰ أنَّ كل دائرة تؤثر بشكل ما في الدائرة الأخرىٰ، وتتأثر بها.

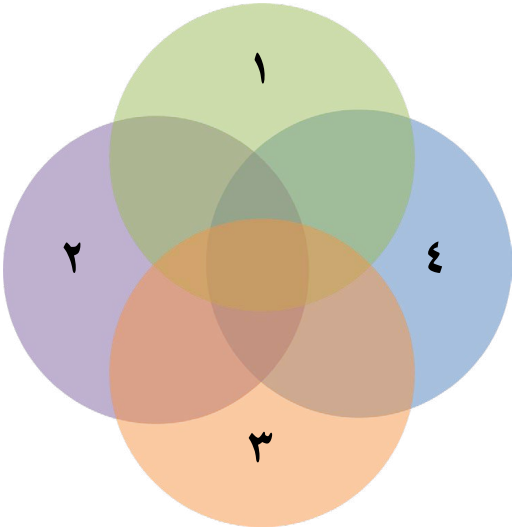

فاللهم حبّب إلىٰ شباب المسلمين الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، واجعلهم من الراشدين.. آمين.

الدائرة الأولى

معالم الرشاد الروحية والنفسية

■ تربية الإخبات

أول لبنة يضعها المربي في بناء الطالب الذي يربيه هي لبنة الإخبات، فإنَّ المخبت مبشَّر بالجنة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود:٢٣]. بل هو مبشر بخيري الدنيا والآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤]. كما أنَّ الإخبات إذا نتج عن العلم النافع دل صاحبه إلىٰ طريق الهداية الصحيح، كما جاءت الإشارة إلىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٤].

والإخبات في أصله اللغوي: تألُّهٌ وخضوع وخشوع، قال ابن فارس: (الخاء والباء والتاء أصلٌ واحد يدل علىٰ خشوع؛ يقال أَخبتَ يُخبتُ إخباتًا إذا خشع وأخبت لله تعالىٰ، قال عزَّ ذكره: «وبشر المخبتين»، وأصله من الخَبْت، وهو المفازة لا نبات فيها)[1]. وذكر الأزهري عن بعضهم أنَّ الخبت هو الوادي العميق الوطيء، يُنبت ضروب العضاه، وعن بعضهم أنه الوادي الخفي المطمئن[2]. وفي جمهرة اللغة: الرجل المُخبت هو المتأله المتوقي للمآثم[3].

(١) مقاييس اللغة ٢/ ٢٣٨.
(٢) تهذيب اللغة ٧/ ١٣٦.
(٣) جمهرة اللغة ١/ ٢٥٢.

ومن هذا الأصل اللغوي اشتق الاسم الشرعي الوارد في كتاب الله تعالىٰ، فكانت له معالمه الخاصة. وقد ذكر أهل التفسير تلك المعاني والمعالم، فذكر ابن عباس رضي الله عنهما من معاني الإخبات: الإنابة إلىٰ الله والخوف منه. وذكر مجاهد من معانيه الطمأنينة. وذكر قتادة من معانيه التخشع والتواضع. قال الطبري: (وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها)[1]. وقال إبراهيم النخعي: (المصلون المخلصون). وقال الكلبي: (هم الرقيقة قلوبهم).

فالإخبات عمل قلبي مبنيّ علىٰ الخضوع لله والإذعان لأمره والخشوع له والإنابة إليه والإخلاص له، لذلك قال الطبري في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾: فتخضع للقرآن قلوبهم، وتذعن بالتصديق به، والإقرار بما فيه[2].

حقيقة الإخبات

إذا كان الإخبات كما ذكرتُ لك بهذا المعنىٰ فإنه سيظهر علىٰ الإنسان في صورٍ متنوعة من المعاني الإيمانية العظيمة. أما القرآن فقد عرض لنا أهمها، وذلك حين أمر الله نبيه ﷺ أنْ يبشر المخبتين، فوصفهم بأربع صفات، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]. فوصفهم بأنهم:

١. يخافون عند سماع كلام الله وذكره فيقفون عند أمره ونهيه خوفًا ورهبة وإجلالًا.

٢. يصبرون عند المصائب والأقدار المؤلمة.

٣. يقيمون الصلاة ويؤدون حق الله تعالىٰ فيها.

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٣٧٥.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٦١٣.

٤. ينفقون من أموالهم ما يطعمون به الجائع ويسدون به حاجة الفقير ويعينون به علىٰ نوائب الدهر.

وكما ترىٰ؛ فإنَّ الطالب إذا تحققت فيه هذه الصفات فقد حاز خيري الدنيا والآخرة، واستحق البشارة الربانية الكريمة، وكان عنوانًا لأهل الإيمان علىٰ مختلف ضروبهم وطرائقهم، ونأىٰ بنفسه عن سلوك الانحراف؛ لذلك عدَّ ابن كثير هذه الصفات مضادة لصفات المنافقين، فقال: (وهذه بخلاف صفات المنافقين، فإنهم بالعكس من هذا كله)[1].

ثمرة الإخبات

الإخبات وفقًا لما ذكرتُ لك يعيد تشكيل شخصية الإنسان ليجعلها صالحة في نفسها ومع الآخرين، ويُكسب الإنسان القدرة علىٰ مواجهة شدائد الحياة، فيصبح متزنًا يمسك بيدٍ حبال القوة والصمود، وباليد الأخرىٰ يمسك بحبال التواضع والرقة، وكما قال عمرو بن أوس: (هم الذين لا يَظلِمون، وإذا ظُلِموا لم ينتصروا). ويصبح متزنًا بين تلبية حاجاته الروحية من التأله والتعبد من جانب، ومن جانب آخر تلبية حاجات أمته من الإعانة والإحسان والبذل والعطاء.

والإخبات يحمل معنىٰ الرضا عن الله وأحكامه وأقداره، وقلوب المخبتين خاضعة لأمر الله وقّافة عند حدوده مسلِّمة لحكمه، فهي تعيش بطمأنينة، فإذا عرض لسيرها إلىٰ الله وحشة صمدت واستأنست بقربها من الله وتمسكها بدينه واستقامتها علىٰ أمره. وتعقيبًا علىٰ قول القشيري: الإخبات من أول مقامات الطمأنينة؛ قال ابن القيم: (يعني بمقامات الطمأنينة: السكينة واليقين والثقة بالله ونحوها. فالإخبات مقدمتها ومبدؤها)[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٤١٤.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢١٠.

والإخبات باعث حثيث علىٰ التصحيح والتوبة، وهذا ما حدا بابن عباس إلىٰ تفسيره بالإنابة، فإنَّ الإنابة تعني: الرجوع عن الخطأ، قال ابن عاشور: (والمنيب: من أناب إذا رجع، وهو مشتق من النوْب وهو النزول. والمراد التوبة من التقصير، أيْ محاسب نفسه علىٰ ما يحذر منه، وحقيقة الإنابة: الرجوع إلىٰ الشيء بعد مفارقته وتركه)[1]. وهذا يقتضي سمو إرادته حتىٰ إنه يستطيع - بتوفيق الله - أنْ يستدرك وقوع النفس في الغفلة، فيعيدها إلىٰ جادة الصواب، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

والإخبات ملازمة للإخلاص، وتطلع دائم إلىٰ قبول الله للأعمال، وعلو همة عن جاه الدنيا وأطماعها، وعدم التفات القلب إلىٰ غير وجه الله، قال ابن القيم: (اعلم أنه متىٰ استقرت قدم العبد في منزلة الإخبات وتمكّن فيها ارتفعت همته، وعلت نفسه عن خطفات المدح والذم، فلا يفرح بمدح الناس ولا يحزن لذمهم)[2].

والإخبات يصنع الإرادة الفولاذية والعزيمة الحادة، فلا شيء يثنيه عن استقامته، ولا يتلكأ في سيره إلىٰ الله، قال ابن القيم: (هذه ثلاثة أمور تعرض لصاحب الإرادة: سبب يعرض له ينقض عزمه وإرادته، ووحشة تعرض له في طريق طلبه لا سيما عند تفرده، وفتنة تخرج عليه تقصد قطع الطريق عليه. فإذا تمكّن من منزل الإخبات اندفعت عنه هذه الآفات؛ لأنَّ إرادته إذا قويت وجدَّ به السيرُ لم ينقضها سبب من أسباب التخلف)[3].

فهذا المعلم الأول من معالم الرشاد، والذي ينبغي علىٰ المربي أنْ يربيه في طلابه لسمو درجته وعلو منزلته وأثره في زيادة الإيمان وتهذيب الأخلاق وصياغة الشخصية الرشيدة.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/ ١٢٤.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢١٣.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢١٢.

■ تقوية الإرادة

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[1]. فهذا الحديث دليل علىٰ أنَّ طريق الجنة ليس مفروشًا بالورود، وإنما هو طريق شاق، قال النووي: (ومعناه لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها والصبر علىٰ مشاقها وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلىٰ المسيء والصبر عن الشهوات ونحو ذلك)[2].

وهكذا الشريعة بوجه عام؛ قد بُنيت علىٰ تجريد النفس من حظها إلىٰ قصد الله تعالىٰ والدار الآخرة، وقد عدَّ الشاطبي ذلك مقصدًا شرعيًا، بل عده المقصد الأول من مقاصد الشريعة، فقال: (المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتىٰ يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبد لله اضطرارًا)[3]. وهذا كله يتطلب إرادة قوية وعزيمة نافذة وقلبًا متوجهًا لا يلوي علىٰ شيء، ولا يكون ذلك بغير التعويد والتدريب والتربية.

وضعيف الإرادة لا يسعه إلا العجز، ولا يسعه إلا السير في ركاب الآخرين، فهو عاجز حتىٰ يرىٰ الناس تفعل شيئًا فيفعله، لا يسارع إلىٰ الخيرات، ولا يستقيم علىٰ طريقة، ولا يصبر عن الشهوة، والتربية الإسلامية تستهدف النفس البشرية بتقوية الإرادة فيها، لجعل القلب أكثر صبراً ومضاءً وعزيمة.

---

(١) أخرجه مسلم ح ٢٨٢٢.
(٢) شرح النووي على مسلم ١٧/ ١٦٣.
(٣) الموافقات ٢/ ٢٨٩.

كيف نصنع الإرادة؟

في كل إنسان إرادة، ولذلك أخبر النبي ﷺ أنَّ أصدق الأسماء حارث وهمام[1]. ولكننا نتحدث في سياق الإرادة الباعثة علىٰ سلوك طريق الاستقامة، والإرادة الباعثة علىٰ الإمساك عن المسلكيات المخالفة للشريعة والمروءة، والإرادة التي تكسب الإنسان الثبات والصبر وقوة النفس. ولتنمية هذه الإرادة في نفوس الطلاب علينا القيام بما يلي:

١. تعظيم قدر الصلاة في نفوسهم، وحثهم الدائم علىٰ الالتزام بواجباتها كالمحافظة علىٰ وقتها وإقامتها مع جماعة المسجد والخشوع فيها، وحثهم كذلك علىٰ آدابها كأداء سننها والتبكير إلىٰ المسجد، فإنَّ الصلاة بهذه الحيثيات تورث استقامة والتزامًا وانتظامًا، والذي سيحافظ علىٰ الصلاة خمس مرات يوميًا بهذا المستوىٰ من الأداء الجيد؛ لا شك أنه استطاع أنْ يتغلب علىٰ كثير من رغباته، وأنْ يقهر الكثير من شهواته، ولا بد أنه تمكن من رياضة نفسه وتسييرها وفقًا للحكمة والديانة، وهذا معنىٰ الإرادة. ولذلك أشار القرآن إلىٰ أنَّ المصلين هم أكثر الناس اتزانًا وضبطًا لانفعالاتهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:١٩-٢٣].

٢. تعويد الطلاب علىٰ الالتزام بأعمال صالحة لا تتطلب الاجتماع، فلا تكون فيها رؤية الآخرين للعمل رغم مشقة القيام بها، كتلاوة الورد القرآني اليومي، وذكر الله تعالىٰ كثيراً، أو الوتر آخر الليل، أو تحري الدعاء في ساعة الجمعة، أو الاستغفار في السَّحر، ونحو ذلك؛ فإنَّ هذه الأعمال ليس لها نصيب من المدح والحمد والحوافز الدنيوية، أيْ ليس للنفس فيها حظ سوىٰ التلذذ بمناجاة الله؛ وهو

(١) أخرجه أبو داود ح ٤٩٥٠.

عظيم ولا شك، لكنه مما لا تشاركه الحظوظ الدنيوية، فالمداومة علىٰ هذا اللون من الأعمال الصالحة يورث الإرادة القوية وثبات الاستقامة.

وإذا قرأنا سيرة النبي ﷺ فإننا سنجد أنَّ الله تعالىٰ فرض علىٰ المسلمين في أول أمرهم: قيام الليل سنة، فكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون جزءًا من الليل فريضة من الله، وقد كان هذا تدريبًا لهم وتعويدًا علىٰ كبح جماح النفس، وتدريبًا علىٰ الالتزام بالواجبات الشرعية، وتعويدًا علىٰ هجر اللذائذ لأجل تنفيذ المسؤوليات. قالت عائشة رضي الله عنها: (إنَّ الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة. فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولًا. وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء. حتىٰ أنزل الله في آخر هذه السورة - تعني سورة المزمل - التخفيف. فصار قيام الليل تطوُّعًا بعد فريضة)[1]. فالتعويد علىٰ التزام أنواع من العبوديات من هذا القبيل يورث قوة الإرادة.

٣. الالتزام بنظام البرنامج التربوي، من الحضور والانصراف، وأداء الواجبات ومراعاة الأدبيات، فإنَّ هذا الالتزام يعوّد النفس علىٰ قهر شهواتها لأجل تحصيل المصالح الفردية والجماعية، وإنَّ هذا يتطلب مربيًا منضبطًا جادًا، يلتزم نظام البرنامج قبل طلابه، ويكون قدوة لهم في ذلك، كما يتطلب منه أنْ يهتم بتطبيق نظام البرنامج علىٰ الطلاب فلا يجعل برنامجه سائلًا لا بناء له، ولا يجعله فوضويًا لا استقامة فيه.

وإنَّ الطلاب الذي يتعلمون في برامج جادة منضبطة ينغرس في نفوسهم قهر شهوة النفس لأجل المسؤوليات الواجبة عليهم.

---

(١) أخرجه مسلم ح ٧٤٦.

وإنَّ أكثر ما يفسد إرادة الطلاب وجود برامج تعليمية سائلة، تمكّن طلابها من الانقطاع لأتفه الأسباب، فكيف يتربىٰ الطلاب علىٰ العزم والحزم وقوة الإرادة والتضحية من أجل الهدف.

٤. التربية علىٰ سمو المعاني التي أكرم الله تعالىٰ بها الإنسان، كعلو الهمة والعزة واستعلاء الإيمان ومكارم الأخلاق والمروءات وتحمّل المسؤوليات، فإنها تبني في النفس قوة إرادة ورفض للسقوط في أوحال الشهوات والموضات، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإنْ أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان»[1].

وهذا يتطلب تكوين صورة إيجابية لدىٰ الطالب بحيث نجعله ينظر إلىٰ ذاته نظرة تقدير واحترام؛ لأنَّ هذه النظرة الإيجابية نحو ذاته ستعينه كثيرًا علىٰ كبح جماح النفس وسلوك مسلك التذمم والمروءة، وتعينه بإذن الله علىٰ الثبات.

والنظرة الإيجابية نحو الذات يصنعها المربي بقبوله للشاب، أعني إظهار القبول والتفهم لشخصه وعمله وسلوكه، وإظهار القبول لاختياراته وقراراته وإيراداته وأفكاره، وتعزيز نجاحاته مهما صغرت، ومعالجة أخطائه برفق ولين مهما عظمت، والتواصل معه بلغة دافئة حميمية تجرِّئه علىٰ طرح أفكاره لديه دون خوف من اللوم والعقاب.. ألم ترَ أنَّ يوسف ذلك الطفل الصغير كان يقص علىٰ أبيه رؤيا الشمس والقمر والكواكب، وأنَّ أباه يبادله الحديث، ويوجهه التوجيه العطوف.

---

(١) أخرجه مسلم ح ٢٦٦٤.

وتقوم البرامج والمشروعات – التي ينخرط فيها الشباب ويتحملون مسؤولية تنفيذها – ببعث الهمة العالية والطموح السامي في نفوسهم، فيجدون ذواتهم التي تاهت في دروب الغواية من قبل، ويتعرفون إلىٰ مواطن القوة والنبل والخير فيها. إنَّ تحويل محاضننا التربوية إلىٰ بيئات عمل حقيقية ذات إنتاج ملموس سيصنع شبابًا رائعين، يحبون العمل ويقدّرون قيمته، وينظرون إلىٰ أنفسهم نظرة رجولة وإيجاب، وسيتلاشىٰ من نفوسهم التشوف إلىٰ التلطخ بالقاذورات وتتبع سفاسف الأمور.

وإننا بهذه الطريقة سنعيد إلىٰ الشبابِ الثقةَ بأنفسهم، وسنفتح لهم أبوابًا من الخير والنفع والصلاح، وسنبني لدىٰ نفوسهم إرادة صلبة وعزيمة لا تفتر.

٥. التذكير الدائم باليوم الآخر، فإنَّ حضوره الدائم في قلب الإنسان سيولِّد رقابة ذاتية علىٰ النفس وخشية لله تعالىٰ ومحاسبة دائمة، وهذه أمور من شأنها أنْ تصنع قلبًا قويًا، وإرادة فولاذية لا تكسرها سهام الشهوات والفتن والأهواء. هكذا ربىٰ القرآن الكريم محمدًا ﷺ وأصحابه الأجلاء، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الأنعام:١٥-١٦]. وإنَّ مخافة الحساب يوم القيامة مُعينة للشاب علىٰ حماية نفسه من وحل المعاصي والخطايا. إنَّ الميزان الذي أخبرنا الله تعالىٰ عن وضعه يوم القيامة، سيضعه الإنسان في خلده وهو حي يرزق، ليزن به الأعمال قبل التلبّس بها، حتىٰ لا يخسر الصفقة في الآخرة.

والتذكير الدائم باليوم الآخر يورث الصبر، والصبر قوة قلبية تتربىٰ وتنمو حتىٰ تصبح سجية، عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟ قلت: بلىٰ. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «إنْ شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإنْ شئت دعوت الله

أنْ يعافيك». فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أنْ لا أتكشف. فدعا لها[1].

٦. ذكر قصص الابتلاء وحكاية أحوال الذين سبقونا ممن ثبتوا علىٰ الدين ودفعوا أرواحهم رخيصة في سبيله، فعن خباب بن الأرت ﷺ قال: (شكونا إلىٰ رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فقال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع علىٰ رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمنَّ هذا الأمر، حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب علىٰ غنمه، ولكنكم تستعجلون)[2].

٧. تكليف الطلاب بأعمال وواجبات، وتحميلهم مسؤوليتها، ومتابعتهم فيها ومحاسبتهم عليها، وتعويدهم علىٰ تحمُّل أعباء البرامج والأنشطة، فإن هذا يصنع فيهم حس المسؤولية ويقوي إراداتهم ويدربهم علىٰ تكاليف الحياة.

وتشتد الحاجة في زماننا هذا إلىٰ تربية الإرادة، لما يتسم به من تفشي المنكرات والشهوات واستعلاء النموذج الاستهلاكي، وكما يقول البشير الإبراهيمي: (في زمنكم عارضٌ من انحلال الأخلاق؛ بعضُ أسبابه في الواجدين الاسترسالُ في الشهوات، وبعضُ أسبابه في المعدمين التشوُّفُ إليها، وأكبرُ أسبابه في الجميع الاستعمارُ وأساليبُه في علاجِ المرض بالموت، وغسلِ النجيع بالرجيع؛ فعالجوا هذا الداء قبل حلوله في نفوس الصغار بتقوية العزائم والإرادات فيهم، وبتعويدهم الصوم عن الشهوات، وبتحبيب العمل إليهم)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ح ٥٦٥٢.
(٢) أخرجه البخاري ح ٣٦٠٨.
(٣) آثار الإمام ٣/ ٢٧١.

■ رعاية الحاجات

تعرَّف الحاجات في التربية بأنها افتقار إلىٰ شيء ما، وإذا وجد حقق الإشباع والرضا والارتياح للكائن الحي. والحاجة شيء ضروري إما لاستقرار الحياة نفسها (حاجة فسيولوجية) أو للحياة بأسلوب أفضل (حاجة نفسية) فالحاجة إلىٰ الأوكسجين ضرورية للحياة نفسها وبدون الأوكسجين يموت الفرد في الحال، أما الحاجة إلىٰ الحب والمحبة، فهي ضرورية للحياة بأسلوب أفضل وبدون إشباعها يكون الفرد سيء التوافق، والحاجات توجه سلوك الكائن الحي سعيًا لإشباعها. وتتوقف كثير من خصائص الشخصية علىٰ حاجات الفرد ومدىٰ إشباع هذه الحاجات[1]. فالإنسان يحتاج إلىٰ الأكل ليحصل له الاتزان والاستقرار ويدفع الاضطراب عن نفسه، ويحتاج إلىٰ المعرفة ليكتشف المجهول وليحصل علىٰ ما ينفعه وليدفع ما يضره، ويحتاج إلىٰ الزواج ليلبي حاجته الفطرية فيكفّ عن الحرام ويوقف تشتت العقل وذبول النفس، وهكذا في عدد من الحاجات، التي تصنع له بإذن الله تعالىٰ استقرارًا ذاتيًا.

والتربية الإسلامية تعتني بالحاجات وتدعو إلىٰ رعايتها، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلىٰ الحبشة، وهم يلعبون، وأنا جارية، فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن). وفي لفظ آخر: (فإما سألتُ رسولَ الله ﷺ، وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم. فأقامني وراءه، خدي علىٰ خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة. حتىٰ إذا مللتُ قال: حسبكِ؟ قلت: نعم. قال: فاذهبي). وفي لفظ ثالث: (فدعاني النبي ﷺ فوضعت رأسي علىٰ منكبه، فجعلتُ

(١) علم الاجتماع العائلي ص ١٠.

أنظر إلىٰ لعبهم، حتىٰ كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم، اقدروا قدر الجارية الحديثة السن، حريصة علىٰ اللهو)[1]. وقد كان لعب الحبشة سنة قدومهم علىٰ النبي ﷺ، أي: (سنة سبع، فيكون عمرها حينئذٍ خمس عشرة سنة)[2]. قال النووي رحمه الله: (معناه أنها تحب اللهو والتفرج والنظر إلىٰ اللعب حبًا بليغًا، وتحرص علىٰ إدامته ما أمكنها، ولا تملُّ ذلك إلا بعذر من تطويل، والعِربة هي الفتاة المشتهية للعب المحبة له)[3].

إنها رضي الله عنها تتحدث عن حب البنت الصغيرة إلىٰ اللهو بوصفه حاجة نفسية فطرها الله عليه، والأمور الفطرية ليست مضادة لشرع الله تعالىٰ كما هو معلوم، وإنَّ مما يتوجب فعله مراعاة هذه الحاجة الفطرية النفسية لدىٰ البنات، كما فعل ذلك رسول الله ﷺ معها.

ولقد كان الرسول وهو المربي ﷺ يدرك أنَّ إشباع تلك الحاجات لدىٰ عائشة رضي الله عنها حقٌّ عليه، ويدرك في ذات الوقت أنَّ فيه بناء لشخصيتها، إذ بإشباعها تكمل النفس، وتتجه إلىٰ الاستقرار، والإشباع يخلصها من التوتر والاضطراب، ويضيق مساحة الهروب من الطاعات والفضائل، وبذلك فإنَّ إشباع الحاجات ليس من الأمور المباحة فحسب، بل هو مطلب تربوي شرعي في حق من يكونون تحت أيدينا في المحضن التربوي، وبهذا يتحمل المربون عبئًا تربويًا في تنشئة الشخصية بكامل مكوناتها، وليس في الجانب الروحي فقط.

لقد كانت عائشة رضي الله عنها بحاجة إلىٰ اللهو واللعب، وكانت بحاجة إلىٰ القرب من حبيبها ﷺ إلىٰ حدِّ الالتصاق، وقد فعَلَتْ، وكانت بحاجة إلىٰ معرفة

---

(١) أخرجه مسلم ح ٨٩٢.
(٢) فتح الباري ٢/ ٥١٦.
(٣) شرح النووي ٦/ ٤٢٤.

منزلتها عند حبيبها ﷺ كما جاء في رواية أخرىٰ: (فقال لي: أما شبعتِ؟ أما شبعتِ؟ فجعلت أقول: لا. لأنظر منزلتي عنده)[1].

فهذا مثال تطبيقي علىٰ رعاية الحاجات الإنسانية في السنة النبوية، والحق أنَّ سيرة النبي ﷺ في تعامله وتواصله مليئة بالأمثلة والتطبيقات علىٰ ذلك. وفي رعاية الحاجات يقول الماوردي: (.. فمن ذلك حال الإنسان في مأكله ومشربه، فإنَّ الداعي إلىٰ ذلك شيئان: حاجة ماسة، وشهوة باعثة. فأما الحاجة فتدعو إلىٰ ما سد الجوع وسكن الظمأ، وهذا مندوب إليه عقلًا وشرعًا، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الجسد، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال بين صوم اليومين، لأنه يضعف الجسد، ويميت النفس، ويُعجِز عن العبادة، وكل ذلك يمنع منه الشرع، ويدفع عنه العقل، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظٌّ من بِر، ولا نصيبٌ من زُهد، لأنَّ ما حرمها من فعل الطاعات بالعجز والضعف أكثر ثوابًا، وأعظم أجرًا...)[2].

التربية الإسلامية لا تلغي الحاجات، بل تدعو إلىٰ إشباعها لما تؤدي إليه من استقرار نفسي يبعث النفس إلىٰ المزيد من القربات والطاعات، وها أنت ترىٰ فقهاء التربية الإسلامية يوصون ويحضون علىٰ إشباعها، ويذمون التقصير في شيء من ذلك، لما يؤول إليه هذا التقصير من اضطراب النفس وذبول الشخصية؛ وهما اللذان يدفعان الإنسان إلىٰ الهروب من مربع القربات والطاعات. ألا ترىٰ أنَّ نبينا ﷺ استعاذ من الهم والحزن، إذ يمثلان تضخمًا في جانب الحاجات ونقصًا في جانب إشباعها، فتعوذ منهما لما يؤولان إليه من تثبيط النفس عن الطاعة، ودفع إلىٰ الإشباع المحرم، يقول ابن تيمية: (إنَّ النفوس لا تقبل الحق إلا بما تستعين به من حظوظها التي هي محتاجة إليها، فتكون تلك الحظوظ عبادة لله مع النية الصالحة)[3].

---

(١) أخرجه الترمذي ح ٣٦٩١.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٦٦.

وسيرة النبي ﷺ مليئة بالشواهد علىٰ إشباع الحاجات، فهو مرة يزور المريض ويؤنسه، فيشعر هذا المريض بالارتياح والسكون، ومرة يعلِّم فقيرًا طريقة التكسب، ويتابعه في ذلك، فيتولد الاتزان لدىٰ هذا الفقير، ومرة يطيل ﷺ السجود لأنَّ سبطه الطفل قد ارتحله، فكرِه أنْ يقطع عليه لهوه أو يحْرِمه من عطف الجد.. ومرة يوصي بدواء محدد لمريض بعينه، ومرة يبتسم في وجه صاحبه... وهكذا من المرات التي لا تحصر في تلمسه ﷺ حاجات الناس. إنه الشعور المسؤول عن واجب التربية.

أنواع الحاجات

لا شك في أنَّ أعظم حاجة لدىٰ الإنسان هي الحاجة إلىٰ القرب من الله تعالىٰ وتلمس رضاه وتأليهه وعبودية القلب له، إذ تتمزق الروح تمزقًا مريعًا حين لا تُشبَع حاجتُها من الاقتراب من الله تعالىٰ، إنها مسألة تتعلق بروح الإنسان وقلبه، قال ابن تيمية رحمه الله: (القلب لا يصلح ولا يُفلح ولا يُسرُّ ولا يطيب ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلىٰ ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والمتعة والسكون والطمأنينة)[1].

وابن تيمية أيضًا يفسر سقوط الإنسان في العشق بانصرافه عن عبادة الله تعالىٰ وإعراضه عنه، أيْ أنَّ القلب سيظل يبحث لاهثًا عن محبوب يؤمُّه قلبه، قال رحمه الله: (ومن أعظم أسباب هذا البلاء إعراض القلب عن الله؛ فإنَّ القلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلىٰ من ذلك ولا ألذ ولا أمتع ولا أطيب، والإنسان لا يترك محبوبًا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه..)[2].

---

(١) العبودية ص ٩٧.

(٢) المصدر السابق ص ٩٩.

وفي الإنسان العديد من الحاجات التي تتمحور حياته حول إشباعها، إضافة إلىٰ حاجة القلب إلىٰ العبادة والتأله.

وقد اجتهدَت المدارس التربوية في تعداد هذه الحاجات وتصنيفها. وبناء علىٰ أنَّ الإنسان يتكون من جسد وروح، وبناء علىٰ امتداد حياته إلىٰ ما بعد موته (الآخرة)، فإنَّ الدكتور عبد العزيز النغيمشي يقسم دوافع الإنسان لإشباع حاجاته إلىٰ ثلاث دوائر[1]، لتشمل: الدوافع العضوية، والدوافع الدنيوية، والدوافع الأخروية. وكل دائرة تؤثر وتتأثر بغيرها من الدوائر، وفقًا للشكل التالي:

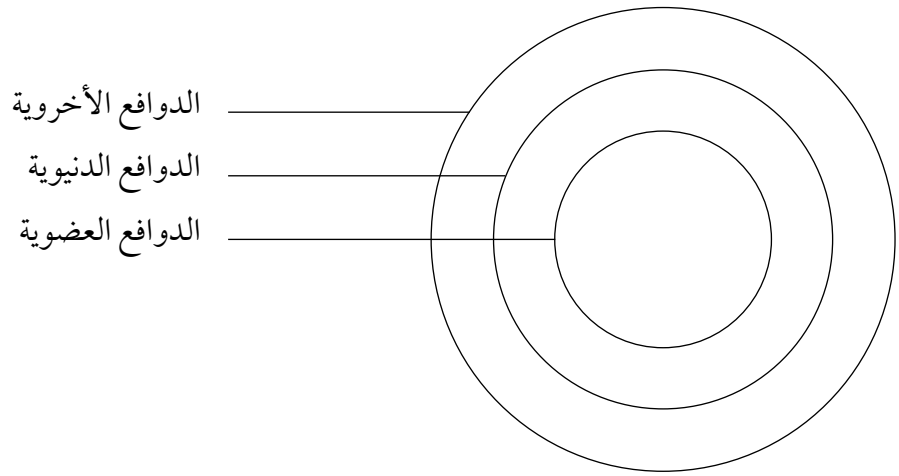

أولًا: الدوافع العضوية، وتتمثل بالحاجة الملحَّة للجسد، مثل الجوع والعطش والنفس والنوم والوالدية والولدية والجماع، وتجنب الألم والحرارة والبرودة... إلخ.

ثانيًا: الدوافع الدنيوية، وتتمثل بحاجات الإنسان في محيط حياته الدنيا، من حيث وجوده في وسط اجتماعي، سواء كانت شخصية أو نفسية أو اجتماعية، مثل حب التملك والتقدير والجمال والانتماء والاستطلاع والتقليد والإنجاز... إلخ.

(١) انظر: علم النفس الدعوي، ص ٧١ وما بعدها.

ثالثًا: الدوافع الأخروية، وتتمثل بالحاجات الروحية الضرورية لسلامة كيان الإنسان وطمأنينته وسوائه، مثل الحاجة إلىٰ التديّن والعبادة.

ميزان الحاجات

سعيُ الإسلام في منحاه التربوي إلىٰ إشباع الحاجات يتمثل منهجًا وسطًا عدلًا. والميزان حتمٌ في التربية كما هو حتمٌ في كل شأنٍ من شؤوننا: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن:٧-٨]. ويجب علىٰ المربين إقامة الميزان التربوي للحاجات مرتين:

مرة لمقادير الحاجات مع بعضها، إذ يجب أنْ تُشبع الحاجات دون الإخلال بحاجة أو بأخرىٰ، ولا يُنظر إلىٰ الحاجات باعتبار بعضها أساسيًا وبعضها ثانويًا، فهي كلها مكمّلة لبعضها متمّمة له. نعم؛ للحاجات سلم تترتب فيه أولويات الإشباع، إذ يقتضي هذا السلم المفاضلة بينها حين التزاحم فقط، وليس التخلي عنها في غيره.

ومرة أخرىٰ يقيم المربي الميزان لضبط مقدار إشباع كل حاجة من الحاجات، فلا إفراط ولا تفريط، قال الماوردي: (شهوة الزيادة علىٰ قدر الحاجة والإكثار علىٰ مقدار الكفاية ممنوع منه في العقل والشرع). وقال: (وأما النوع الثاني وهو شهوة الأشياء اللذيذة ومنازعة النفوس إلىٰ طلب الأنواع الشهية، فمذاهب الناس في تمكين النفس منها مختلفة، فمنهم من يرىٰ أنَّ صرف النفس عنها أولىٰ، وقهرها عن اتباع شهواتها أحرىٰ، ليذل له قيادها، ويهون عليه عنادها.. وقال آخرون: تمكين النفس من لذاتها أولىٰ، وإعطاؤها ما اشتهت من المباحات أحرىٰ، لما فيه من ارتياح النفس بنيل شهواتها، ونشاطها بإدراك لذاتها.. وقال آخرون: بل توسط الأمرين أولىٰ، لأن في إعطائها كل شهواتها بلادة، والنفس البليدة عاجزة، وفي منعها عن البعض كف لها عن السلاطة، وفي تمكينها من البعض حسمٌ لها عن البلادة. وهذا

لعمري أشبه المذاهب بالسلام، لأن التوسط في الأمور أحمد)[1].

وقد قدمت شريعتنا الحكيمة معايير التوسط والاعتدال في إشباع الحاجات، من خلال ما يتألف من نصوص الوحي، وما سطره علماء الملة من الأحكام الفقهية وقواعدها ومقاصدها، قال رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة»[2]. وفي هذا الإطار تُفهم مسألة الضرورات الخمس تربويًا.

الحاجات والرغبات

وينبغي علىٰ المربي إدراك الفروق بين الحاجات والرغبات، فإنَّ لكل إنسان حاجات وله أيضًا رغبات، والتمييز المعرفي بينهما مطلب مفيد للمربين.

والحاجات هي شعور المرء بخلخلة في اتزانه النفسي، بسبب فقده العوامل التي بها تصلح حياته، بحيث يندفع بشكل تلقائي نحو تحقيق وإيجاد هذه العوامل؛ من خلال سلوك ما، وأما الرغبات فهي القوالب التي يقترحها الإنسان لإشباع حاجته!

فمثلًا: الحاجة إلىٰ الأكل. يقترح الجائع نوعًا من الأكل ليسدّ به حاجته، فيطلب ما يشتهي من الأكل مما التصق بذائقته، فبالأكل سدّ جوعه وحاجته إلىٰ الطعام، وبنوع الأكل المشتهىٰ حقق رغبته.

لنأخذ مثالًا آخر: الحاجة إلىٰ المعرفة. يريد الإنسان أنْ يتعرف إلىٰ الكون وإلىٰ طبيعة الحياة، فتراه يندفع إلىٰ سلوك معين لإشباع هذه الحاجة، لكن الناس مختلفون في طريقة إشباعها، وفي القوالب التي بها يُشبعون بها هذه الحاجة،

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٧.

(٢) أخرجه البخاري معلقًا، كتاب اللباس، باب قول الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾.

فمنهم من يشبع حاجة المعرفة عن طريق القراءة، ومنهم من يشبع هذه الحاجة عن طريق مشاهدة الوسائط الإعلامية التوثيقية، ومنهم من يشبع هذه الحاجة عن طريق العلاقات المفتوحة مع الآخرين... إلخ. تمثل القوالب: القراءة والمشاهدة والعلاقات، قوالب مقترحة أو «رغبات» يتم من خلالها إشباع الحاجات.

والجدير بالذكر أنه ليس كل رغبة تمثّل النموذج الصحيح لإشباع الحاجة. وهذه قاعدة مهمة.

فإذا كانت الرغبات عبارة عن قوالب مقترحة لإشباع الحاجة، فإنَّ جزءًا منها اقتُرح بشكل خاطئ، ناتج عن مؤثرات غير مقبولة. وسأبيّن لك ذلك بمثال واضح: حاجة الرجل إلىٰ حبّ المرأة لا يمكن إنكارها أو إلغاؤها، لكن الناس يختلفون في طريقة إشباعها وفقًا لعوامل مختلفة، بمعنىٰ أنهم يختلفون في القوالب المقترحة لإشباع حاجة الحب هذه، فمنهم من يشبعها عن طريق الزواج وهو طريق شرعي، ومنهم من يشبعها عن طريق علاقة محرمة. ولذلك يخطئ البعض حين يعرض الرغبات باعتبارها حاجات، كما يفعل الذين يقودون الناس إلىٰ استهلاك المتعة بطرق هم يحدّدونها ويوهمون الناس بأنها حاجات.

فالنفس الإنسانية إذن بحاجة إلىٰ عملية فرز لما يصح من الرغبات وما لا يصح، وعملية الفرز تحتاج إلىٰ الهداية الربانية؛ لأنَّ النفس لا تستطيع أنْ تقوم بذلك بمفردها، إذْ يمثل الشيطان والهوىٰ وحب الدنيا والضغط الجمعي وغير ذلك، مؤثرات حقيقية في انحراف الرغبات، بينما يمثّل القرآن والسنة والأحكام المستخلصة منهما عواصم من اختيار الرغبات المنحرفة، بل إنَّ الله تعالىٰ إنما أنزل الكتب علىٰ الناس وأرسل الرسل إليهم لعدد من الحكم العظيمة، والتي من أجلِّها إرشاد الناس إلىٰ الطريقة الصحيحة في التعامل مع رغباتهم، إذ سرعان ما

يقع منهم الانحراف في تحقيق رغباتهم ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا، وما تفشّي القتل في العالم وأكل المال بالباطل وتعميق الفردانية وغيرها، إلا بعض مظاهر هذا الانحراف، والله تعالىٰ علَّمنا عن سرعة قبول النفس لذلك فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧].

وواجب المربي أنْ يقيم في نفوس الطلاب ميزان الحاجات والرغبات، وأنْ يعوّدهم علىٰ عمليات الفرز والتصحيح والقبول والرفض المتعلقة بهما.

■ تربية الجمال

عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل: إنَّ الرجل يحب أنْ يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة! قال: «إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»[1]. هكذا قال نبينا ﷺ، فإنَّ الله تعالىٰ وتقدس جميل في ذاته سبحانه، وجميل في أسمائه وصفاته، وجميل في أفعاله، وكل جمال نراه إنما هو أثر من جميل أفعاله سبحانه، ولذلك فهو جميل سبحانه وهو أيضًا يحب ظهور الجمال في الكائنات، ولذلك لم يكن التزيّن في اللباس من الكبر، بل هو الأفضل لموافقته لمحبوبات الله تعالىٰ.

ولأنَّ الله تعالىٰ جميل يحب الجمال أودع في فطرة الإنسان حب الجمال، وجعل ما حوله جميلًا، فزين سبحانه السماء الدنيا بالقمر والنجوم والكواكب، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر:١٦]. قال السعدي: (فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلىٰ التأمل فيها والنظر في معانيها والاستدلال بها علىٰ باريها)[2]. وهذا كان معروفًا عند الناس إلىٰ عهد قريب قبل أنْ تحجب الحضارة الإسمنتية جمال السماء والأرض عن أعين الناس، فصار الذين يتمتعون بهذا الجمال قليلين. وكذلك جعل الله تعالىٰ الأنعام مما يُستمتع بجمال منظرها، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:٥-٦].

---

(١) أخرجه مسلم ح ٩١.

(٢) تفسير السعدي ٢/ ٨٥٩.

وقد كان النبي ﷺ يتعمد التجمل في أحسن ما يمكن من الثياب، وكان كذلك يتقنه، وكما كان الصحابة يصفون جماله في نفسه ﷺ كانوا يصفون جمال ملبسه، قال البراء بن عازب ﷺ: (ما رأيت أحدًا أحسن في حلة حمراء من النبي ﷺ)[1]. وكان الصحابة ﷺ يقتدون به في ذلك، قال ابن عباس ﷺ: (لما خرجت الحرورية أتيت عليًا ﷺ فقال: ائت هؤلاء القوم. فلبستُ أحسن ما يكون من حُلل اليمن، فأتيتهم فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما هذه الحلة! قال: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت علىٰ رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل)[2]. وهكذا كان السلف علىٰ هذا المنهاج، قال ابن رجب: (ولم يزل علماء السلف يلبسون الثياب الحسنة، ولا يعدون ذلك كِبرًا)[3].

وحقيقة الجمال لا تنحصر في اللباس والشكل الخارجي، بل هي أشمل من ذلك فتشمل الظاهر والباطن، والأقوال والأفعال والأخلاق، وكان من دعاء النبي ﷺ قوله: «اللهم زيّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»[4]. وقوله ﷺ: «اللهم حسَّنت خَلْقي فحسِّنْ خُلقي»[5]. وفي هذا المعنىٰ يقول العلماء: الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال. فأما جمال الخلقة فهو أمر يدركه البصر ويُلقيه إلىٰ القلب متلائمًا، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر. وأما جمال الأخلاق فكونها علىٰ الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد. وأما جمال الأفعال فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٠٤، ومسلم ٢٣٣٧.
(٢) أخرجه أبو داود ح ٤٠٣٧.
(٣) فتح الباري ٢/ ٤٢٣.
(٤) أخرجه أحمد ح ١٨٣٢٥.
(٥) أخرجه ابن حبان ح ٩٥٩.
(٦) تفسير القرطبي ١٠/ ٧٠.

والحفاظ علىٰ الفطرة وتنميتها في النفوس أصل الجمال ومنبعه، كما أنَّ تشويهها وتخريبها أصل القبائح، وهذا ما علىٰ الأجيال الجديدة أنْ تعيه وتفهمه.

والمقصود أنَّ الإسلام يربي أهله علىٰ الجمال ظاهرًا وباطنًا، وشكلًا ومعنىٰ، وقولًا وفعلًا، وهذا ما ينبغي أنْ تلتفت إليه مناهج التربية الإسلامية.

مراتب التجمل وفقه الزينة

وحيث كان الجمال من محبوبات الله، فإنَّ له مراتب وحدودًا؛ فمنه الواجب، ومنه المستحب، ومنه المباح، ومنه الممنوع.

فمن التجمّل الواجب الاعتناء بخصال الفطرة المتضمّنة نظافة البدن الواردة في حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ: «الفطرة خمس: الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الآباط»[1]. ومن التجمّل الواجب نظافة الثياب، قال الله تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]. ومنه ستر العورة، فعن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده، قال: قلت: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «استر عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك»[2]. وغيرها من الزينة الواجبة التي ينبغي علىٰ الطلاب أنْ يتعلموها، لما قد يتعلق بها من أحكام أخرىٰ، مثل ما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]. قال ابن عباس: (كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة، والزينة اللباس وهو ما يواري السوأة، وما سوىٰ ذلك من جيِّد البزِّ والمتاع؛ فأُمروا أنْ يأخذوا زينتهم عند كل مسجد)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ح ٥٨٩٢ ومسلم ح ٢٥٧.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ح ٩٩١.
(٣) تفسير الطبري ١٠/ ١٥١.

ومن التجمّل ما هو مستحب، كتطهير الفم بالسواك، ودهن شعر الرأس، ولبس البياض، ونحو ذلك.

وقد اعتنىٰ علماء الشريعة بمسألة التجمّل فأفردوا أبوابًا في الزينة، وبيّنوا فيها ما ينبغي وما لا ينبغي، وما يجب وما لا يجب، وهي أبواب محررة ومتقنة يجدر بالمربين أنْ يعتنوا بها، لأنها تمثل جانبًا من جوانب شخصية المسلم التي تتطلب قدرًا من التوجيه والترشيد.

ولقد عاب الحروريون علىٰ ابن عباس تزينه وظنوه ترفًا ومخالفة لسمت التدين، فبيَّن لهم أنه رأىٰ النبي ﷺ يلبس أحسن الحلل والثياب، وهذا يدل علىٰ أنَّ مفهوم التجمّل والتزيّن المشروعين قد يلتبس علىٰ البعض بالممنوع منهما، ولهذا كان الفقه بهما مطلبًا تربويًا لتنمية الفطرة وتعزيز معالمها وتكميلها في الإنسان.

وقد دلّت النصوص علىٰ أنَّ التجمّل وقت الصلاة وأيام الجمعة والعيد وعند اللقاء بالناس وبين الزوجين وغيرها من المواضع؛ مطلبٌ شرعي، وكما هي كذلك فهي حاجة تربوية.

وحب الجمال لا يقتصر علىٰ ملبس الإنسان وهيئته، فإنَّ الإنسان مفطور علىٰ حب الجمال في كل مكان حوله، فتلمّس الجمال في المسكن والمركب والسوق وأماكن العمل وغيرها أمر محبوب ومباح؛ ما لم يتجاوز إلىٰ ما حرمه الله، سواء كان السبب في ذاته أو متعلقًا بغيره كالإسراف والخيلاء ونحوهما.

والمقصود أنَّ فطرة الإنسان مجبولة علىٰ حب الجمال، وعلىٰ تفاعل الوجدان معه، فوجب أن يكون ذلك التفاعل مستنيرًا بهدي الشريعة البيضاء، ليكتمل رشاد المسلم.

الجمال والآداب العملية

في الجانب الآخر من الجمال يطلعنا أهل العلم علىٰ جمال الأفعال وزينة السلوك، فيفردون أبوابًا في الأدب العملي، وبعضهم يزيد من عنايته به فيفرد له مصنفًا كاملًا، كما فعل البخاري في كتابه: الأدب المفرد، وابن مفلح في كتابه: الآداب الشرعية، والمقصود هو جانب الفِعال الجميلة والخصال الحميدة التي ينبغي علىٰ أهل الإسلام أنْ يعتنوا بها، سواء منها ما يتعلق بالأدب مع الله، أو بالأدب مع الأهل، أو بالأدب مع الناس علىٰ اختلاف أنماطهم وأوصافهم.

ويتضمن الأدب مع الله اتّباع أحسن الهدي في المسجد وفي الأكل والشرب والنوم والتخلي وغيرها. ويتضمن الأدب مع الأهل حسن العشرة وأدب التخاطب واحتمال الزوجين لبعضهما وملاعبة الأطفال وتقدير البالغين ونحو ذلك. ويتضمن الأدب مع الناس حسن الحديث معهم والإنصات إليهم والصدق في التعامل معهم في السوق وغيره واحتمال أذاهم وكف الظلم عنهم ونجدة منكوبهم وغير ذلك من أبواب المروءات. وكل ذلك مبين مسطور في كتب أهل العلم.

واليوم يبرز الحديث عن الذوق الاجتماعي، وقد يلتبس الحق فيه بالباطل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وعلىٰ هذا الهدي ينبغي تربية الناشئة، لأنه الصبغة الخاصة بأمة الإسلام، وبه يظهر رقي هذا الدين وسموه وعلوه علىٰ الآداب التي يصنعها البشر في منأىٰ عن أنوار النبوّة فيضلون ويتيهون ويقدمون ما حقه التأخير ويؤخرون ما حقه التقديم، ويحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله، بأسماء مستجدة كالذوق والبريستيج والإتيكيت.

الزينة الممنوعة

وإذا كان حب الجمال فطرة، فإنَّ الشيطان أقسم علىٰ تغيير هذه الفطرة والعبث بها حين قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩]. وقال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠]. قال ابن كثير: (أي: لا تبدلوا فطرة الله، ودعوا الناس علىٰ فطرتهم)[1]. ومن ذلك الزينة المحرمة كالوشم والوصل وتشبّه الرجال بالنساء وتشبّه النساء بالرجال وغيرها؛ مما قد دلت النصوص علىٰ تحريمها صريحة أو بالقياس والاجتهاد، وهي وإنْ كانت مما يتزين به، إلا أنها تعبر عن خطأ في تقدير الجمال أحدثه الشيطان.

وثمّة مسائل في الزينة بحاجة إلىٰ تحرير وإتقان، ويقع فيها كثيرون؛ كالقزع عند الرجال وعمليات التجميل عند النساء، فمن هذه المسائل ما يعدّ في المباحات ومنها ما يعدّ في المكروهات، ومنها ما يعدّ في المحرمات ومنها ما يعدّ في كبائر الذنوب.

وثمة مسائل في الزينة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالصحة الجسدية والفسيولوجية، فينبغي إرشاد الطلاب إلىٰ الزينة السالمة من الأضرار الصحيّة، وتحذيرهم مما هو خطر عليهم في صحتهم وأبدانهم ظاهرًا وباطنًا.

وكما يوجد تفريط في الزينة المشروعة عند البعض، فإنه يوجد أيضًا إفراط فيها عند آخرين، حيث يسرفون ويطغون، فمن المهم أنْ يعي الطلاب حدود الزينة المستحبة والمباحة لئلا يقعوا في الزينة المحرمة بسبب الإسراف.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٢١.

الدائرة الثانية

معالم الرشاد العلمية والعقلية

■ بناء العقل المفكر

التنشئة البيتية والعادات والأعراف الاجتماعية ونمط الحياة السائد والضخُّ الإعلامي الهائل وطرائق التعليم ومناهجه؛ لها تأثير عجيب في تشكيل عقلية الإنسان، وطريقة تفكيره، ومن البديهي أنْ يكون العقل خاضعًا لهذه المشكِّلات.

وإحدىٰ أولويات التربية الإسلامية تحرير العقل الإنساني من قيود المؤثرات التي تتدخل سلبًا في عمليات العقل، لينطلق في فضاء التفكُّر الواسع الرحب المؤطّر بالوحي السماوي، فإنَّ العقل الإنساني له قيمته ومكانته، وحين تُلغىٰ هذه القيمة، فإنه سرعان ما ينحرف عن المسار الصحيح، أو ينجرف مع كل تيار لامع.

وأول توجيه قرآني نزل هو: اقرأ باسم ربك. وأول مخلوقٍ أقسم الله تعالىٰ به في القرآن هو القلم. إنها النقلة الهائلة في تربية العقل بالإشارة إلىٰ أهمية العلم والقراءة والكتابة.

والقرآن مملوء بالحوارات العقلية التي تصل بالقارئ إلىٰ الاعتراف بالحق لا الأوهام والخرافات، وتأمل علىٰ سبيل المثال في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

وفي سورة البقرة ذمَّ الله تعالىٰ أولئك الذين تركوا أمر الله تعالىٰ – وهو أحكم الحاكمين وخالق السماوات والأرض – لالتزامهم بما تعارف عليه الآباء والأجداد وما اعتاده القوم، فقال الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

أما سيرة النبي ﷺ فهي واضحة الاحتفاء – لمن سبر – بتربية العقل المفكر، وتحريره من القيود الضاغطة عليه، فعن أبي هريرة ﷺ (أنَّ رسول الله ﷺ جاءه أعرابي، فقال: يا رسول الله! إنَّ امرأتي ولدت غلامًا أسود! فقال: «هل لك من إبل؟». قال: نعم. قال: «ما ألوانها؟». قال: حمر. قال: «هل فيها من أورق؟». قال: نعم. قال: «فأنىٰ كان ذلك؟». قال: أراه عِرق نزَعه. قال: «فلعلَّ ابنك هذا نزعه عرق»)[1]. لقد كان النبي ﷺ يربي الصحابة – من خلال مواقف مختلفة – علىٰ عدم الاستسلام للتصورات الذهنية السائدة، وردها إلىٰ المحاكمات العقلية، كالقياس مثلًا.

التخلُّص من القيود الضاغطة علىٰ العقل – أيًا كانت هذه القيود: ثقافية، أو اجتماعية، أو إعلامية – طريق معبَّد يوصل إلىٰ الهداية. وإنَّ أولئك الذين كان لديهم عقول سليمة محررة من المؤثرات المزيفة للحقائق؛ قادتهم عقولهم إلىٰ أنوار الوحي، واستسلمت لسلطان الشريعة. بل لعلَّهم – إذا وفقهم الله تعالىٰ – يكونون أصحاب مبادرات نافعة، والأمثلة علىٰ حصول ذلك في أصحاب النبي ﷺ أكثر من أنْ نحصرها في بعضهم كعمر بن الخطاب والطفيل بن عمرو الدوسي.

ضرورة العقل الناقد

نحن اليوم أمام طوفان من الأفكار والمعلومات والآراء، تتدفق بلا توقف من الوسائط الإعلامية المختلفة، والتي تشكِّل عقول الشباب المسلم من الجنسين

---

(١) أخرجه البخاري ح ٦٨٥٥.

بلا وعي ولا رحمة ولا منهج علمي، وغالبًا ما تعزف علىٰ وتر الخيال والأوهام والعاطفة، وتقدم الأطروحات وهي واثقة من القدرة التأثيرية علىٰ جماهيرها.

وكل يوم تزداد قدرة الإعلام علىٰ التأثير في جماهير الناس، إذ لا ينفك عن تطوير أدواته وتقنياته، في منافسة شديدة بين أساطينه ودهاقنته، علىٰ استقطاب أكبر عدد من هذه الجماهير، ثم هو يصبُّ أطروحاته في تلك القوالب المتعطشة المأسورة.

ومما يتربىٰ عليه الشباب في هذا الإطار هو تحرير أصل الفكرة، والرجوع بالتفكير إلىٰ نقطة الأصل، وغالبًا ما يكون هذا الأصل بدهية لكنها غابت في ظل التعتيم والتضليل أو بسبب الجهل وقلة الفقه، فتحتاج تلك البدهية إلىٰ إيقاظ.

ومما ينبغي تربية الطلاب عليه في هذا الإطار الاعتناء بالمنهج العلمي لتناول الموضوعات والأفكار، كمرجعية النصوص الشرعية لتعريف الأشياء والحكم عليها وسبل التعامل معها، فالقرآن والسنة حاكمان علىٰ كل شيء في حياتنا، بما في ذلك الأفكار والأطروحات والموضات والمواقف والأحداث، وكالرجوع إلىٰ العلماء الربانين المجتهدين، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣].

ومما ينبغي تربية الطلاب عليه الاعتناء بمفهوم الأسماء الشرعية، فإنه لا يوجد شيء في هذه الحياة وإلا وله اسم وتعريف يبيّن حدوده ومعالمه، ومن رحمة الله بالناس أنْ علمهم هذه الأسماء، قال تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]. لكيلا تختلط الأمور والمفاهيم، ولأن معرفة الشيء باسمه الحقيقي هي الأصل الذي تبنىٰ عليه الفكرة ويدور حولها التفكير، ويستطيع من أدرك هذا الأمر أنْ يحرّر المصطلحات الحادثة، وأنْ يبيّن حقائقها، وأنْ يكتشف ما فيها من زيف وباطل، ثم يكون بذلك قادرًا علىٰ تقييمها والحكم عليها.

ومما ينبغي تربية الطلاب عليه بناء منهج للتعامل مع وسائل الإعلام والاتصال، فلا بد من الحزم في مقاطعة ما لا فائدة منه، ولا بد من الانتقاء الواعي لما يخدم الأهداف، ولا بد من التدرب علىٰ فرز الخبيث من الطيب، فالدراما والأخبار والتقارير وأفلام الوثائقيات والكتب والروايات وشبكات التواصل الاجتماعي اليوم غير سالمة من فكرة موجّهة، تقتحم الوجدان وتعبث بالأفكار، بطريقة أشبه ما تكون بتسرّب المياه بين الحجارة والصخور، لتصل إلىٰ العمق والباطن. وتحصين الناس من هذا الاقتحام الناعم مطلب تربوي.

التفكير الإبداعي

والإبداع يطلق علىٰ فكرة غير مسبوقة في عالم الأقوال والأعمال والمشاريع، وكما يطلق علىٰ خلق الأفكار، فهو أيضًا يطلق علىٰ تحويلها إلىٰ أفكار جديدة غير مسبوقة؛ فهو كسر لعادات التفكير المعتادة وخروج من القوالب المألوفة للوصول إلىٰ نتيجة يكون فيها الحل للمشكلات أو إنتاج جديد نحتاج إليه.

والأمة بحاجة إلىٰ تربية تنمّي التفكير الإبداعي، خاصة في هذا العصر الذي يتسم بالتعقيد في مشكلاته واحتياجاته ومخترعاته وسبل الصراع بين الحق والباطل.

والاستنباط جزء من الإبداع، والنبط في أصل لفظه هو الماء الذي يستخرج من البئر، قال ابن فارس: (النون والباء والطاء: كلمة تدل علىٰ استخراج شيء. واستنبطت الماء: استخرجته، والماء نفسه إذا استخرج نبط)[1]. فالاستنباط استخراج شيء من شيء آخر قد لا يشبهه كاستخراج الماء من باطن التربة، وهنا تنتقل عمليات العقل من المعتاد المألوف إلىٰ الإبداع. والعرب تطلق ذلك عليه، كما في قول ابن فارس السابق: (والعرب تقول: ابتدع فلان الركيَّ إذا استنبطه). فتأمل العلاقة بين الاستنباط والإبداع، والتي تمثل علاقة الجزء بالكل.

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٣٨١.

إننا أحوج ما نكون إلىٰ تنمية الاستنباط وتربيته والتشجيع عليه وتهذيبه؛ إذ نهدف إلىٰ أنْ يصبح العقل قادرًا علىٰ استيعاب المستجدات واحتواء الآفاق ورؤية المستقبل وتقليب المضامين وإثارة الأسئلة.

والمربي أمام صنفين من الطلاب: طالب يستوعب ما نعلِّمه ويمضي، فإنْ لم يستوعبه فإننا سنعيد تعليمه بشكلٍ أو بآخر، وطالب يستوعب ما نعلِّمه ثم لا يمضي! بل يستوقفنا كأنه شخصٌ أُغلِق عليه فهمه، فهو يسألُ ثم يسألُ ثم يسأل! إنه طالبٌ تتفجر لديه الأسئلة تباعًا، وتتولد عنده الإيرادات والاعتراضات، ويسلك بنا دروبًا وعرة ومتشعبة، وتشعر بأنه في حيرة وقلق حتىٰ تُشبع لديه تلك الأسئلة بالإجابات المناسبة، لكنه في نهاية المطاف لم يستوعب ما نعلمه فحسب، بل هو قد استوعب مفاهيم كل شيء له علاقة بالمسألة التي علمناه إياها.

إنَّ قيمة المعارف ليس بفهمها وحفظها فقط، بل بما تثيره في الوجدان والعقل من أسئلة تثوّر المفاهيم وتلتقط خيوط الإبداع، قال الزهري: (العلم خزائن ومفاتيحها السؤال)[1]. ولذا، فإنَّ من واجبات المحاضن التربوية أنْ تعتني بتربية الطلاب علىٰ مفاتيح الإبداع الحقيقية، من خلال تشجيعها وتنميتها والترحيب بها والمشاركة في الإجابة عنها.

ثم إنَّ تربية العقل الإبداعي ستواجه مشكلة الجمود التربوي والدعوي، بسيل من الحلول المشروعة والجذابة، والتي ستحدث تغييرًا إيجابيًا في واقع العمل التربوي والدعوي، حيث يتحول الإبداع من مبادرات متناثرة إلىٰ ثقافة سائدة.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٧٩.

■ بناء وتصحيح التصورات والمفاهيم

تعرِّف المعاجم التربوية المفهوم بأنه فكرة ذهنية عامة عن الأشياء أو الأحداث، يتوصّل إليها الإنسان عن طريق عمليات التصنيف والتمييز، بحيث تُفهم الفكرة وتُميَّز عن غيرها، وسواء كان المفهوم ماديًا مثل الثوب والكتاب، أو مجردًا مثل الأمانة والأخوّة[1].

الخلق مادة التفكر

قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٦-٨]. في الكثير من الآيات القرآنية يذكِّر الله تعالىٰ عباده بخلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، في سياقات مختلفة تحث العقل علىٰ التفكر والتدبر في شأن هذه المخلوقات، وتبعثه علىٰ تنقية الفطرة مما شابها من الأدران والروح مما غشيها من الغفلة.

ففي سياق البرهنة علىٰ نفي الولد عن الله تعالىٰ يذكر بخلق السموات والأرض، فيقول: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٦-١١٧]. فمن كان مفتقراً إلىٰ الولد لا يصلح أنْ يكون معبوداً تنتصب له الخلائق رغبة ورهبة؛ هكذا يقول العقل المفكر.

---

(١) انظر: معجم مصطلحات العلوم التربوية ص ٤٢، معجم المصطلحات التربوية والنفسية ص ٢٦٥، والمعجم الموحد لمصطلحات المناهج وطرق التدريس ص ١٩.

ومن الظواهر التي يلفت القرآن الكريم عنايتنا إلىٰ التفكر فيها ظاهرة إنبات الزرع من الأرض بعد نزول المطر، ونموه إلىٰ أنْ تخرج الثمار الناضجة، ثم موته، في دورة حياتية مستمرة الحدوث والتكرار، ليصل بالعقل إلىٰ أعظم نتيجة وهي توحيد الله بالعبادة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢].

وهي ظاهرة تشبه البعث الأخير، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (بين النفختين أربعون، ويبلىٰ كل شيء من الإنسان إلا عَجْبَ ذنبه، فيه يركب الخلْق)[1]. ووجه الشبه واضح للغاية، ولذلك فإنَّ دورة الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية ينبغي أنْ تحفز العقل ليتذكر اليوم الآخر، وأنَّ الله سيبعث العباد، وسيجازيهم علىٰ أعمالهم.

وتأمل كيف يربط القرآن بين مسألتين: التفكر في الخلق والتوحيد كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾[البقرة:١٦٣-١٦٥]. قال ابن كثير: (ثم ذكر الدليل علىٰ تفرده بالإلهية بتفرده بخلق السماوات والأرض وما فيهما، وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة علىٰ وحدانيته، فقال: إنَّ في خلق السماوات والأرض، تلك في لطافتها وارتفاعها واتساعها وكواكبها السيارة

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٣٨٠، ح٤٧٩٨.

والثوابت ودوران فلكها، وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع.

واختلاف الليل والنهار؛ هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه، لا يتأخر عنه لحظة، وتارة يطول هذا ويقصر هذا، وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان.

وتسخير البحر لحمل السفن من جانب إلىٰ جانب لمعايش الناس، والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم، ونقل هذا إلىٰ هؤلاء وما عند أولئك إلىٰ هؤلاء.

وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها.

وبث في الأرض من كل دابة، علىٰ اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها، وهو يعلم ذلك كله ويرزقه، لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء.

وتصريف الرياح؛ فتارة تأتي بالرحمة، وتارة تأتي بالعذاب، تارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن، وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة، وتارة دبور وهي غربية تنفد من ناحية دبر الكعبة.

والسحاب السائر بين السماء والأرض، يسخر إلىٰ ما يشاء الله من الأراضي والأماكن، كما يصرفه تعالىٰ.

إنَّ في هذه الأشياء دلالات بينة علىٰ وحدانية الله تعالىٰ)[1].

فالذي لا يرىٰ هذه القدرة والعظمة والقوة كيف يعرف الله تعالىٰ، بل كيف يوحده ويعبده؟!

وعلىٰ المربي أنْ يعتني بهذا الذي اعتنىٰ به القرآن في الكثير من سوره وآياته،

---

(١) باختصار: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٩.

وأنْ يجعل من حركة العقل تجاه مخلوقات الله وتجاه خلق السموات والأرض علىٰ وجه الخصوص مدخلاً عقلياً لمسائل الإيمان، وحركة الإنسان في الأرض، وحضارة اليوم لا تُري الناس إلا آيات الإنسان وقدراته في الصناعة والإنتاج والتغلب، فغابت عن الناس كثير من آيات الله تعالىٰ الكونية، واتُخذ الإنسان نداً لله!

والمفاهيم أساس الفكر، ويُعبَّر عنها باللغة، أي أنَّ ألفاظنا تعبّر عن مدركات كلية[1]. وقد امتن الله علينا بأنْ علمنا الأسماء الدالة علىٰ المفاهيم الصحيحة، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]، فكل مفهوم له اسم ثابت دالّ عليه، وأي تغيير في عناصر المفهوم فإنه يتسبّب بنزع الاسم عنه فلا يدل عليه دلالة تامة، قال ابن عباس: (هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودابة وسماء وأرض وسهل وبحر وجمل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها). وعقّب ابن كثير قائلًا: والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها: ذواتها وأفعالها؛ كما قال ابن عباس: حتىٰ الفسوَة والفسيَّة. يعني أسماء الذوات والأفعال، المكبر والمصغر[2].

وحين علَّم الله تعالىٰ آدم الأسماء كلها، وصار بذلك عالمًا بالألفاظ ودلالاتها وعالمًا بالمفاهيم علىٰ وجهها الصحيح وفقًا لما علَّمه ربه، فارتفع مقام آدم وصار إلىٰ مكرمة الله له وأسجد له ملائكته، كما نفهم ذلك من سياق القصة في قوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ...﴾ [البقرة: ٣١]. وهنا استكبر إبليس وحسد آدم علىٰ هذه الأعطيات والمكرمات، وأقسم علىٰ أنْ يسخّر حياته وحياة ذريته في العداء لآدم وذريته، إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) معجم مصطلحات العلوم التربوية ص ٤٢، ومعجم المصطلحات التربوية والنفسية ص ١٦٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٣٤.

وكانت بداية العداء في الجنة؛ حين أسكن الله تعالىٰ آدم وزوجه فيها، فنهاهما عن أكل شجرة فيها، فجاء الشيطان وألقىٰ في نفس آدم مفهومًا محرفًا عن هذه الشجرة، فأكل منها آدم لأنها أصبحت ذات مفهوم آخر محبّب إلىٰ النفوس، وتأمل قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف:١٩-٢٢]. تأمل كيف عمد الشيطان إلىٰ تخريب المفهوم وتضليله عند آدم حتىٰ أوقعه في المعصية الصريحة! والمقصود أنَّ المفاهيم المغلوطة والتصورات الخاطئة أصلٌ في الانحراف البشري.

وكذلك أخبرنا الله تعالىٰ عن جنود إبليس من أهل الكتاب الذين عمدوا إلىٰ المفاهيم وحرّفوها وأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله، وكل ذلك يكون منطلَقه تحريف الألفاظ والكلمات، قال تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:٤٦]. قال الطبري: يبدلون معناها ويغيّرونها عن تأويله، ومواضعه وأماكنه ووجوهه[1]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨].

(١) تفسير الطبري ٧/ ١٠٣.

واجبات المربي المفاهيمية

المقصود أنَّ التصورات والمفاهيم والأفكار والعقائد، كل ذلك جاء الحكم فيها وبيان وجه الحق فيها من عند الله تعالىٰ، وأنَّ الشيطان وجنوده وأولياءه يعمدون إلىٰ تحريفها وتضليلها لإيقاع الناس فيما يبغضه الله من الأفكار والتصورات التي يتولد منها سلوك الإنسان وأعماله وتصرفاته ومواقفه، وبذلك أصبح لدينا نوعان من المفاهيم والتصورات، نوع صحيح ينبغي تأسيسه في عقول الناشئة ووجدانهم، ونوع مغلوط ينبغي تصحيحه وتنقيته في عقولهم ووجدانهم؛ لأنَّ المفاهيم والتصورات مُدخل رئيسي في العمل وإصدار القرارات والسلوك والمواقف، ولأنَّ جزءًا مهمًا منها يتعلق بالعقيدة وأركان الإيمان والإسلام. وهذا واجب من واجبات المربي الذي اضطلع بوظيفة الأنبياء في صناعة الإنسان الراشد، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ويمكن لفت انتباه المربي إلىٰ عدد من النقاط:

أولًا: المربي الجيد عليه أولًا تأسيس التصورات والمفاهيم الصحيحة وفق الوسائل والطرائق التعليمية الجيدة، لتتحقق له هذه النتيجة المهمة. ومثال ذلك ما رواه ابن مسعود، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: «إنَّ أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح»[1]. فمن هذا الحديث يبنىٰ التصور الصحيح عن خلق الإنسان ومراحل نموه في رحم أمه.

---

(١) أخرجه البخاري ح ٣٢١٦.

ثانيًا: فحص تصورات الطلاب وتصحيح المغلوط منها، وهذا يتطلب قدرة تواصلية جيدة تجعل الطلاب في أمان من أخطائهم وكلامهم، عن قيس بن سعد ﷺ قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرْزُبان لهم فقلت: رسول الله أحق أنْ يُسجد له، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة، فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أنْ نَسجد لك. قال: «أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟». قال: قلت: لا. قال: «فلا تفعلوا، لو كنت آمرًا أحدًا أنْ يسجد لأحد لأمرت النساء أنْ يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق»[1].

ثالثًا: التدرج في تعليم المفاهيم والتصورات، فإنه أرفق بالنفوس وأصلح لها، فيُبدأ بالمحكم قبل المتشابه، وبالمجمع عليه قبل المختلف فيه، وبأصوله قبل فروعه، وهذه عادة الربانيين، قال القرطبي: (الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور؛ روي معناه عن ابن عباس)[2].

رابعًا: التخطيط لتشييد المفاهيم والتصورات، وذلك بتحويلها إلىٰ أهداف تربوية، بحيث تتم صياغة الهدف التربوي المتعلق بالمفهوم صياغة صحيحة، ثم عمل البرامج التي تحقق الهدف التربوي.

خامسًا: الوحي هو مصدر المفاهيم والتصورات الشرعية والحاكم عليها، وعلىٰ المربين أنْ يبنوا المفاهيم والتصورات في نفوس الطلاب، من خلال كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته وفهم الصحابة ﷺ. وقد يلتبس في ذهن أحدنا بعض جزئيات المفاهيم مما تشكلت في أذهاننا بفعل العادات أو الإعلام أو غيرهما من المؤثرات؛ فنظنّها جزئيات صحيحة، بينما هي جزئيات خاطئة دخيلة علىٰ المفهوم

(١) أخرجه أبو داود ح ٢١٤٠.
(٢) تفسير القرطبي ٤/ ١٢٢.

الصحيح، وهذا ما يضع علىٰ عاتق المربي عبء التعلم المستمر والعودة الدائمة إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاستهداء بهما، لا سيما في هذا العصر الذي كثر فيه التشويش علىٰ مفاهيم الإسلام وحرص فيه أعداء الشريعة علىٰ تضليل حقائق الدين وتحريفها. قال رسول الله ﷺ: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله»[1].

(١) أخرجه مسلم ح ١٢١٨.

■ غرس الاستهداء بالقرآن

اجتهد الحكماء والفلاسفة عبر العصور في التأطير الفكري للحياة الاجتماعية والدينية لكنهم فشلوا، واجتهد الزعماء والأباطرة في الدول والأمم الغابرة في دسترة الحياة ورصفها بالقوانين وفشلوا كذلك، أما مفكرو الحضارة الغربية وفلاسفتها فقد شيدوا أبنية للعلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، محاولين إيجاد سبيل يُمنهج حياتهم ويؤطرها، لكنهم أخفقوا جميعًا في الوصول إلىٰ الهداية المطلقة والرشاد التام، ليس لأنه لم تخلُ اجتهاداتهم من أهواء بعضها ظاهر وبعضها خفي فحسب؛ بل لأنَّ البشر دائمًا كانوا - وسيظلون - قاصرين عن إيجاد هذا المنهج الأكمل، فإنه أعلىٰ منهم وأكبر من طاقاتهم وأوسع من إدراكهم، فلهذا أمرنا الله بالاستهداء بالقرآن لكماله وجلاله وهدايته التامة ورشاده المطلق، قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]. وقال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

فالقرآن إذن هداية مطلقة، قال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢]. وكيف لا يكون هذا القرآن هداية مطلقة وهو نزل من عند الله!

وقد وصف الله كتابه بأنه يهدي لأحسن الأقوال والأعمال والأخبار والتوجيهات في مواضع، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء:٩-١٠]. وقال عز وجل: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال جل شأنه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء:٨٩].

مركزية الاستهداء بالقرآن

كل سمع وطاعة لغير الله تعالىٰ ولغير رسوله ﷺ فهما مقيَّدان ومشروطان، أما السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ فهما بإطلاق وبلا قيود ولا شروط، قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤]، وهذا الفارق العظيم والمحوري بين عبودية غير الله وعبادة الله.

ينبغي أنْ يعي الطلاب أنَّ حقيقة الإسلام أنْ تُسلِم قلبك لله ولرسوله، أيْ تجعله تحت أمر الوحي ونصوص القرآن والسنة وتوجيهها وإرشادها، فلا تفعل شيئًا إلا بدليل - كما يعبِّر السلف أحيانًا بذلك -، ولا تسير في حياتك إلا بنور النصوص، وأنْ توقن أنها هداية مطلقة وصواب مطلق ورشاد مطلق، وأنْ تجعلها حاكمة علىٰ أفكارك وتصوراتك وسلوكك وعلاقاتك وحركاتك، وأنْ تكون مصدر تقويمك لكل شيء: الناس والكيانات والأعمال والأحداث والمواقف والتصورات، وأنْ تخضع لله ولأمره ولدينه ولكتابه ولرسوله ﷺ. تلك حقيقة الإسلام وروح الإيمان وفرقان العبودية، وهذا المعنىٰ الإيماني العظيم هو ما يجب أنْ يتربىٰ عليه الطلاب في المحاضن التربوية والأولاد في البيوت.

والله عز وجل يبيّن في كتابه أنَّ هذا الإذعان والانقياد التام للوحي هو الفرض الذي يلزم المسلم لصحة إيمانه، فيقول جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٥١].

وعلىٰ المربي أنْ يجعل القرآن الكريم حاكمًا علىٰ السلوك التربوي، وبمشهدٍ من الطلاب. بمعنىٰ أنْ يقيِّم سلوك الطلاب وفق ما جاء في كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه ﷺ، لا علىٰ الأعراف التربوية أو أعراف المحضن التربوي فحسب؛ فضلًا عن المزاج العام والتقاليد، ويكون ذلك بطريقة سهلة لا تنهك ذهن الطالب ولا تربك عقله ووجدانه.

إننا بمجرد الاستدلال علىٰ تقييم سلوكٍ أو موقف من كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه ﷺ، نكون قد استهدينا القرآن الكريم في المحضن التربوي. وهذا يفيدنا في جوانب عدة:

- في جانب التصحيح القويم لسلوك الطلاب.
- في جانب غرس مفهوم مركزية القرآن في حياتنا؛ وهذا سيكون له تأثيره العميق والممتد عبر الزمن.
- في جانب الأمان النفسي للالتحاق بهذه المحاضن.
- في الجانب الأخير والمهم أيضًا وهو أنَّ هذه المواقف التي يحكمها القرآن تزيد في إيمان من حضرها وترتقي به، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦].

وعلىٰ هذا الاستهداء كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فقد كانوا يتأولون القرآن الكريم علىٰ أحداثهم ووقائع حياتهم إلىٰ حدٍّ بعيد. قال الربيع بن صالح: (لما أُخذ سعيد بن جبير ﷺ بكيتُ، فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لما أرىٰ بك ولما تذهب إليه. قال: فلا تبكِ، فإنه كان في علم الله أن يكون، ألم تسمع قوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الحديد:٢٢] الآية)[1].

(١) تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٧.

إنَّ الاستهداء بالقرآن هو غاية الرشاد، ليس علىٰ مستوىٰ الفتوىٰ فحسب، بل علىٰ مستوىٰ معالجة المواقف والماجريات اليومية، وتفسير الظواهر والأحداث، وإنَّ محاضن التربية عليها أنْ تبرز للطلاب أهمية الاستهداء بالقرآن الكريم في كافة شؤون حياتنا، إبرازًا حقيقيًا جذابًا يجعلهم يشعرون بالحياة مع القرآن، تلك الحياة اللذيذة الهانئة.

مجلس التدبر والاستهداء

في كل أنواع المحاضن التربوية ينبغي أنْ يكون للمربي مع طلابه مجلس لتدبر كتاب الله والاستهداء بهديه، فيقام هذا المجلس مهما كانت صفة المحضن التربوي ومهما كان تخصصه، فكلام الله تعالىٰ أصل أصول المعارف والعلوم وأم التوجيهات والآداب، ولا غنىٰ لبشرٍ كائنًا من كان عنه، وفي أي موقع كان.

وفي إقامة هذا المجلس يتدرب الطلاب علىٰ تعلم أحكام القرآن من القرآن، ويتعودون علىٰ تدبره وتفهمه وتعقله، ويتدربون علىٰ الاستهداء بنوره.

وفي إقامة هذا المجلس يتعود الطلاب علىٰ الجلوس لأجل القرآن، ولأجل مدارسته وتفسيره والاستنباط منه، ويترسخ في وجدانهم أنْ لا حياة بدون العيش مع كتاب الله. ولعل هذا الهدف التربوي من أعظم وأجلّ الأهداف التربوية التي يستفيدها الطلبة؛ إذ يغرس في نفوسهم وجوب الاعتناء بكلام الله والرجوع إليه في المدلهمّات والأزمات، وطرح الأسئلة عليه واستنطاقه للإجابة عنها.

وهناك تجارب نافعة في هذا الباب، وقد قدمت محاضن كثيرة جهودًا طيبة في ذلك، ولا زالت الأمة بحاجة إلىٰ تكثير هذه المجالس العظيمة، وأفضل مكان لهذا المجلس العظيم هو المسجد، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع

قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[1].

فإنْ لم يتيسر كونه في المسجد وتعذَّر ذلك، صح أنْ يكون في أي مكان غير المسجد، قال النووي: (ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إنْ شاء الله تعالىٰ، ويدل عليه الحديث الذي بعده؛ فإنه مطلق يتناول جميع المواضع، ويكون التقييد في الحديث الأول خرج علىٰ الغالب، لا سيما في ذلك الزمان، فلا يكون له مفهوم يعمل به)[2].

والنساء شقائق الرجال؛ عليهن عقد المجالس التي يتعلمون فيها كلام الله ويتدارسونه بينهن ويتفقهن فيه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤]. قال مقاتل: (أحكام القرآن ومواعظه)[3]. وهذه الآية وإنْ كانت نزلت في شأن أمهات المؤمنات، فإنَّ بناتهن تبع لهن في ذلك، قال ابن كثير: (هذه آداب أمر الله تعالىٰ بها نساءَ النبي ﷺ، ونساءُ الأمة تبع لهن في ذلك)[4].

ضرورة الورد القرآني

السنة أنْ يكون للمسلم وِرد قرآني يومي لا يخل به، يتعرض فيه للبركة ويتحصّل به علىٰ الأجر ويقوِّم به شؤون حياته، وهكذا كان النبي ﷺ، قال ابن القيم: (كان له ﷺ حزب يقرؤه، ولا يخلُّ به.. وكان يقرأ القرآن قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، ومتوضئًا

---

(١) أخرجه مسلم ح ٢٦٩٩.
(٢) شرح النووي ١٧/ ٢١.
(٣) معالم التنزيل ٦/ ٣٥١.
(٤) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٠٨.

ومحدِثًا، ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة)[1]. وعلىٰ هذا كان السلف الصالح علىٰ اختلاف في مقدار ما يقرؤونه كل يوم، فمنهم المستكثر جدًا، ومنهم دون ذلك، قال النووي: (والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر علىٰ قدرٍ يحصل له به كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولًا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة؛ فليقتصر علىٰ قدرٍ لا يحصل بسببه إخلالٌ بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلىٰ حد الملل والهذرمة)[2].

ويحسن لفت الانتباه إلىٰ أنه ليس بالضرورة أن يكون أولئك الأفذاذ من السلف الصالح قد وصلوا إلىٰ ما وصلوا إليه في وقت قصير من الاستكثار من تلاوة القرآن الكريم إلىٰ درجة الختم في يوم وليلة ونحوه، فإنَّ النفس البشرية لا تقوىٰ علىٰ ذلك إلا بالتدرج في الاستكثار، هذا أمر. وأمر آخر: إنَّ الشيء المشترك بين من كان يختم في يوم وليلة وبين من كان يختم كل شهرين، وبين من كان يختم فيما بينهما: الالتزام بالتلاوة وعدم الانقطاع، وهذا الأمر أبلغ بكثير في الأهمية من مدة ختم القرآن تلاوة؛ ذلك لدلالته علىٰ تعظيم قدْر القرآن الكريم في النفس وتعظيم الله الذي أنزل القرآن؛ قال عثمان بن عفان ﷺ: (لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله، وما أحب أنْ يأتيَ عليَّ يوم ولا ليلة إلا أنظرُ في كلام الله، يعني المصحف)[3].كما أن الالتزام بالتلاوة له دلالته علىٰ تجذُّر المراقبة الداخلية في القلب، وكذلك المتابعة الذاتية للواجبات اليومية، وقوة الإرادة وضبط النفس وكبح جماحها وتأجيل رغباتها.

---

(١) زاد المعاد ١/ ٤٨٢.

(٢) التبيان ص ٥٠.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٠٠.

تربية الطلاب علىٰ الالتزام بورد قرآني يتلونه كل يوم مبدأٌ شرعي حثَّ الإسلام عليه أكثرَ مِن حثِّهِ علىٰ حجم العمل؛ فعن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلىٰ الله أدومها وإنْ قل». قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته[1]. فعرفنا ضرورة الورد القرآني اليومي الدائم لإصلاح حياة الإنسان وتصحيح تصوراته وتعديل سلوكه والإجابة عن سؤالاته.

(١) أخرجه مسلم ح ٧٨٣.

الدائرة الثالثة

معالم الرشاد الأخلاقية والاجتماعية

■ تهذيب اللسان

استقامة القلب والجوارح هي مقصد التربية الإسلامية، وهي معنىٰ أنْ يكون الإنسان صالحًا راشدًا، ومن معانيها أيضًا: أنْ يكون الإنسان رقيبًا علىٰ نفسه مجاهدًا إياها في تلمّس مراضي الرب وتجنب مساخطه.

وهذا المعنىٰ يكون بأمورٍ، من أهمها وأعلاها: التربية علىٰ ضبط اللسان، أي التربية علىٰ أنْ يكوِّن المؤمن في نفسه رقابة ذاتية علىٰ كلماته وأحاديثه، فلا ينطق إلا بالحق وبما يرضي الله، ولا يقول ما يسخط الله ولا ما لا يرجو به ثواب الله، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]. لذلك اشتدت عناية السلف الصالح والأئمة المتقدمين بهذه المسألة، وعدّوها ركيزة من ركائز التزكية، كما ورد عن التابعي الجليل يونس بن عبيد رحمه الله قوله: (لا تجد من البر شيئًا واحدًا يتْبعُه البرُ كله غير اللسان، فإنك تجد الرجل يكثر الصيام ويفطر علىٰ الحرام، ويقوم الليل ويشهد بالزور بالنهار - وذكر أشياء نحو هذا - ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق فيخالف ذلك عمله أبدًا)[1]. وقوله: (ما رأيتُ أحدًا لسانُه منه علىٰ بالٍ إلا رأيتُ ذلك صلاحًا في سائر عمله)[2].

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٩١.
(٢) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٤٦.

ومفاد هاتين الجملتين من كلامه أنَّ استقامة اللسان هي العمل الصالح الذي إذا تحقق في إنسان فإنه حتمًا ستصلُح سائر أعماله وستنتظم في مفهوم البر. وهذا لا يكون مزية إلا في استقامة اللسان، ولا يكون مزية لغيره من الأعمال الصالحة ولو بلغت الذروة في الفضل، ويصدقه قول رسولنا ﷺ فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإنَّ أعضاءه تُكفِّر اللسان؛ تقول: اتق الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[1].

وأعظم من هذا: استقامة القلب! فإنَّ الشريعة أناطت استقامة القلب باستقامة اللسان، وجعلتهما قرينين متلازمين، كما في حديث أنس بن مالك ﷺ يرفعه إلىٰ النبي ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتىٰ يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتىٰ يستقيم لسانه»[2]. وهذه الخلاصة المفاهيمية نطق بها غير واحد من السلف الصالح، قال الحسن البصري: (اللسان أميرُ البدن، فإذا جنىٰ علىٰ الأعضاء شيئًا جنت، وإذا عفَّ عفت). وقال يحيىٰ بن أبي كثير: (ما صلح منطقُ رجل إلّا عرفت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطقُ رجل قطُّ إلّا عرفت ذلك في سائر عمله)[3].

إنَّ من أهم مخرجات التربية الإسلامية: شاب طويل الصمت، كافٌّ لسانه عن قولة الحرام، متورع عن الحديث وقت الفتن، ولا يتكلم إلا بما يعنيه ويفيده، وإنَّ هذا السلوك الصالح سيورثه صلاحًا في سائر أعماله وجوارحه، بل صلاحًا ورقّة في قلبه، وإنَّ هذا السلوك الصالح سيعيد له ترتيب علاقاته وأوقاته.

ضبط الكلمات

أول واجب في تهذيب اللسان: كفه عن القول الحرام، إذ لا يصح من المسلم

(١) أخرجه أحمد ح ١١٩٠٨.
(٢) أخرجه أحمد ح ١٣٠٤٨.
(٣) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٤٦.

أنْ يعتاد لسانه الغيبة أو البهتان أو النميمة أو الكذب أو السخرية أو المجون أو ما فيه دلالة علىٰ معصية. وهذه أمور ظاهرٌ تحريمها، وهي مما يتوجب في الماجريات التربوية أنْ يستوقف المربي طلابه عند الولوغ فيها، وهي من آكد المفاهيم التربوية، وهكذا كان ﷺ يفعل، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكـذا، تعني قصيرة، فقال: لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته)[1].

ومن تهذيب اللسان: الامتناع عن فضول الكلام، وهو ما ليس له داعٍ وليس وراءه نفع، وقد نهىٰ عنه ابن مسعود ﷺ فقال: (حسب امرئ ما بلغ حاجته). أما النخعي فيرىٰ ذلك مُهلكًا للناس، فيقول: (يهلك الناس في فضول المال والكلام). هذا هو فهم السلف الصالح رحمهم الله في مسألة فضول الكلام، فلا غرو أنْ يمسك أبو بكر الصديق ﷺ لسانه ويقول: (هذا أوردني الموارد)[2]، أيْ المهالك.

وقد تفشىٰ في هذا الزمن الكلام فيما لا يعني، ذلك أنَّ وسائل الاتصال - أو سمِّها وسائل الكلام - بلغت الـذروة في سرعة نقل الأخبار والمعلومات وكثرتها وتنوّعها، وحينما ينغمر العقل بكل معطيات هذه الأخبار والمعلومات، فإنَّ اللسان يصعب عليه ألا يخوض فيها بتصدير المعلومات أو معالجتها.

أفلا يستحق شيء كهذا أن تكون له أولوية عليا في التربية الإسلامية؟

ألا يمثل هذا شطر صفات المسلم الحقيقي؟ وقد قال النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ح ٤٨٧٥.
(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٣٣٩.
(٣) أخرجه البخاري ح ١٠.

اللسان والفتن العامة

قال حذيفة بن اليمان ﷺ: (ما الخمر صِرفًا بأذهب لعقول الرجال من الفتن)[1]. والمقصود الفتن التي تتعلق بعموم الناس والمجتمعات، والتي قد ينتج عنها اقتتال وعداوات وخصومات بين المسلمين، والتي جاءت النصوص الشريفة بالحذر من الولوغ فيها.

ففي أزمنة الفتنة تقوم الألسن بالتهييج والإقناع والحوار والجدال من خلال الحديث التحليلي والتقييمي لأطراف الفتنة، هذا علىٰ مستوىٰ المجالس واللقاءات. أما علىٰ مستوىٰ القنوات الفضائية وشبكات التواصل، فتقوم الألسن بدور التلاعب بالعقول من خلال منتجة الأحاديث والأقاويل رقميًا، فتصيِّر الحق باطلًا والباطل حقًا، ويقع المتابع فريسة للتضليل الذي يستهدف عقله؛ كالخمرة، فيصطف مع طرف من أطراف الفتنة.

إنَّ مما ينبغي الاعتناء به في تربية الشباب أنْ يتعودوا سلوك الصمت حال الفتنة، وحال التباس الحق بالباطل؛ لأنها مواطن الخصومات وهدر المال والدم، حتىٰ لا تعلق في ذممهم شيء من هذه الخصومات الضبابية. كيف وقد ذم الله العجِلين في هذه المضايق فقال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٨٣]. وكما ترىٰ، فإنَّ القرآن هنا يبرز أهمية جانبي العلم والعقل معًا، وذلك بالرجوع إلىٰ من يملكهما وهم أهل العلم والمعرفة، وإلا فإنَّ خمرة التناول اللساني للأحداث العامة ستورث الهلكة بين الناس، وهذا يعني - بالتأكيد - وجوب الصمت إلىٰ حين تبيُّن الحق الناصع

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ح ٣٧٣٣٤.

من الباطل الواضح، وبعد ذلك يتخذ الفرد موقفه الشرعي. وقد عظَّم الله شأن هذا التناول اللساني في حادثة الإفك، فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور:١٥-١٧].

فواجب المربي أنْ يعتني بتهذيب اللسان وتربية القول السديد في طلابه، وأنْ يعظم أمر اللسان في وجدانهم، وأنْ يعوّدهم قول ما ينفع والصمت عما يضر ولا ينفع.

■ تربية الأخلاق والمروءات

كلنا يعلم أن الله سبحانه وتعالىٰ اختص جزيرة العرب بأنْ تنطلق الرسالة الخاتمة منها وأنْ يكونوا شهودًا علىٰ تنزّل الوحي، وقد وصف الله تعالىٰ الوحي بأنه ثقيل، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥]، وجعل العرب حينها أهلاً لهذا الحمل وهداةً للأمم إلىٰ الخير.

فما الذي اتصف به العرب آنذاك، والذي أفضىٰ إلىٰ تأهيلهم لحمل الرسالة وتحمّل التكاليف؟ إنه مكارم الأخلاق. ولذلك أُثر عن نبينا ﷺ أنه قال: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»[1]. وفي رواية: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]. أيْ أنَّ العرب لديهم أخلاق صالحة فبعث الله نبيه ﷺ ليتممها، بالتحسين والإكمال والتهذيب والتنقيح[3]. وكان رسول الله ﷺ في الذروة من مكارم الأخلاق والمروءات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

مكارم الأخلاق أسهمت في جعل العرب آنذاك أمة رسالة، وبدون تلك المكارم لا يصلحون لحمل الرسالة. وهذا يعني أنَّ رسالة محمد ﷺ وشريعة الله التي أنزلها علىٰ أمته تحتاج في حملها إلىٰ قاعدة أخلاقية من كريم الأخلاق، هذه القاعدة نستطيع أنْ نرفع عليها بنيان الشخصية الإسلامية القادرة علىٰ حمل الرسالة وفهم الشريعة وتطبيقها والدعوة إليها والفداء في سبيلها.

فما مكارم الأخلاق التي اتصف بها العرب، واعتبرها الشارع؟ إنها أفضلها وأعلاها وأحسنها، وهي المروءات والشيم وما يَشرف به الإنسان ويجعله ممدوحًا.

---

(١) أخرجه أحمد ح ٨٩٥٢.
(٢) أخرجها البيهقي في السنن الكبرى ح ٢٠٧٨٢.
(٣) انظر: المنتقى للباجي ٧/ ٢١٣.

من ذلك: الكرم، الذي أنفقوا لأجله طائل أموالهم، وتفاخروا به في أشعارهم، حتىٰ إنَّ تفاخرهم بالخمر وإقبالهم علىٰ الميسر اللذين حرمهما الإسلام فيما بعد، إنما هو لكونهما سبيلاً إلىٰ الكرم والسخاء وبذل المال للآخرين. يقول عنترة:

فإذا شـــربتُ فإننـــي مستهـــلكٌ مالـي وعـرضي وافرٌ لم يُكْلَـــمِ

وإذا صحوت فما أقصِّر عن ندىٰ وكما علمـــتَ شمائلي وتكـرمي

ومن ذلك: الوفاء بالعهد، فقد كان العهد دِينًا يدينون به، ويضحون لأجله بكل ما يمكن، ويعدُّون الغدر ونقض العهد سُبة تلازمهم حتىٰ الموت، بل تتعدىٰ ذلك فتلاحق نسلهم وذرياتهم. ومن الوفاء بالعهد: حفظ الجوار، ولو كان خصمًا لدودًا، ودخول رجل في جوار آخر يعني أنه يجب علىٰ الآخر الحفاظ عليه وحمايته والدفاع عنه كما يدفع عن ولده وأهله وكما يحفظهم. وهذه من مدائح العرب، ولا ينقضون العهد مهما كلف الثمن، ولو كلفهم قتل أولادهم أو سلب أموالهم، وقصصهم في ذلك معروفة ومشهورة.

ومن ذلك: عزة النفس ورفض الضيم وإباء الظلم. قال ربيعة بن مقروم يصف قومه مفاخرًا:

طوال الرماح غداة الصباح ذوو نجدة يمنعون الحريما

ومن ذلك: قوة العزيمة وثبات القلب والجدية في تحمل المسؤوليات، حتىٰ إنهم ليخاطرون بأرواحهم في سبيل مبادئهم.

ومن ذلك: التعفف وحفظ النفس من قالة السوء، وقد حكىٰ ابن الأثير في تاريخه[1]: أنَّ عبد المطلب خرج بابنه عبدالله ليزوجه، وذلك بعد حادثة فدائه

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٦١١.

بالجزور المائة، فمرَّ به علىٰ كاهنة، فرأت في وجهه نورًا، فقالت له: يا فتىٰ هل لك أنْ تقع عليَّ الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال لها عبد الله:

أما الحرامُ فالمماتُ دونَــه والحـلُّ لا حــلٌ فأستبيــنَه

فكيف بالأمــر الذي تبغينَه يحمي الكــريم عِرضَه ودينَه

وإنَّ تربية النشء علىٰ هذه المعاني يرتقي بنفوسهم وقيمهم إلىٰ المستوىٰ الذي يجعلهم قادرين علىٰ تحمل مسؤوليات الدين وتبعات التمسك بالإسلام، وعلىٰ الذروة من هذا كان أصحاب النبي ﷺ، فكانوا نعم الحاملين لراية الإسلام ونعم المتمسكين به ونعم الداعين له.

المروءات قاعدة التدين

قال الشاطبي: (واعلم أنَّ العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس، وكان لعقلائهم اعتناء بمكارم الأخلاق، واتصاف بمحاسن الشيم، فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه، وأبطلت ما هو باطل، وبيّنت منافع ما ينفع من ذلك، ومضار ما يضر منه. أما ما يرجع إلىٰ الاتصاف بمكارم الأخلاق وما ينضاف إليها، فهو أول ما خوطبوا به، وأكثر ما تجد ذلك في السور المكية، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل:٩٠]. وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١]. إلىٰ انقضاء تلك الخصال)[1]. ولذلك قال أنس بن مالك ﷺ: (ما خطَبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»)[2]. فتأمل اعتناء الإسلام بالمروءات ومكارم الأخلاق، إذ جعلها في المراتب العليا من التشريع.

---

(١) الموافقات ٢/ ١١٢.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٣٨٣.

فنحن إذن أمام نتيجة ظاهرة: أنه لا يحمل الدين إلا من كانت له قاعدة أخلاقية تؤهله للحمل الثقيل وتحمل مسؤوليات الدين وواجباته، وبالتالي فإنَّ علىٰ المربي أنْ يعتني بغرس المروءات والشيم والمراجل في الشباب ليكونوا أسرع إلىٰ حمل الرسالة وأهدىٰ سبيلًا وأكفَّ عن المعائب.

والاعتناء المطلوب بالمروءات يتم عن طريق التعليم والتلقين، وتدريس المروءات وأخلاق الأنبياء عليهم السلام وأخبار العرب وأشعارهم، ويتم عن طريق القدوة المشاهَدة بامتثال مكارم الأخلاق واجتناب سيئها، وعلو الهمة والنأي عن سفاسف الأمور وخوارم المروءة، ويتم عن طريق التوجيه في المواقف التعليمية والماجريات التربوية، فإنَّ هذا الأسلوب التربوي من أحسن الأساليب، وكثيرًا ما اعتنىٰ القرآن به.

إنَّ بناء القاعدة الأخلاقية من المروءات والشيم يعدُّ في الشريعة أولوية تربوية، صنعت فارقًا بين العرب والأمم الأخرىٰ آنذاك، وهذه – أعني المروءات والقاعدة الأخلاقية – هي جزء من الإجابة عن سؤال: كيف تكوَّن جيل الصحابة العظيم؟ وكيف تربوا؟

وغني عن القول بأنَّ المؤسسة التربوية التي تتعمد قتل المروءات وتتعمد تأنيث الجيل، إنما تقوم بجناية كبيرة علىٰ المجتمع، إذ هي بهذا تؤسس جيلًا لا يرعىٰ حرمة ولا يحفظ عهدًا ولا يحمي عرضًا ولا يستحي علىٰ نفسه، وهو بالمختصر الذي يتداوله العامة: لا يحمي الأرض ولا العرض؛ جيلًا يسهل تخريبه وغزوه واستعباده، بل وتسهل حيونته.

المروءات هي لبُّ الأخلاق، وهي روح الاجتماع، وهي أُس الصيانة وقاعدة الديانة.

■ تقوية الانتماء للإسلام

مفهوم الأمة مبني علىٰ أساس العقيدة الإسلامية، أي علىٰ التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ، ولذا فإنَّ النبي ﷺ في أول مقدمه إلىٰ المدينة مهاجرًا، هو وأصحابه المكيين، قال في الصحيفة المشهورة: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس»[1].

وكل من أقام التوحيد فهو من أمة الإسلام، وتربطنا به رابطة أقوىٰ من رابطة النسب، يقول الله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]. ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠]. قال الزجاج: (فأعلم الله عز وجل أنَّ الدين يجمعهم، وأنهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم، فرجعوا في الاتفاق في الدين إلىٰ أصل النسب لأنهم لآدم وحواء، ولو اختلفت أديانهم لافترقوا في النسب، وإنْ كان في الأصل أنهم لأب وأم، ألا ترىٰ أنه لا يرث الولد المؤمن الأب الكافر ولا الحميم المؤمن نسيبه الكافر)[2].

وقد جعل الله تعالىٰ الحب لأجله هو غاية التحاب وثمرة تحقيق الإيمان ودليل قوة الرابطة، قال نبينا ﷺ: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أنْ يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأنْ يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأنْ يكره أنْ يعود

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٠١.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٦.

في الكفر كما يكره أنْ يقذف في النار»[1]. ويدل الحديث أيضًا علىٰ أنه ينبغي أنْ تكون أعلىٰ محبوبات المؤمن هي ما يتعلق بدينه، لا بأرضه ولا بنسبه ولا بماله، لذلك توعّد الله من قدم هذه المحبوبات الدنيوية - وهي محبوبات مباحة - علىٰ محبة الله ورسوله ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٣-٢٤].

والقرآن بهذا يغذي الانتماء لأمة الإسلام، ويجعله أصلًا لما بعده من الانتماءات، ويبني عليه الولاء والبراء، وهو بهذا لا يلغي الانتماءات العرقية والجغرافية، ولكن يجعلها في مرتبة دون مرتبة الانتماء للأمة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣]. فتأمل كيف أعلىٰ الله سبحانه التقوىٰ علىٰ رابطة الشعب والقبيلة، لأن الأخيرتين لها وظائف وفوائد، لكنها لا تعلو علىٰ رابطة الدين.

والولاء والبراء أصل أصيل في عقيدة الإسلام، ونتيجة تلقائية للإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله. ومعناه وجوب محبة الله ورسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين وموالاتهم ونصرتهم ومواساتهم بغض النظر عن أعراقهم وأجناسهم وألوانهم، ووجوب بغض الكافرين والمشركين وأعداء الدين ومعاداتهم والتبرؤ منهم ومن أعمالهم وأخلاقهم ولو كانوا من قرابة الرجل ومن أرضه ولونه وجنسه.

---

(١) أخرجه البخاري ح ١٦، ومسلم ح ٤٣.

وعن ابن عباس ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «أوثق عرىٰ الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز وجل»[1]. فإذا كان المربي يريد تربية طلابه علىٰ الإيمان، فعليه أنْ يدرك أنَّ أوثق عرىٰ الإيمان تكمن في عقيدة الولاء والبراء.

فعلىٰ المربي أولًا أنْ يفقه الأبعاد الشرعية لهذا الانتماء، ثم عليه ثانيًا أنْ يغذي نفوس الطلاب به كما يريده الله ورسوله ﷺ بلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط.

ثمرة الانتماء الصحيح

وإذا كانت عقيدة الولاء والبراء عملًا قلبيًا يظهر أثره في السلوك والأعمال كالنصرة والمواساة وكالمعاداة والكراهية، فإنَّ ثمة ثمرات تنضج نتيجة لصحة هذه العقيدة.

فمنها تشكيل الهوية الإسلامية في صورتها الصحيحة، وإشباع الحاجة إليها، فإنها من أهم الحاجات التي تلح علىٰ نفس الإنسان وتدفعه إلىٰ إشباعها. ومنها الاستعلاء الإيماني والشعور بالأفضلية علىٰ الكافرين والمنافقين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]. ومنها الاعتزاز بالإسلام وعدم قبول الذل إلا لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨]. وقال تعالىٰ في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]. ومنها الكف عن التفاخر

(١) أخرجه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٢٥٣٩.

بالأنساب والأعراق والأعمال والأموال ونحو ذلك من الانتماءات لغير الدين، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء. مؤمن تقي وفاجر شقي. أنتم بنو آدم، وآدم من تراب. ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم؛ أو ليكونن أهون علىٰ الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»[1].

الكفر أكبر جريمة

ومما ينبغي أنْ يعيه طلابنا أنَّ الكفر هو أكبر جريمة، وأنَّ الشرك أعظم ظلم يقع في الأرض، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠]. وقال تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن:٤١-٤٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة وعظيمة.

ولأجل هذا يتوجب علىٰ المؤمن أنْ يكره الكفار والمشركين والمنافقين، لأنهم مجرمون وظالمون، ذلك أنهم اعتدوا علىٰ حق الله تعالىٰ في الألوهية والربوبية وأنكروا أسماءه وصفاته وجحدوا نعمته وأفضاله، ورفضوا أمره ونهيه وساووا به غيره من المخلوقين، فأي جريمة أكبر من هذا وأي ظلم أعظم من هذا! ولا يشفع للكافر حسن خلقه وطيب فعاله في الناس وما يقدمه لهم من نفع فيجعلنا نحبه، لأنه وإنْ كان كذلك فإنَّ وصف الجريمة والظلم يقع عليه، وقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عبد الله بن جدعان، فقالت: يا رسول الله، ابنُ

---

(١) أخرجه أبو داود ح ٥١١٦.

جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[1].

لكن الله تعالىٰ أذن في البر والإحسان إلىٰ الكافر المسالم الذي لا يعتدي علىٰ المؤمنين ولا يطغىٰ عليهم، برًا وإحسانًا دالين علىٰ سمو أخلاق المؤمن، بشرط ألا تنقلب إلىٰ موالاة ونصرة، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨-٩]. وينبغي تنظيم العلاقات والتصورات بناء علىٰ هذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث الموضحة لعلاقتنا بالكافر، ونقاط الالتقاء والافتراق فيها. وهذا ما ينبغي علىٰ الطلاب أنْ يدركوه ويفهموه، لا سيما في عصر الانفتاح وامتزاج الثقافات، كيلا يقعوا في مزلق موالاة الكافرين، أو مزلق الاعتداء علىٰ المسالمين.

والمربي الجيد يغرس مفهوم الانتماء للإسلام بأحسن الطرق وأيسرها علىٰ ذهن الطالب ووجدانه، ويتدرج في ذلك حتىٰ لا يقع الطالب في المزالق المترتبة علىٰ عدم الوضوح، وهو كذلك يترفق في تصحيح السلوكيات والتصورات الخاطئة لهذا المفهوم، ويقيم الميزان الحق فلا يغلو ولا يجفو، ولا يفْرِط ولا يفَرِّط.

---

(١) أخرجه مسلم ح ٢١٤.

■ تنمية الصِّلات الاجتماعية

النكاح عماد البيوت، به تشاد وتعلو، وبه تنبت الفروع من الأولاد والأحفاد، ثم تبنىٰ عليه ألوان المصاهرة، ومنه تنطلق جسور الصلة للقرابة والجيران.

وقد أحكم الله هذا النظام بما لا يستطيع البشر أنْ يأتوا بمثل بعضه إلىٰ قيام الساعة.

ومما أحكمه الله تعالىٰ البر بالوالدين وصلة الرحم القريبة والإحسان إلىٰ الجار، وينبغي أنْ تتنشأ الأجيال الجديدة علىٰ هذه المعاني، لا سيما ونحن في عصر طغت فيه الفردانية والأنا، واشتغل معظم الناس بمعاشهم عن هذه الواجبات الكبرىٰ. وهنا يأتي دور المربي الذي يعيد للبر إِحكامه وللصلة وهجها وللإحسان رونقه.

البر ثمرة التربية

لقد قرن الله تعالىٰ بر الوالدين بتوحيده في كتابه في غير موضع، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

ولعلَّ من أسرار هذا الاقتران، وهو إحدىٰ الحكم في الإعلاء من شأن الإحسان إلىٰ الوالدين، أنه مفضٍ إلىٰ تجريد التوحيد في قلب الولد، إذ كثيرًا ما تتعارض أهواء القلب ومحبوباته ومراداته مع الانشغال ببر الوالدين، فإذا غلَّب الولد جانب البر علىٰ أهوائه ومحبوباته ومراداته دون مكاسب آنية أو مادية يتحصل عليها، ولم يفعل ذلك إلا لِما ترسخ في قلبه من عِظم حق الوالد عليه وأنه من رضا الله تعالىٰ تطهر قلبه

وخلص لله تعالىٰ، وأصبح قلبًا سليمًا خاليًا إلا من محبوبات الله تعالىٰ ومراضيه؛ وهذه حقيقة التوحيد وجوهره ولبه وخلاصته؛ فإذا كان كذلك استنار قلبه بأنوار التوحيد وتنزلت عليه شآبيب الرضا الإلهي وأزهرت فيه مرابع البركات.

وهذا - والله أعلم - ما جعل القرآن المكي يؤكد في أحلك ظروف الصراع بين المؤمنين والمشركين من قريش علىٰ مسألة بر الوالدين، إذ يعاني شباب الدعوة حينها من هجر والديهم وقسوتهم عليهم وتعذيبهم ليردوهم عن دينهم، فتتنزل الآيات الكريمة موصية بحق الوالدين، وانظر - دليلًا علىٰ ذلك - سورة العنكبوت التي افتتحت بالحديث عن الابتلاء، والتي نزلت في أواخر العهد المكي حيث بلغ الصراع أوجه، فقد أتبعت الحديث عن الابتلاء بالوصية بالوالدين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. هنا يتجلىٰ الأثر التربوي لهذه الوصية، إذ يحسن الأبناء إلىٰ والديهم رغم اختلاف الدين، ورغم المعاناة؛ طاعة لله وحده.. تربية علىٰ التجرد والإخلاص.

وقد كان سلفنا وعلماؤنا علىٰ هذا الاعتناء بشأن الوالدين، قال ابن عساكر: (استأذنْتُ أمي في الرحلة إليها، فما أذِنَت)[1]. وهذا الحافظ المتقن - كما يصفه الذهبي - أحمد بن علي الأبَّار، استأذن أمه في الرحلة إلىٰ قتيبة، فلم تأذن له، ثم ماتت، فخرج إلىٰ خراسان، ثم وصل إلىٰ بلخ وقد مات قتيبة، فكانوا يعزُّونه علىٰ هذا، فقال: هذا ثمرة العلم، إني اخترت رضىٰ الوالدة[2]. وقال الحسن بن سفيان: (إنما فاتني يحيىٰ بن يحيىٰ بالوالدة؛ لم تدعني أخرج إليه، فعوضني الله بأبي خالد الفرَّاء، وكان أسند من يحيىٰ بن يحيىٰ)[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٦٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤٣.

(٣) المصدر السابق ١٤/ ١٥٨.

فينبغي علىٰ المربين أنْ يعلموا طلابهم: أنَّ طاعة الوالدين لا يفوت معها شيء من النفل والفضل، وإنما تحصل بها البركة والعوض في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة. وما أوردته من آثار سلفنا الصالح المبارك لا يعني ترك التعلّم أو ترك التعليم والتربية لأجل طاعة الوالدين أو أحدهما، وإنما ترك إجراء من الإجراءات لأجل طاعتهما أو أحدهما، ولا يزال أصل التعلم والتعليم واجبًا دائمًا، وممكنًا كذلك. أقول هذا حتىٰ لا يلتبس الأمر، وعلىٰ هذا كان سلفنا الصالح؛ فهم يمتنعون من إجراء ما لتعارض هذا الإجراء مع طاعة الوالدين أو أحدهما، ولم يمتنعوا من أصل المسألة.

إنَّ بر الوالدين لا يقتضي عبادتهما، وإنما طاعتهما في المعروف وإجلالهما واحترامهما، ولذلك قال الله تعالىٰ وهو يوصي بالإحسان إليهما: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٨].

والبر هو ثمرة التربية الأخلاقية، ومعيار نجاحها، قال يونس بن عبيد: (كانوا يرجون للرَّهِقِ بالبرِّ الجنةَ، ويخافون علىٰ المتألِّهِ بالعقوقِ النار)[1]. والرهِقُ هو من يغشىٰ المحارم وتخفُّ نفسه إليها وتخف إلىٰ الجهالة والرعونة والخُبث، والمتألهُ الطائع لله المخبت المتنسك.

والمعنىٰ أنهم كانوا يعدُّون برَّ الوالدين حسنة لا يغلبها في الميزان غشيان المحارم، وأنَّ عقوق الوالدين سيئة لا يغلبها في الميزان كثرة الطاعات، وأنهم كانوا يرجون لمن عُرف بالمعصية أنْ يتغمده الله برحمته ويدخله الجنة إذا كان بارًا بوالديه، ويخشون علىٰ من عُرف بالاستقامة والتعبد والتأله أنْ يعاقبه الله ويسخط

(١) مكارم الأخلاق ص ٧٢.

عليه ويدخله نار جهنم إذا كان عاقًا لهما، وكما تدل مسألة البر علىٰ الصلاح والفساد، فكذلك تدلُّ توجيهات المربين للطلاب - حيال مواقفهم مع الآباء والأمهات - علىٰ وضوح التصورات التربوية لديهم.

ويحتاج الطلاب إلىٰ التدرُّب علىٰ مهارات بر الوالدين، لأنَّ كثيرين من البنين والبنات يودون أنْ يكونوا بارين بوالديهم ولكنهم يخفقون، وأحيانًا يكررون إخفاقاتهم إلىٰ درجة الإحباط أو الوصول إلىٰ مرحلة ضعف تقدير الذات، مما يضطرهم إلىٰ الاستسلام له، أو الاقتناع بأنَّ الوالدين لا يساعدان علىٰ برهما فلا يستحقانه! أو هكذا يفكر بعضهم. وتتزامن إشكاليات هذين الأمرين مع تدني مستوىٰ الخوف من الله وتعظيم أمره ونهيه في النفوس.

وقد تبدو هذه النقطة تافهة، لكنها في الواقع أصل كثير من المشاكل في البيوت، أيْ أن ثمة فجوة في التواصل بين الوالِدين وأولادهم تتولد عنها المشكلات وبعض الانحرافات من الطرفين، وعليه فنحن معنيون بتدريب الطلاب علىٰ:

- مهارات التحدث والإنصات إلىٰ الوالدين تحديدًا.
- مهارات تتعلق باستيعاب طريقة الوالدين في الحياة (علاقاتهم وأفكارهم نمط معيشتهم..).
- مهارات تتعلق بتكوين صورة إيجابية وإثبات الذات أمام الوالدين.

الصلات المباركة

عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أنْ يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه»[1]. وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال:

(١) أخرجه البخاري ح ٢٠٧٦ ومسلم ح ٢٥٥٧.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: أنا الرحمن، وهي الرحم؛ شققت لها اسمًا من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته»[1].

وقد كان أهل العلم يتواصون بذلك، ويوصون طلابهم وأولادهم، وجاء في نصيحة أبي الوليد الباجي لولديه: (ثم عليكما بمواصلة بني أعمامكما وأهل بيتكما، والإكرام لهم، والمواصلة لكبيرهم وصغيرهم، والمشاركة لهم بالمال والحال، والمثابرة علىٰ مهاداتهم، والمتابعة لزيارتهم، والتعاهد لأمورهم، والبر لكبيرهم، والإشفاق علىٰ صغيرهم، والحرص علىٰ نماء مال غنيهم، والحفظ لعيبهم، والقيام بحوائجهم دون اقتضاء لمجازاة ولا انتظار مقارضة، فإنَّ ذلك مما تسودان به في عشيرتكما وتعظمان به عند أهل بيتكما، وَصِلا رحمكما وإنْ ضعُف سببها، وقربا ما بعد منها، واجتهدا في القيام بحقها، وإياكما والتضييع لها، وهذا مما يشرف به ملتزمه، ويعظم عند الناس معظِّمه، وما علمتُ أهل بيت تقاطعوا وتدابروا إلا هلكوا وانقرضوا، ولا علمت أهل بيت تواصلوا وتعاطفوا إلا نموا وكثروا وبورك لهم فيما حاولوا)[2].

ومما ينبغي تعليمه والتربية عليه الإحسان إلىٰ الجار، لقول النبي ﷺ: «ما زال يوصيني جبريل بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه»[3]. ولحديث أبي شريح العدوي ﷺ قال: سمعتْ أذناي وأبصرتْ عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[4].

وقد فهم أصحاب النبي ﷺ أنَّ الإحسان إلىٰ الجار علامة علىٰ صلاح الإنسان، وطريق إليه، لذلك اشتدت عنايتهم بالإحسان إلىٰ الجار، قال عمر بن الخطاب ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود ح ١٦٩٤.
(٢) النصيحة الولدية ص ٢٧.
(٣) أخرجه البخاري ح ٦٠٢١.
(٤) أخرجه البخاري ح ٦٠٢٤ ومسلم ح ٤٧.

(إذا حمد الرجلَ جارُه وذو قرابته ورفيقُه، فلا تشكُّوا في صلاحه)[1]. وهكذا فهم علماء الإسلام أنَّ الإساءة إلىٰ الجار وإلىٰ ذوي القرابة تعد من أسوأ الذنوب وأكثر المعاصي التي يبغضها الله تعالىٰ.

والصلة لا تقتصر علىٰ الزيارة والسلام فقط، بل هي أعظم وأشمل، فالتكافل صلة، والهدية صلة، والصدقة علىٰ القريب الفقير صدقة وصلة، والدفاع عنهم صلة، وذب غيبتهم صلة، وأمرهم بالمعروف صلة، ونهيهم عن المنكر صلة، وحل مشكلاتهم صلة، وضروب الصلة كثيرة.

والتربية الإسلامية تهدف إلىٰ تعبئة الشخصية المسلمة بالأخلاق الكريمة وما فوق ذلك من وجوه الإحسان إلىٰ الوالدين والأقارب والجيران ومن لهم صلة بنا، فلا يكون المؤمن مؤذيًا لمن هم أحق الناس بصحبته، تلك وصية الله لأهل الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

ومما ينبغي تربية الطلاب عليه أنَّ البيوت التي أقيمت علىٰ شريعة النكاح يجب المحافظة عليها ورعايتها وتنميتها والصبر في سبيل بقائها قوية متماسكة، لأنها الوحدة التي تتألف منها الأمة، وبقوتها تقوىٰ الأمة، وبتماسكها ترتقي الأمة، ولأنَّ هذه البيوت تتعرض لطوفان ثقافي عارم يهدف إلىٰ تمزيقها وتفريق أهاليها؛ فإنَّ علىٰ المربين أنْ يكونوا علىٰ يقظة من ذلك، ومعالجة المواقف مستحضرين مقاصد الشريعة من البناء الاجتماعي للبيت المسلم، وفقهه وأحكامه.

---

(١) شرح السنة ١٣/ ٧٣.

الدائرة الرابعة

معالم الرشاد العطائية والإيجابية

■ تعزيز الفاعلية

تعدُّ القوة مظهرًا مهمًا من مظاهر الصلاح في الإنسان، لذلك قالت أخت مدين: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]. والفاعلية هنا تمثل جانب القدرات والإمكانات الجسدية والعقلية والمهارات العملية، وهو الجانب الذي يجعل الإنسان قادرًا علىٰ إتقان عمله وتجويده وتحسينه، بينما تمثل الأمانة جانب القيم والضمير والوجدان الذي يوجِّه هذه القوة في الاتجاه الصحيح ويجعل منها شيئًا مرضيًا مقبولًا في السماء وفي الأرض. قال الزمخشري: (وقولها إنَّ خير من استأجرت القوي الأمين كلامٌ حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة، في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك)[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرصْ علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإنْ أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان»[2]. فعلىٰ محاضن التربية أنْ تبذل جهدها في تكميل جانب القوة لدىٰ الطلاب كما تبذل جهدها في تكميل جانب الأمانة

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٣.
(٢) أخرجه مسلم ح ٢٦٦٤.

والديانة لديهم، لأنهما جانبان مكملان لبعضهما، وإهمال جانب القوة والفاعلية في التربية مسلك مُحْدث، لم يعرفه جيل الصحابة ﷺ ولا فقهاء التربية الإسلامية، وإنما نشأ نتيجة عوامل متعددة منها - علىٰ سبيل المثال - تغلغل الفكر الصوفي في المجتمعات، والذي يؤسس بناء الإنسان علىٰ السلبية والضعف؛ متأثرًا بمقالة الجبرية، ومن هنا دبَّ الضعف في الأمة، حيث أصبح الفرد مجرد ريشة في مهب الريح، تقلبه يمنة ويسرة. وإنما قوة الأمة انعكاس لقوة أفرادها، فيتوجب علىٰ المحاضن التربوية أنْ تبني الأفراد الأقوياء الفاعليين والإيجابيين الذين يملكون المهارات ويستثمرون المواهب والقدرات لدينهم وأمتهم.

ضرورة الجوانب العملية

لتخريج طلاب فاعلين وإيجابيين ومؤثرين لا بد من إدراج واجبات عملية يقوم بها الطلاب ضمن الخطة التربوية، فلا يكتفىٰ بتلقين الطلاب وإلقاء الدروس وتدريس المفاهيم، ذلك أنَّ الواجبات العملية المضمنة في خططنا التربوية ستساعد بشكل كبير علىٰ توضيح المفاهيم؛ لكونها ممارسة ونشاطًا، ولتربية الطلاب علىٰ الفاعلية والإيجابية في حياتهم وفي مجتمعاتهم، ولتربيتهم علىٰ جوانب المسؤولية فيما يوكل إليهم من أعمال. عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ (أنَّ النبي ﷺ قال له: أُمَّ قومك. قال: قلت: يا رسول الله، إني أجد في نفسي شيئًا. قال: ادنه. فجلسني بين يديه، ثم وضع كفه في صدري بين ثديي، ثم قال: تحول. فوضعها في ظهري بين كتفي، ثم قال: أُمَّ قومك، فمن أَمَّ قومًا فليخفف؛ فإنَّ فيهم الكبير، وإنَّ فيهم المريض، وإنَّ فيهم الضعيف، وإنَّ فيهم ذا الحاجة، وإذا صلىٰ أحدكم وحده فليصل كيف شاء)[1]. واستعمل النبي ﷺ عتَّاب بن أسيد علىٰ مكة، وقال له: تدري علىٰ

(١) أخرجه مسلم ح ٤٦٨.

من استعملتك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: استعملتك علىٰ أهل الله[1]. وكلَّف النبي ﷺ مالك بن الحويرث ورفاقه بعدد من المهام، قال مالك ﷺ: (أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلَنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه - وكان رفيقًا رحيمًا -. فقال: ارجعوا إلىٰ أهليكم، فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم)[2].

وكانت توجيهات النبي ﷺ تنحىٰ نحو الفاعلية والعمل والإسهام، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»[3]. وعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أنْ تلقىٰ أخاك بوجه طلق»[4].

وغالب باب فروض الكفايات تصب في معنىٰ الفاعلية، والعمل عليها يقوي الأفراد والأمة، فكان لزامًا أنْ ينشأ الطلاب علىٰ ذلك.

التنوع مفتاح الفاعلية

التنوع سنة كونية، أوجدها الله في البشر والحجر والشجر وفي سائر مخلوقاته، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٧-٢٨].

---

(١) الطبقات الكبير ٥/ ٤٤٦.
(٢) أخرجه البخاري ح ٦٠١٤.
(٣) أخرجه البخاري ح ٣٤٦١.
(٤) أخرجه مسلم ح ٢٦٢٦.

وحين تطالع سِيَر أصحاب رسول الله ﷺ فإنك تجدهم مشارب شتىٰ وشخصيات متنوعة، فلم يكونوا علىٰ هيئة واحدة، ولا علىٰ اهتمام واحد، ولا علىٰ عمل واحد. كانوا ﷺ يتنوعون في الأعمال الصالحة التي تقربهم من الله، ويتنوعون في طرق معاشهم، ويتنوعون في فروض الكفايات التي يقدمونها للصالح العام. وكان النبي ﷺ يدعم هذا التنوع بتوجيهاته المتنوعة التي كانت تناسب حال السائل أو المستفيد من هذا التوجيه. ومن توجيهاته ﷺ الجامعة في ذلك قوله: «اعملوا فكل ميَّسرٌ لما خلق له»[1]. وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينًا؛ وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[2].

وإذا كان في أصحاب النبي ﷺ شخصيات فذة، فإنَّ هذا لا يعني أنَّ الباقين كانوا هملًا؛ حاشاهم، فكل واحد كان يقوم بواجبه ومسؤوليته تجاه دينه وأمته، وعلىٰ هذا النحو انساحت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها فكانت خير أمة أخرجت للناس.

ومن حكمة الله في تنوع الناس في قواهم وقدراتهم: التكامل والشمول اللذان يتوافران مع التنوع، ومنها أنَّ طبيعة فروض الكفايات الاختلاف والتنوع فيتيسر للإنسان القيام بواجبه فيها حسب قدرته.

وواجب المربي هنا أنْ يراعي مسألة التنوع في الطاقات والقدرات، ليستطيع كل طالب فيما بعد أنْ يقوم بأدواره الصحيحة كما ينبغي ووفقًا لحاجات الأمة المتنوعة، فتكون البداية من المحضن التربوي، ثم تمتد إلىٰ فضاء الأمة الرحب.

---

(١) أخرجه مسلم ح ٢٦٤٧.
(٢) أخرجه الترمذي ح ٣٧٩١.

أدوار مهمة في تعزيز الفاعلية

أولًا: الاكتشاف.

أول دور هو السعي لرسم صورة نظرية للطالب؛ تتضح فيها معالم شخصيته ومحدداتها وميولها وذكاءاتها، وتعريفه بها، ويكون ذلك وفق معايير ومقاييس علمية. وتمثل شطر الإجابة عن السؤال الكبير للطالب: من أنا؟ قال الماوردي: (وإذا كان العالِم في توسم المتعلمين بهذه الصفة، وكان بقدر استحقاقهم خبيرًا؛ لم يضِع له عناء، ولم يخِب علىٰ يديه صاحب. وإنْ لم يتوسمهم وخفيت عليه أحوالهم ومبلغ استحقاقهم كانوا وإياه في عناء مُكْدٍ، وتعب غير مُجْدٍ)[1].

ثانيًا: التجريب.

وهو التكليف بالأعمال وفقًا لمسار القدرات الكامنة في الطالب، وملاحظته في ذلك، فلعلَّ الله يفتح عليه ما لم يفتح علىٰ غيره.

والطالب بحاجة إلىٰ مناخ تربوي محفزٍ وآمن، يستطيع أنْ يجرِّب إمكاناته وقدراته دون لوم أو تقريع، وبهذا فإنَّ الطالب يتوجه تلقائيًا – إلىٰ حدٍّ كبير – مع بوصلته الصحيحة؛ إذا كان اختياره حرًا مجردًا من الضغوط. يحكي عبد الله بن مسعود ﷺ قصته مع النبي ﷺ وأبي بكر حين كان يرعىٰ الغنم لعقبة بن أبي معيط، وفيها أنه قال للنبي ﷺ: علمني من هذا القول. فقال النبي ﷺ : «إنك غلام معلَّم». قال: فأخذت من فِيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد[2].

ثالثًا: التوجيه.

قال ابن القيم: (ومما ينبغي: أنْ يعتمد حال الصبي وما هو مستعدٌ له من الأعمال

(١) أدب الدنيا والدين ص ٦٦.
(٢) الطبقات الكبير ٣/ ١٣٩.

ومهيأٌ له منها فيعلم أنه مخلوق له، فلا يحمله علىٰ غيره ما كان مأذونًا فيه شرعًا، فإنه إنْ حمله علىٰ غير ما هو مستعدٌ له لم يفلح فيه، وفاتَهُ ما هو مهيأٌ له.

فإذا رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعيًا، فهذه من علامات قبوله وتهيُّئِهِ للعلم، لينقشه في لوح قلبه ما دام خاليًا، فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه.

وإنْ رآه بخلاف ذلك مِن كل وجه، وهو مستعدٌ للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح، وأنه لا نفاذ له في العلم ولم يُخلَق له؛ مكَّنه من أسباب الفروسية والتمرُّن عليها، فإنه أنفع له وللمسلمين.

وإنْ رآه بخلاف ذلك وأنه لم يُخلَق لذلك، ورأىٰ عينه مفتوحة إلىٰ صنعة من الصنائع مستعدًا لها قابلًا لها، وهي صناعة مباحة نافعة للناس؛ فليمكنه منها.

هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه، فإنَّ ذلك ميسر علىٰ كل أحد لتقوم حجة الله علىٰ العبد، فإنَّ له علىٰ عباده الحجة البالغة كما له عليهم النعمة السابغة، والله أعلم)[1].

وهذا التفصيل من ابن القيم يمكن الإضافة عليه في كل عصر بما فيه من المعطيات المتعلقة باتجاهات العمل في الحياة، والمقصود أنَّ دور المربي هنا هو التوجيه، أيْ أنْ يحافظ علىٰ بوصلة الأهداف لا علىٰ الخطوات والإجراءات، والتوجيه بهذا المعنىٰ يعطي الطالب حرية الحركة، وفي نفس الوقت يؤمنه من الانحراف، حيث يؤطِّر المربي هذه المسارات، فإذا ما حاد الطالب عن مجموعها وأصبح خارج مربع الاجتهادات السائغة؛ فإنَّ دور المعلم التوجيهي الرفيق سيكون له تأثير إيجابي في بناء فاعلية الطالب وتنميتها.

---

(١) تحفة المودود ص ٢٤٤.

■ تحسين إدارة الحياة اليومية

من أهم وظائف التربية الإسلامية: تحويل الأجيال الجديدة إلىٰ عناصر منتجة وفاعلة، بحيث تستطيع أنْ تتفاعل مع واقعها بشكلٍ إيجابي، وأنْ تكون الأشياء من حولها مساعدة لها علىٰ النجاح في شؤون حياتها. وهذا مقتضىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

فإذا كانت هذه الموجودات هي في خدمة الإنسان، فإنَّ وظيفة المربي هي تربية الطلاب علىٰ حسن إدارة هذه الموجودات المسخرة لهم، حتىٰ تكون الحياة لله تعالىٰ.

وإنَّ الجيل الجديد يحتاج إلىٰ تعلُّم أربع مهارات تتعلق بإدارة شؤونه، وهي علاقته بالمسجد، وإدارة حياته المنزلية، وإدارة واجباته المدرسية، وإدارة وقته الذي يقضيه مع التقنية.

العلاقة بالمسجد

يمثل المسجد مركزًا مهمًا في حياة المسلم، فهو موطن الصلوات الخمس ذات الأوقات المتنوعة بالليل والنهار، وهو المكان الذي يجتمع الناس فيه لصلاة الجمعة، وفيه تقام صلاة الجنازة، ومنه انطلقت حلق العلم ومجالس القضاء

وكتائب الفتح، وإليه أوىٰ الفقراء والمساكين والمهاجرون، وفيه يبحث المظلوم عن حقه والمنكوب عن نجدته، وذلك فضلًا عن كونه مستراح العابدين ومضافة التلَّائين لكتاب الله ومحراب المعتكفين.

وأهم واجب علىٰ المسلم يتعلق بالمساجد إقامة الصلوات الخمس فيها، وهي شعار إيمانه وامتحان صدقه، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (من سره أنْ يلقىٰ الله غدًا مسلمًا فليحافظ علىٰ هؤلاء الصلوات حيث ينادىٰ بهن، فإنَّ الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدىٰ، وإنهن من سنن الهدىٰ. ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم. وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلىٰ مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتُنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتىٰ به يُهادىٰ بين الرجلين حتىٰ يقام في الصف)[1].

ومما ينبغي أنْ يعيه الطلاب تجاه المسجد أمور، من أهمها:

- محورية المحافظة علىٰ صلاة الجماعة بوصفها شعارًا للمؤمن ومطهرة له من النفاق.

- الأحكام الشرعية المتعلقة بالمسجد: صلاة الجماعة، حرمة المساجد، أدب المساجد.

- دور المسجد في تنمية المجتمع وتقوية الأمة.

ومما ينبغي تربية الطلاب عليه وتعوديهم وتنميته فيهم تجاه المسجد:

- التبكير إلىٰ الصلاة المفروضة في المسجد.

- تقديم مبادرات في صيانة المسجد والمحافظة عليه.

---

(١) أخرجه مسلم ح ٣٥٣.

- التأدب بالآداب الشرعية داخل المسجد.

- الجلوس في المسجد زيادة عن أوقات إقامة الصلاة لذكر الله وتلاوة القرآن.

- إدارة الوقت بحيث تكون الصلاة المفروضة في المسجد هي المحور.

- تفريغ بعض الأوقات للخلوة بالله في المسجد. قال الشعبي رحمه الله: (كانوا إذا فرغوا من شيء أتَوا المساجد)[1].

- التبكير جدًا لصلاة الجمعة.

ويستعمل المربي الطرائق المختلفة والأساليب المتنوعة والمتدرجة بغرض تحقيق هذا الهدف التربوي العظيم، ويكون قدوة لطلابه بأنْ يبدأ بنفسه فيصحح علاقته بالمسجد.

إدارة الحياة المنزلية

في البيت يقضي الطالب جزءًا كبيرًا من حياته، فينام فيه، ويأكل فيه، ويمثل البيت بيئة رئيسية في حياته. وهذه البيئة تشتمل علىٰ شبكة من العلاقات والمهام والوظائف، والتي من الواجب لاستمرار الحياة - المنسجمة علىٰ الأقل - أنْ يتقنها الطالب.

وعلىٰ رأس هذه العلاقات: علاقة الطالب بوالديه، حيث أحكم الله سبحانه بر الوالدين كما سبق، ثم يأتي بعد ذلك في العلاقات الأسرية: علاقات الإخوة والأخوات والأجداد.

ومن المهام التي يجب تدريب الطلاب عليها:

---

(١) شعب الإيمان رقم ٢٦٩٠.

- إدارة الوقت المنزلي: كيف يقضي الطالب الوقت في البيت؟
- إدارة الواجبات والحقوق الأسرية والمنزلية.
- إدارة المسؤوليات الأسرية والمنزلية.
- إدارة العلاقات في البيت: الحب، المشاكل، التفاهم، القيم الاجتماعية.

إدارة الواجبات المدرسية

الدراسة إحدىٰ المهام المحورية في حياة الطلاب، وتتطلب قدرة علىٰ النجاح في نتائجها، ذلك أنَّ عددًا من المشكلات تكتنف مسألة الدراسة، كالفجوة بين سوق العمل والدراسة، والفجوة بين قيم المدرسة وقيم الإعلام، والفجوة بين متطلبات الدراسة وسطوة الترفيه... إلخ، وهناك مشكلات من نوع آخر تتعلق بالمهارات التعلُّمية، كالاستيعاب والتحصيل والحفظ وغيرها. وهنا يتوجب علىٰ محاضن التربية أنْ تسهم في تدريب الطلاب علىٰ إدارة هذه المنظومة الدراسية، ومن ذلك:

- تدريبهم علىٰ مهارات الاستفادة من الحصة الدراسية: الاستماع، التقييد، السؤال، الإجابة...
- تدريبهم علىٰ المهارات التحصيلية: التلخيص، التحليل، المذاكرة، الحفظ...
- تدريبهم علىٰ إدارة العلاقات المدرسية: المعلم، الزملاء، الإدارة، مجموعات التواصل الافتراضية...
- مساعدتهم علىٰ اتخاذ قرار التخصص الثانوي، ثم التخصص الجامعي.
- تدريبهم علىٰ طرق التعامل مع السلوكيات المنحرفة: العدوانية، الغش...

وهنا يمكن طرح السؤال التالي: هل يمكن للمحاضن التربوية أنْ تستفيد من وجود الإرشاد الطلابي في المدارس؟ أو أنْ تستثمر فيه؟ أو أنْ يكون أحد معطياتها في التخطيط التربوي؟

التعامل الأمثل مع التقنية

تمثّل التقنية اليوم مكونًا رئيسيًا لشخصيات الجيل الجديد، ويقضون مع أجهزتها نفيس الأوقات يوميًا، فهي توفر لهم ثلاثة مطالب ذات أهمية: الترفيه، والتواصل مع الآخرين، والمعرفة. ومن خلالها يتحصلون علىٰ دفء العاطفة وامتصاص الانفعالات وتفريغ الشحنات وإثبات الذات، وأحيانًا صناعة الطموح.

لكن طبيعة التقنية أنها ليست منظمة، كما أنها ليست إيجابية في كل تفاصيلها، وهذا سيجعل الطلاب في مهب الأفكار والعلاقات والمعارف المذمومة. لذلك ينبغي للمربين أنْ يضطلعوا بالواجبات التالية:

- تدريب الطلاب علىٰ الإدارة الحسنة لحساباتهم علىٰ مواقع التواصل الاجتماعي (العلاقات، المعلومات، المشاركات).
- تدريبهم علىٰ التوازن بين واجبات الحياة المختلفة والعيش في الحياة التقنية.
- تعريفهم بالجوانب القانونية والأمنية المتعلقة بالتقنية.
- تدريبهم علىٰ الطرق الصحيحة في التعامل مع الاعتداءات الإلكترونية.
- بناء منهجية تفكير جيدة لتحصينهم من التضليل الإلكتروني للمفاهيم، ولاستثمار أفضل للتقنية.
- تدريبهم علىٰ الإيجابية في المجال الإلكتروني.

وفي الواقع لا أتحدث عن مجرد إقناع الطلاب بأهمية الموضوعات أعلاه، بل أتحدث عن المهارات والإجابة عن سؤال: كيف أفعل؟

اختبر استيعابك

أولاً: أجب بـ(√) أو (×) أمام العبارات الآتية:

م	العبارة	التقييم
١	تربية الإخبات تعين المتربي علىٰ تعظيم شعائر الله والانكسار له.	
٢	لا فرق في التربية الإسلامية بين بناء العقل وتصحيح التصورات.	
٣	من أدوار التربية الاجتماعية تهذيب اللسان وتقوية الانتماء للمجتمع الإسلامي.	
٤	الاستهداء بالقرآن من معالم الرشاد العقلي.	
٥	تعزيز الفاعلية في الدائرة العطائية يقتصر علىٰ إلقاء الدروس النظرية.	

ثانياً: اختر الإجابة الصحيحة من الخيارات الآتية:

١. معنىٰ «الإخبات» في السياق التربوي:

أ) إضعاف الإرادة.

ب) الاستسلام للقدر.

ج) التواضع لله والانكسار له مع حضور القلب.

د) ترك العمل خوف الرياء.

٢. بناء العقل المفكر يبدأ بـ:

أ) حرية التفكير.

ب) تحليل المعلومات بدون مراجعة.

ج) تنمية مهارات الاستدلال والربط والتأمل.

د) تقليد السابقين دون نقاش.

٣. المقصود بالدائرة الاجتماعية في الرشاد:

أ) تحسين الوضع الاقتصادي.

ب) تنمية روح الفريق وبناء الخلق والانتماء.

ج) الاهتمام بالثقافة العامة فقط.

د) تدريس المواد النظامية.

٤. تقوية الانتماء للإسلام تشمل:

أ) معرفة الجنسيات.

ب) تحديد المذهب الفقهي.

ج) إدراك مفاهيم العقيدة واعتزاز المسلم بهويته.

د) رفض الواقع السياسي.

٥. من مظاهر الرشاد العطائي:

أ) التباهي بالإنجاز.

ب) تحسين إدارة الحياة اليومية.

ج) الامتناع عن المبادرات الإيجابية.

د) التقوقع علىٰ الذات بغرض تطويرها.

❊ ❊ ❊

خلاصات مهمة

- الرشد في القرآن ليس وصفًا لحالة الإيمان فقط، بل للسواء النفسي والعقلي أيضًا.

- أول لبنة يضعها المربي في بناء الطالب الذي يربيه هي لبنة الإخبات.

- الطلاب الذين يتعلمون في برامج جادة منضبطة ينغرس في نفوسهم قهر شهوة النفس لأجل المسؤوليات الواجبة عليهم.

- أكثر ما يفسد إرادة الطلاب وجود برامج تعليمية سائلة، تمكن طلابها من الانقطاع لأتفه الأسباب.

- التربية الإسلامية لا تلغي الحاجات، بل تدعو إلىٰ إشباعها لما تؤدي إليه من استقرار نفسي يبعث النفس إلىٰ المزيد من القربات والطاعات.

- أعظم حاجة لدىٰ الإنسان هي الحاجة إلىٰ القرب من الله تعالىٰ وتلمُّس رضاه وتأليهه وعبودية القلب له.

- ليس كل رغبة تمثل النموذج الصحيح لإشباع الحاجة.

- الحفاظ علىٰ الفطرة وتنميتها أصل الجمال ومنبعه، كما أن تشويهها وتخريبها أصل القبائح.

- أول توجيه قرآني نزل هو: اقرأ باسم ربك. وأول مخلوق أقسم الله تعالىٰ به في القرآن هو القلم.

- مما ينبغي تربية الطلاب عليه الاعتناء بالمنهج العلمي لتناول الموضوعات والأفكار.

- قيمة المعارف ليس بفهمها وحفظها فقط، بل بما تثيره في الوجدان والعقل من أسئلة تثوِّر المفاهيم وتلتقط خيوط الإبداع.

- المفاهيم أساس الفكر.

- الوحي هو مصدر المفاهيم والتصورات الشرعية والحاكم عليها.

- أول واجب في تهذيب اللسان: كفه عن القول الحرام.

- مما ينبغي الاعتناء به في تربية الشباب أن يتعودوا سلوك الصمت حال الفتنة.

- المروءات قاعدة التديُّن.

- البر ثمرة التربية.

- البيوت التي أقيمت علىٰ شريعة النكاح يجب المحافظة عليها ورعايتها وتنميتها والصبر في سبيل بقائها قوية متماسكة.

- غالب باب فروض الكفايات يصب في معنىٰ الفاعلية.

- الطالب بحاجة علىٰ مناخ تربوي محفز وآمن، يستطيع أن يجرب إمكاناته وقدراته دون لوم أو تقريع.

- من أهم وظائف التربية الإسلامية تحويل الأجيال الجديدة إلىٰ عناصر منتجة وفاعلة.

❊ ❊ ❊

والله أعلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا وحبيبنا محمد ﷺ

المصادر والمراجع

١. الإبانة الكبرىٰ، ابن بطة العكبري، ت: رضا معطي وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع.

٢. الاتصال ونظرياته المعاصرة، أ.د. حسن عماد مكاوي ود. ليلىٰ حسين السيد، الدار المصرية اللبنانية، ط ١٣، ٢٠١٨م.

٣. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله الفاكهي، ت: أ.د. عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط ٥، ١٤٣٠هـ.

٤. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية.

٥. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين القسطلاني، المطبعة الأميرية، ط ٧، ١٣٢٣هـ.

٦. أطر العقل، هوارد غاردنر، ترجمة: د. محمد بلال الجيوسي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٥هـ.

٧. الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، د. مصطفىٰ حجازي، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ٢٠١٣م.

٨. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠١١م.

٩. بستان العارفين، محيي الدين النووي، دار الريان.

١٠. بناء الأجيال، د. عبد الكريم بكار، ط ١، ١٤٢٣هـ.

١١. تاريخ مختصر لوسائل الإعلام الحديثة، جيم كولين، ترجمة: أحمد زكي، مجموعة النيل العربية، ط ١، ٢٠١٧م.

١٢. التبيان في آداب حملة القرآن، يحيىٰ بن شرف الدين النووي، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٥هـ.

١٣. تحرير علوم الحديث، عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٤هـ.

١٤. التحرير في أصول التفسير، أ.د. مساعد بن سليمان الطيار، دار أضواء الشاطبية للنشر، ط ٦، ١٤٣٥هـ.

١٥. تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية، ت: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، ط ١، ١٣٩١هـ.

١٦. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ابن جماعة الكناني، دار الضياء، ط ١، ١٤٢٣هـ.

١٧. تفسير التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.

١٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: أبو إسحاق الحويني وأ.د. حكمت بشير ياسين، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٤٠هـ.

١٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م.

٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتناء: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٣٥هـ.

٢١. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر القرطبي، ت: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٤هـ.

٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٢٣. جامع العلوم والحكم، الحافظ ابن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط ٧، ١٤١٧هـ.

٢٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب العلمية.

٢٥. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٧م.

٢٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، السعادة، ١٣٩٥هـ.

٢٧. درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ط ٢، ١٤١١هـ.

٢٨. دليل معلم العلوم الشرعية، محمد الدويش وسليمان الخضير، وزارة التربية والتعليم، السعودية، ط ١، ١٤٢٦هـ.

٢٩. الرسالة، الإمام الشافعي، ت: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي.

٣٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ت: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، ط ٢، ١٤٤٠هـ.

٣١. الزهد، وكيع بن الجراح، ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، ط ١، ١٤٠٤هـ.

٣٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٥هـ.

٣٣. سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥هـ.

٣٤. سنن أبي داود، ت: عصام موسىٰ هادي، دار الصديق للنشر، ط ٢، ١٤٤٢هـ.

٣٥. السنن الكبرىٰ، البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ.

٣٦. سنن ابن ماجه، ت: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط ١، ١٤١٦هـ.

٣٧. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ.

٣٨. سيرة عمر بن عبد العزيز علىٰ ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، عبد الله بن عبد الحكم المصري، ت: أحمد عبيد، دار عالم الكتب، ط ٦، ١٤٠٤هـ.

٣٩. السيرة النبوية، ابن هشام، ت: مصطفىٰ السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٥هـ.

٤٠. شرح السنة، البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٤١. صحيح البخاري، دار التأصيل، ط ٣، ١٤٣٨هـ.

٤٢. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٨هـ.

٤٣. صحيح ابن حبان، ترتيب ابن بلبان، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٤٤. صحيح مسلم، عناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

٤٥. الطبقات الكبير، ابن سعد، ت: د. علي محمد عمير، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

٤٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٩هـ.

٤٧. العبودية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد زهير شاويش، المكتب الإسلامي، ط ٧، ١٤٢٦هـ.

٤٨. العزلة، أبو سليمان الخطابي، المطبعة السلفية، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

٤٩. علم الاجتماع العائلي، د. زينب إبراهيم العزبي، المقررات الجامعية، الأكاديمية العربية الدولية.

٥٠. علم النفس الاجتماعي، أ.د. علاء الدين كفافي ود. سهير محمد سالم، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٣٧هـ.

٥١. علم النفس الدعوي، د. عبد العزيز بن محمد النغيمشي، دار المسلم، ط ١، ١٤١٥هـ.

٥٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، ت: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٥٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٤هـ.

٥٤. الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢١هـ.

٥٥. الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

٥٦. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، ط ١، ١٤١٠هـ.

٥٧. لغة التربويين، د. عبد العزيز بن سعود العمر، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٨هـ.

٥٨. مباحث في علوم الحديث، مناع القطان، مكتبة وهبة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٥٩. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن ابن قاسم النجدي.

٦٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ت: مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط ١، ١٤٣٦هـ.

٦١. مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين ابن قدامة المقدسي، مكتبة دار البيان، ١٣٩٨هـ.

٦٢. مدارج السالكين في منازل السائرين، ابن قيم الجوزية، ت: نبيل نصار السندي، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٤١هـ.

٦٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ.

٦٤. المصنف، أبو بكر ابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٦٥. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٦٦. المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، ت: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين.

٦٧. معجم المصطلحات التربوية والنفسية، أ.د. حسن شحاتة وأ.د. زينب النجار، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٤٢٤هـ.

٦٨. معجم مصطلحات العلوم التربوية، د. شوقي السيد الشريفي، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٢١هـ.

٦٩. المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤١٥هـ.

٧٠. المعجم الموحد لمصطلحات الحكامة التربوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٢٠م.

٧١. المعجم الموحد لمصطلحات المناهج وطرق التدريس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٢٠م.

٧٢. مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ت: عبد الرحمن بن حسن قائد، دار عالم الفوائد، ط ٣، ١٤٤١هـ.

٧٣. مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الكتب العلمية، ط ٣، ٢٠١١م.

٧٤. مكارم الأخلاق، أبو بكر ابن أبي الدنيا، ت: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن.

٧٥. مناقب الإمام أحمد، أبو الفرج ابن الجوزي، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط ٢، ١٤٠٩هـ.

٧٦. المنتقىٰ شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي، مطبعة السعادة، ط ١، ١٣٣٢هـ.

٧٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين النووي، ت: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط ١، ١٤١٤هـ.

٧٨. الموافقات، الشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ.

٧٩. الميسر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، راجعه: أ.د. غانم قدوري الحمد وأ.د. مساعد الطيار، دار وقف أضواء الشاطبية للنشر، ط ٣، ١٤٤٢هـ.

٨٠. نحو التربية الإسلامية الحرة، أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤٠٥هـ.

٨١. النصيحة الولدية، أبو الوليد الباجي، ت: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار الوطن، ط ١، ١٤١٧هـ.

٨٢. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

٨٣. وثيقة استشراف مستقبل العمل التربوي في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٣هـ.

٨٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط ١، ١٤١٥هـ.

٨٥. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر.